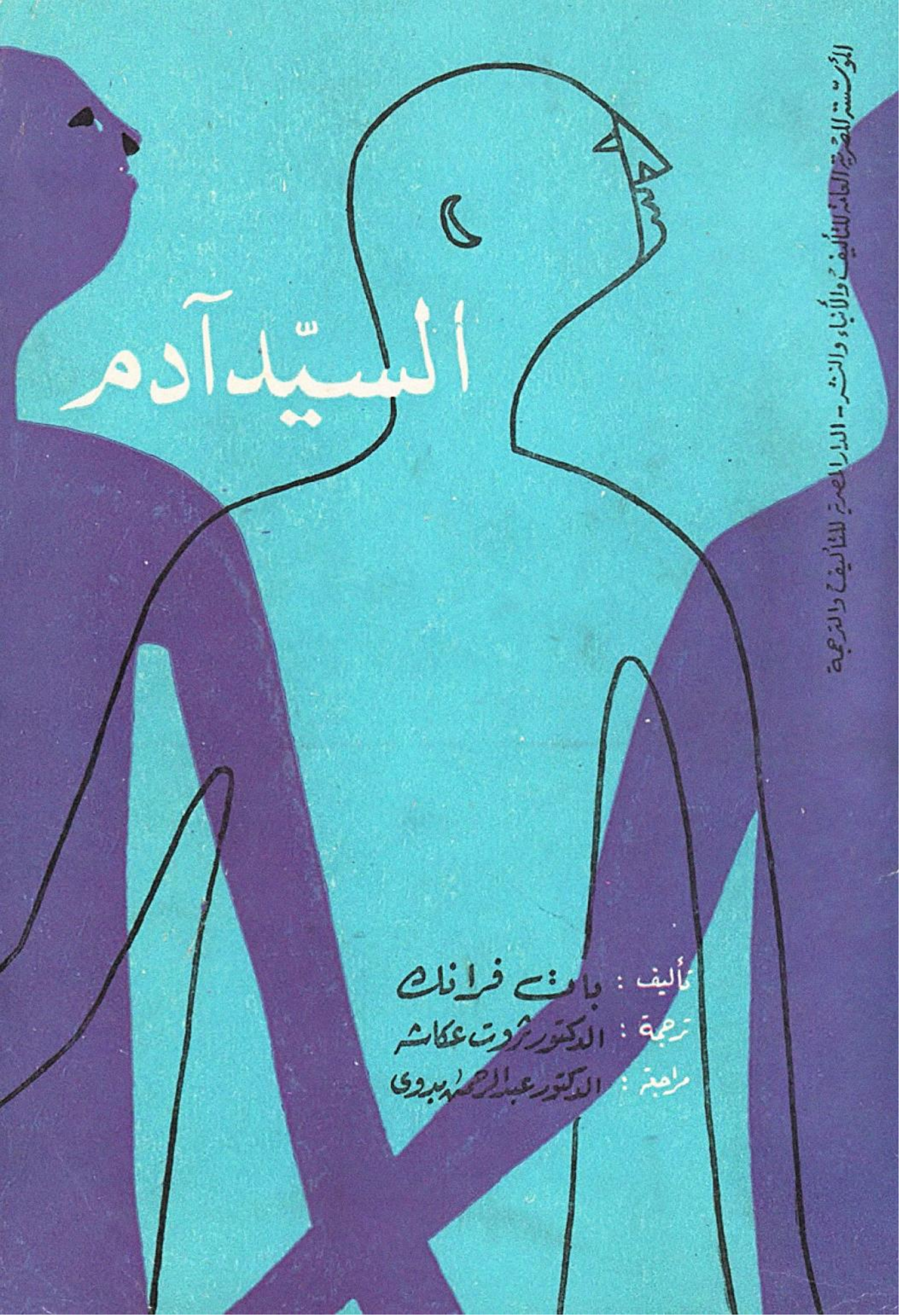


المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر - الدار المصرية للتأليف والترجمة

السيّد آدم

تأليف : بات فرانك
ترجمة : الدكتور ثروت عكاشة
مراجعة : الدكتور عبد الرحمن بدوي

السّيّد آدم

(الطبعة الثانية)

تأليف : بات فرانك
ترجمة : الدكتور ثروت عكاشة
مراجعة : الدكتور عبد الرحمن بدوى

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة

الفصل الأول

أحسب أنه نيط بى أن أروى هذه القصة بتمامها ، لأنى كنت أول من استحدث خبرها ، ثم عشت بعد ذلك معها حتى عرفت السيد آدم حق المعرفة .

اسمى هو استيفن ريكاتور ا سمث . وقبل أن أشارك فى أهم قصة فى الدنيا كنت محررا للأنباء المثيرة فى مكتب وكالة « الأسوشييتد برس » بنيويورك ، واختصصت بأنباء حفلات تدشين السفن ، والألعاب الرياضية ، واجتماعات الاحتجاجات فى قاعة البلدية ، وما أشبه ذلك — ومسكنى فى الطابق الأرضى بمنزل تشيد بالحجر الأسمر فى الشارع العاشر الغربى . وحتى الآن لا أزال متزوجا ، وهو أمر يثير الدهشة فى نفسى !

لقد استحدثت خبر هذه القصة عرضا وبالصدفة ، وهذه هى الطريقة التى يحصل بها المرء عادة على معظم الأنباء الخطيرة . ومعظم الذين يفوزون بجائزة بولتزر سعداء الحظ فى لعبة قذف النرد .

بدأت القصة فى الليلة التى كنت فيها أغطى أنباء الاجتماع الصهيونى الذى عقد فى الحديقة . فلما تمت الموافقة بالاجماع على القرار الأخير ، خرجت من الحديقة مسرعا متوجها الى توتس شور . ولم أكن قد ذهبت الى هناك أبدا ، بسبب ركبتى المتملخة والسيدة البدينة . أما السيدة البدينة فما كانت تلوح لى عند مدخل الشارع الثامن حتى آخذ فى التهرب والانصراف ، وتتخلى عنى ركبتى المتملخة . ولولا هذه السيدة الشبيهة بدبابة متوسطة الحجم لما عرف العالم طوال أسابيع ، بل وربما لعدة أشهر ، ماذا حدث له .

أرسلت صرخة ، وسقطت على أحد الأبنية ، هنالك فغرت السيدة البدينة فاها ، وتملكتها السرعة وخرجت من هناك . وعرفت أنها ظنت أنى قد انتابتنى نوبة .

وفى الجانب الآخر من الشارع الممتد من الحديقة كان يقوم مستشفى لعموم الأمراض فى موضع ملائم لاستقبال ضحايا ألعاب الهوكى ومباريات رعاة البقر والمصارعة والملاكمة . وكان بين رجاله نفر من خيرة الجراحين فى المدينة . وكانوا راضين عن هذا العمل ، لأنهم لم يكونوا يعرفون من سيقدم الى حجرة الطوارىء المجاورة . وكما قال الدكتور طومسون : « ان هذا المستشفى يشبه مستشفى ميدان + مستشفى ولادة » .



كان الطبيب طومسون أول من وقعت عليه عيناى بعد أن عبرت الطريق الى المستشفى حَجِلاً ، وكان رجلا ودودا ألوفا ضخما كالفيل ذا يدين سمراوين قصيرتين مكتنزتين ، سبق أن رأيته فى ايطاليا خلال الحملة المعروفة بالخط القوطى بين الحلفاء وألمانيا النازية ، وهو يشرف على مستشفى القيادة العامة على مشارف فلورنسا ، وتذكرت اللحظات التى

كنت أتطلع اليه خلالها فى اعجاب وهو يسعف الجرحى وكيف كان يضغط بيديه القويتين فى رفق على جراح الجنود الأمريكيين الذين تعفروا بالتراب وتلطخوا بالطين وكأنه الأم تلمس فى حنان ورقة وجه رضيعها ، وقد أخذ يعالج ركبتى بيديه هاتين ، فاذا بى أحس وخزا ممضــا لم يلبث أن توقف وعدت معافى كما كنت أقدّر . وأخــذ يحذرنى قائلا : ترفق بنفســك ولا تهرول حين يزحمك المرور فتضطرب وتتخلع ركبتك ..

فقلت له :« أعلم ذلك . ولكن تعال معى الآن الى نادى شور وتناول قدحين من الخمر » .

فاعتذر قائلا :

لا أستطيع ! فنحن نواجه مشكلة كبرى : هناك سر غامض قد اجتمع له اليوم أطباء المستشفى جميعا وتدارســوا الأمر فيما بينهم وقتلوه بحثا وقلبوه على جميع وجوهه ثم وكلوا الىّ تعرّف أسبابه .

— ترى ما هذه المشكلة ؟ هكذا سألته .

فتريث طومسون هنيهة ثم قال :

— لن ترانى ضنينا عليك بأخبارها على شريطة أن تعدنى بالا تذيعهــا الآن ، اذ لم يحن الوقت بعد لذلك . أيدور بخلدك أن الناس لم يعودوا يوصون بحجز أسرة ، فى قسم الولادة ؟

— لم يعودوا يوصون ... ! ان هذا لشىء غريب .. !

— بل أغرب مما تتصور . ومما يزيدنى حــيرة أن المستشفيات فى السنوات القليلة الأخيرة لم تكن تتفق وعدد السكان ، هــذا الى أن الأمر قد ازداد سوءا منذ نهاية الحرب . فما هو بغائب عنك أن نسبة المواليد قد كثرت كثرة خيالية وبتنا نخال أن كل فرد فى الولايات المتحــدة قد فرغ

لشيء واحد وأصبح لا هم له الا أن ينجب أطفالا . وكان الناس يوصون على الأسرة قبل الوضع بثمانية أشهر فاذا بنا الآن لا نرى أثرا لذلك .

— وأنى لهم أن يعرفوا على التحقيق موعد الوضع ؟

— ان القطع بذلك عسير ، وليست المسألة الا مسألة تقدير وهاك مثلا عن أهل برودواى .

* * *

وأخذ طومسون ينقب فى الدفتر الكبير المفكك الصفحات على مكتبه ثم بدرنى قائلا :

— لا شيء البتة .

— أتعنى أن الناس سوف لا ينجبون بعد اليوم ؟

— كلا ، وكل ما أقطع به هو أن الناس لم يعودوا يوصون بحجز أسرة فى قسم الولادة بعد اليوم الثانى والعشرين من يونية .

وألقيت على هذا السجل نظرة فاحصة فاذا بى أرى عشرين اسما والى جانبها عناوينها وأرقام التليفونات وأسماء الأطباء المشرفين على رعاية الأمهات ، والمبالغ المدفوعة عن أيام مايو وأيام يونية الى الثانى والعشرين منه ، ثم لا شيء بعد هذا اليوم تماما كما قال لى طومسون .

فالتفت اليه وأنا أشير بأصبعى الى اليوم الحادى والعشرين من يونيه وقلت مازحا :

— ألا ترى أن السيدة « دوتى فير » ستصبح أما . يا له من نصر صحفى يحفزنى الى أن أسبق به الزميل « ونشل » فأنشره .

— خل عنك المزاح . فالأمر جد خطير .

— يا لها من أمور سخيفة قد جاوزت كل حد ، بل ما أبعدها عن العقل والصواب ! أتصدق ان مؤسسة علاجية كهذه أصبحت لا تعتمد

الا على قدر ضئيل من المال لا يعدو بضعة قروش . ولعل السبب فى ذلك هو توقف الناس عن حجز أسرّة للوضع فيها خمسة أشهر مقدما . فى الحق أن المستشفيات ليست فى مجموعها غير شركات رأسمالية تبتز أموال الناس وهذا هو ما يحفزنى الى عدم الثقة بها . وما من شك فى أن الناس قد برموا بأمرها ورفضوا الخضوع لسطوتها وجبروتها وأطماعها فعقدوا العزم على ألا يسعوا اليها بأقدامهم وعلى ألا يولد لهم بها طفل . ولتذكر أن الناس — منذ نحو قرن بل والى عهد قريب — ألفوا أن تتم الولادة فى بيوتهم وأن يرى أطفالهم نور الحياة بين ذويهم .

وحك طومسون أنفه ثم قال :

— لو أن مستشفيات أخرى كثيرة بنيت حديثا فاتسعت لكثرة من الوافدين هنا وهناك ، أو لو أن وباء الدوسنتاريا انتشر فطوى الشباب الغض ، لكان لنا فى هذا أو ذاك سبب ما نفسر به هذا الأمر المشكل . ولكن الواقع غير هذا يا ستيفن فلقد درج آباء العصر فى هذه الأيام ، على أن يبادروا الى الاتصال بالمستشفيات لحجز أماكن لعرائسهن قبل انقضاء شهر العسل .

وحاولت جاهدا أن أهدىء من روعه فقلت :

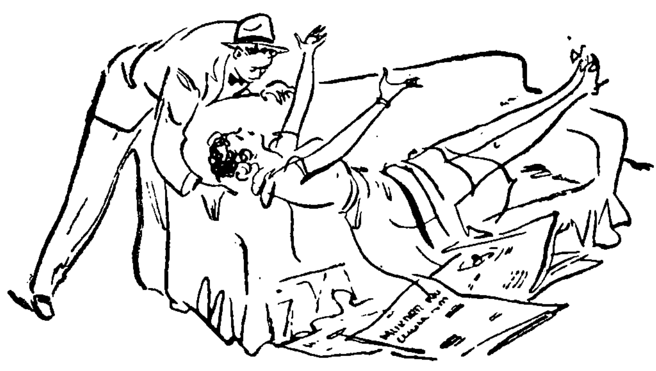
— هون عليك يا صاحبى ، ولسوف ألقاك غدا ، وأكبر الظن أنك سوف تجد أن واحدة من هؤلاء المجندات اللاتى أرسلن للعمل معكن حديثا قد نسيت فتركت قوائم الحجز فى أحد أدراجها .

وتركته . غير أنى لم أقصد الى النادى مخافة أن يزل لسانى فأذيع شيئا من القصة على مسمع من تلك الجمهرة الكبيرة من الزملاء المحررين والصحفيين ، العاكفين على شربهم وثرثرتهم . وكم من صديق تحدث بينهم فى صراحة عن قصة أو خبر أو حادث وهو يزمع نشره فى صحيفةيوم الأحد،

فاذا به يفاجأ — كما هى العادة — بنشره فى صحيفة أخـرى تخرج يوم السبت .

من أجل ذلك آثرت السـلامة وذهبت الى محطـة المترو الأرضى فى الشارع الثامن وعدت الى مسكنى مع منتصف الليل .

كانت نار المدفأة قد نفذت خلال قطعة الخشب وبقيت جدرانها أكثر تماسكا من وسطها الهش الذى أخذ يتصاعد منه لهب أزرق باهت يوشك أن يخمـد . وأبصرت زوجتى مارج مستلقية على الأريكة وقـد شبكت ساقيها الطويلتين وعقدت يديها على بطنها وغطت وجهها بصحيفة لتحجب النور عن عينيها وطالعتنى العناوين الرئيسية فى رأس الصحيفـة تشـير بعبارات صغيرة موجزة الى القتال الدائر فى فلسـطين والصـين وبورما



وسوريا ، والى انه قد آن الأوان لتذوق طعم السلام . غير ان الأخبـار لم تشغلنى عن العناية بزوجتى فمشيت على أطراف أصابعى مخافة أن أقطع عليها سباتها وانحنيت لأقبل شعرها ، فاذا بها تلقى الصحيفة جانبا وتطرف بعينها ، فعرفت انها لم تكن نائمة وقبلت فاها قبلة تنم عن حب ، فقد كنت من هؤلاء الأزواج القدامى الذين يؤثرون العيش فى كنف زوجة ينعمون بحبها وهواها . واذا هى تصيح بى متسائلة :

— ما وراءك ؟ وأى شىء حملك على العودة مبكرا هكذا ؟

فأجبتها فى مداورة : لست أعد اللحظة التى أقضيها بعيدا عنك من لحظات عمرى .

— انك تبدو الليلة عاشقا متيّماً ، ولولا ذلك لما عدت الآن من الحانة .

كانت تحدثنى وهى ترنو الىّ محملقة متأملة . وأنا أعجب للمرأة كيف تكتشف زوجها بعد عشرة أربعة أعوام .

ثم أردفت تقول فى حزم :

لا — ليس الأمر كما تزعم . بل أراك على وشك أن تفضى الىّ بحديث .

لقد تبينت أمرى . تبينت أنى أخفى عنها نبأ خطيرا . وألحت علىّ فلم يسعنى الا أن أفضى اليها بكل شىء وأقص عليها حديث الطبيب طومسون وحديث مستشفاه ، حتى اذا ما فرغت من كلامى صاحت بى :

— ألا ترى معى أن الوقت قد حان لكى ننجب ولدا ، فها هى ذى الحرب انتهت ، والأحوال استقرت ، وأصبح فى المستشفيات متسع . ولنا من هذا كله ما يحملنا على تكوين أسرة .. ثم انك لم تعد بعدُ شابا .

— اننى لم أجاوز الثامنة والثلاثين .

— اذن فقد أوشكت أن تبلغ أوسط العمر . وكم خطر لى أنه كان يلزم أن يكون لنا الآن ولد .

فقلت لها :

— لا تتركى الأمر الى غيره . لماذا لا ترضين عن المستشفى الذى يعمل به الطبيب طومسون ؟

— ليس فى الأمر شىء . وكل ما هنالك أن النساء أصبحن يملن الى مستشفيات أخرى غير هذه أما عن نفسى فليس أحب الىّ من أن ألد

بمستشفى الاپسكوپال ، حيث أنعم بغرفة فسيحة مزودة بمذياع ، على أن تقوم الى جانبى ممرضة خاصة ، تلزمنى من قبل أن ألد بأيام ثلاثة .. ما أغفلنا حين لم نسهم فى مشروع العلاج الجماعى فى دور الشفاء !

قلت لها فى لهجة أردت بها السخرية :

— لعلك قد أنسيت أن انجاب طفــل يقتضى اجتماع رجل بامرأة ؟

وقبلتنى ثانية وهى تهمس فى أذنى :

— كم أنا سعيدة أيها الحبيب اذ عدت الىّ الليلة مبكرا !

* * *

ويقبل أسبوع جديد ، وتفد الى مطار « لاجورديا » أفواج متتابعة من حكام عسكريين ذوى أمجاد ورؤساء حكومات ، وملوك تركوا عروشهم ، وقواد سابقين . ويوكل الىّ أن أظفر من هؤلاء جميعا بأحاديث ، فأشغل بهم ، وينسينى ذلك حديث طومسون وحديث مشكلته .

ثم قادتنى قدماى يوما الى مستشفى الاپسكوبال وتذكرت ايثار مارج لها على غيرها ، فدخلتها عجلا ولقيت فى المكتب فتاة حمراء الشعر فسألتها عما اذاكان من اليسير حجز مكان بقسم الولادة فى العشرين من يونيه .. وراجعت الفتاة سجلها ثم هزت رأسها باسمة وهى تقول :

— يؤسفنى يا سيدى ألا نجد سريرا خاليا فى هــذا اليوم من شهر يونيه ، غير انه اذا كان بوسعك الانتظار ... عندها ...

ولم أدعها تمضى فى حديثها بل قطعته عليها وأنا أحس أمعائى تتلوى فى جوفى وتتكور ، وقلت لها :

— أتعنين أنه سوف تكون بالمستشفى أسرّة خالية فى الثانى والعشرين من يونيه .

— الواقع أن أحدا لم يطلب الينـــا حجز سرير فى قسم الولادة لذلك اليـــوم .

وعبست صاحبة الشعر الأحمر ثم قالت :

— ان هذا لغريب ، غريب حقا ! ومما أعجب له أشـد العجب أنى لم ألحظ ذلك من قبل .

فشكرت لها وغادرت المكان . غير أنى لمحتهـا وأنا فى طريقى المغطى بالصقيع تتكلم فى التليفون وما يزال وجهها عابسا .

ومضيت الى مكتبى لا ألوى على شىء ، وهنـاك تحدثت الى خمس مستشفيات أخرى ثم تسللت الى غرفة بوجى رئيس التحرير دون أن يرانى أحد . وما من شك فى انى كنت أرعد رعبا ، وما اخالنى الا كنت مكفهر الوجه من فرط الفزع وسوء الطالع ، فما كادت عينـا بوجى تقعان على حتى صاح دهشا :

— بالله الا حدثتنى عما بك !

فارتميت على مقعد جلدى أمام مكتبـه ، وأنا أضعف من أن أسيطر على أعصابى ، وكم حاولت أن أشعل لفافة من التبغ دون أن أفلح من شدة اضطرابى . ولقد فطن بوجى لما كان فقام وأشعل لى اللفافة وأخذ يستمع الى وأنا أفاجئه قائلا :

— انه لأخطر حدث فى العالم .. ألق الى بالك .. أخطـر حـدث فى العـالم .

— بم تهرف أيها الرجل ؟

— لن يحدث انجاب بعد اليوم .. لن ترى طفـلا بعد الحـادى والعشرين من يونيه .

* * *

وكان بوجى رجلا حنكته التجـارب ، صبورا حكيما سـديد الرأى . وحسبك دليلا على هـذا انه بقى رئيسا لتحرير « النيويورك » منذ تولى

« تافت » ادارتها . وكم وقعت أحداث تاريخيــة هائلة فمرت تحت سمعه وتحت بصره وانسابت تلك الأحداث الجسام من بين أصــابعه الرقيقــة العجوز انسياب الماء قد أسلمت له قيادها . من أجل هذا لم يدهش ، ولم يغلبه التأثر حين وقع بصره على صحفى صغير مثلى ، هدّه الضيق والخور وانهارت قوته وعلت الكآبة وجهه وتملكه الذهول فأخذ يهدىء من روعى. وطلب الىّ فى رفق وهو يشجعنى أن أقص عليه قصتى ، فبدأت بحديث ركبتى ثم أخذت فى سرد الوقائع . وحين فرغت تلبث هنيهة وهــو يمسح بكفه رأسه الأصلع ، ويمر بأصابعه الرفيعة خلف أذنيه ، على عادته حين يريد أن يوقظ عقله ويعمل فكره وقال بعد لأى :

— لاشك فى أنها قصة بالغة الخطورة . وما أخال العالم مر بمثلهــا منذ كان ، غير ان علينا أن نتدبر الأمر قبل أن نحمل تبعة نشر شىء عنه وأرى ألا تكتب شيئا يتصل به فتلفت الأنظار اليه ، فقد لا تكون المسألة غير صدفة لها غرابتها البالغة ، وأخشى ما أخشاه أن يكون الأمر كذلك .

فقلت : لعمرى انه أمر يحفز الى التشاؤم حقا .

ودار بوجى بكرسيه ذى المسند العالى حتى أصبح فى مواجهة النافذة ، فأخذ يلقى ببصره على ابراج المدينة الشامخة ، وقد كستها شمس الشتاء لونا من التبر رقيقا ، ويبدو أنه كان يرمى ببصره الى ما هو أبعد وأعمق ، ثم قال :

— لو أن الله أمدنى بقوة من عنده ، ورأيت أن أسلب الجنس البشرى قدرته الخفية على الانجاب ما وجدت لذلك وقتا أنسب من الوقت الذى نعيش فيه الآن .

واتفقنا على بذل كل ما أستطيع من جهد والقيام بدراسة مستوعبة مستخدمين فى ذلك التليفون طارحين جانبا الوسائل الأخــرى التى تمدنا

بالأخبار كالرسائل والبرقيات مخافة أن يتحرك القلق فى نفوس الناس ويفلت من أيدينا الزمام .

وجمعت بين يدى الكثير من دفاتر التليفونات لأتعرف أرقام المستشفيات فى أكثر من عشرين مدينة من المدن الكبرى . وبدأت أول ما بدأت بمستشفى بوسطن ورأيت ألا أكشف عن مكانى ، وألا أشير الى مقصـــدى وآثرت أن أكتفى بأنى رجل أوشك أن أصبح أبا .

ولقد وجدت فى مستشفى بوسطن كما وجدت فى مستشفيات نيويورك أسرة ، غير أنها كانت مشغولة الى اليوم الحادى والعشرين من يونيه وسرعان ما أحسست الراحة عندما أنهوا الى أن ثمة قلة من الطلبات لحجز أسرة للأسبوع الأخير من يونيه .

وأخبرت بوجى بما فعلت فاذا هو يقول لى محذرا :

ـــ لا أرى فى ذلك شيئا من الخطورة وقد يكون مبعثه سوء تقدير ، تورط فيه أحد أطباء بوسطن ، ومن اليسير وقوع مثل ذلك .

وتحدثت الى مستشفى فى مانشيستر وثان فى فيلادلفيا وثالث فى ميامى ورابع فى نيو أورليانس ، وحين يئست تحولت الى الغرب الى ســـــان فرانسيسكو ، فاذا بى أجد الحال هى هى كما وجدتها هناك ، فتحدثت الى شيكاغو وسانت لويس وأوماها ، ثم عدت الى الجنوب استوثق من بعض المدن الصغيرة . واذا غاية ما انتهى اليـــه علمى أن نسبة المواليـــد فى شهر يوليه لن تكون الا صفرا .

وخيل الى أن هذا حدث لن يقع الا فى الولايات المتحدة وحدها ، من أجـــل ذلك طلب الى بوجى أن أتحـــدث الى مونتريال فى كندا ثم الى المكسيك وبوينوس أيريس وريودى جانيرو بأمريكا الجنوبية ، وقد فعلت ما طلب الى ولم أعثر على جديد فى الأمر .

انتصف الليل وأحسسنا مس الجوع . وكان من العبث أن نبقى جائعين فأرسلنا فى طلب بعض الشطائر والقهوة . وبعد ذلك أخذت أتعرف نصيب هذا الخبر من نصف العالم الغربى بلدا بلدا فاذا بالنتائج هناك لا تختلف عنها هنا .

وقلت لبوجى :

— ما أظننا مفيدين شيئا من الحديث الى المدن ، ولنا مع المستشفيات فسحة . ومن الخير أن تتحدث الى أطباء الولادة فهم أسبق من غيرهم علما بهذا الأمر .

فأجاب بوجى : لا ضير ، كلم طبيبا منهم .

وتبينت من لهجته أنه قد انتهى الى شىء ما .

وسرى ضباب الليل فى المدينة يغطيها بملاءة كثيفة ، وصك سمعى أنين واذا هو صادر عن سفينة تشق مجراها عبر المحيط الى أوربا وقد بقى بوجى ساهما مكانه مصوبا النظر اليها ، يكاد بريق عينيه ينفذ فى غلالة الليل الفاحمة ماضيا فى اثر شىء مجهول .

وكنت لا أعرف غير طبيبة واحدة للولادة كانت صديقة لزوجتى مارج وكانت تدعى مارية أوستنهايمر وتقيم فى أحد منعطفات الشارع الخامس . وفيما كنت أحرك قرص التليفون لأتحدث اليها وقع بصرى على بوجى وهو يكتب برقية ليبعث بها الى خارج البلاد .

ولقد تبينت أن الطبيبة مارية أوستنهايمر كانت لا تزال ساهرة ، وأحسست ضجة فى غرفتها أدركت منها أنها أقامت حفلا خاصا فى بيتها دعت اليه بعض الأصدقاء فصحت قائلا :

— لك عندى نبأ خطير يا مارية ، وكم أود لو ظفرت منك بجواب صريح كل الصراحة .

— أجل كانت عندى ، ولقد جاءت الىّ وحدها كما انصرفت وحدها . بالله عليك لا تتغاب ولا تجعل للشك سبيلا الى نفسك .

— لا . لا — ومن تعنين ؟ أتعنين مارج ؟ ليس الأمر كما تخالين . ان ما أحب أن أسألك عنه هو أمر وثيق الصلة بعملك .

— ان كنت على وشك أن تخبرنى أن مارج حامل ، فلن أكتمك سرورى بهذا ودهشتى له ، فانها الوحيدة التى ستنجب طفلا .

وتبينت فى صوتها الاضطراب والانفعال والتأثر .

— هذا ما أردت أن أتحدث اليك فيه ، وما طلبتك حين طلبتك الا لأتحدث اليك عن هذه المشكلة : انقطاع النسل .

وساد السكون ، فلم أعد أسمع للضيوف الذين كانوا مستسلمين لثرثرتهم ضجة ولا حديثا وكأن لم يكن هناك حفل ، فعرفت أنها قد أغلقت الباب بينها وبينهم ، ثم عادت تتحدث الىّ وتسألنى :

— وما عندك أنت عن هذا ؟

— أعلم أن ليس ثمة من يحجز سريرا ما فى قسم الولادة بعد الثانى والعشرين من يونيه ، لا فى مستشفيات أمريكا وحدها بل فى مستشفيات العالم كله .

وكانت لحظة صمت خلت مارية معها وقعت مغشية عليها ، غير أنها ما لبثت أن خرجت عن صمتها وعادت تقول :

— لقد خلتنى ياستيفن بادىء ذى بدء أننى — وحدى — المعنية بهذا الأمر ، وأننى — بالذات — المقصودة به ، وأن شائعات غير بريئة أطلقها نفر من الحاقدين علىّ بين من يقصدننى فانصرفن عنى ، وانك لتعلم يا ستيفن الكثير عن خبرتى وتجاربى فى عملى وميدانى . ولقد وقفت فجأة على تلك الحقيقة المرة حين وجدتهن قد انقطعن عنى تماما فلم يعدن يلقيننى قبل

الوضع بمدة تتيح لى أن أعنى بهن وأتولى أمرهن وأوجههن حسبما تملى علىّ مهنتى .

— غير أنك لا تستقبلين من هؤلاء القاصدات غير القليل فى كل شهر ، انهن لن يزرنك الا مرة واحدة ، أليس كذلك ؟

— هذا صحيح . وان من أشق الأمور على نفسى أن أجدنى مضطرة الى أن أشكو الى زميل لى ما أصابنى فى عملى ، وما أحسه من جراء ذلك . فآثرت السكوت وانطويت على نفسى ، ومضت فترة قصيرة زارنى بعدها زميلى الطبيب بلاندى ، وله شهرته التى طبقت آفاق وستشستر فوجدته يعانى ما أعانى واذا نحن عن غير قصد يطالع أحدنا الآخر بما عنده ويكشف له عن شكواه ، ثم تحدثنا الى ستة آخرين من خيرة أطباء الولادة فى حىّ « مانهاتان » فاذا الحال هى الحال . لهذا قر الرأى على أن نعقد مؤتمرا جامعا فى الأسبوع المقبل لننظر فى الأمر .

قلت لها وأنا مشغول الفكر بتلك القصة أحوك خيوطها فى رأسى ، وكنت كلما قلبت الأمر عددت السبق الصحفى بالقياس اليه شيئا تافها لا يتفق وهذه الحقيقة التى انتهينا اليها .

— لا تذيعى يا مارية هذا السر .

— احفظ عليك سرك وسنلتقى بعد لنناقش الأمر معا .

وفى هدوء وضعت السماعة ، ونظرت الى بوجى أقول :

— ان العالم يقترب من نهايته أيها الصديق . وما اخاله الا بالغها .

— قد لا يكون العالم كله ، وقد يكون ذلك مقصورا على النصف الغربى .

ثم دفع الىّ برقية كتب فيها رموزا لمراسلينا فى هذا الجزء من العالم يطلب منهم أن يستوثقوا فى دقة من كل تخلف طارىء على نسبة المواليد

فيما بين شهرى يونيه ويوليه وأن يبعثوا اليه باجابة عاجلة ، على أن يكون هذا سرا ، خاصا بهم لا يجاوزهم الى غيرهم . وختم البرقية بامضائه ثم قال معقبـا :

— سنرسل هذه البرقية وشيكا الى رجالنا : بات مورين فى باريس ، وبوتزنورجارد فى روما ، وفرانك أوبرين فى استانبول ، وجولد برج فى بودابست وايدى جيلمور فى موسكو ، ثم الى مكتبنا فى لندن طبعا .

— سيظنوننا قد فقدنا عقولنا .

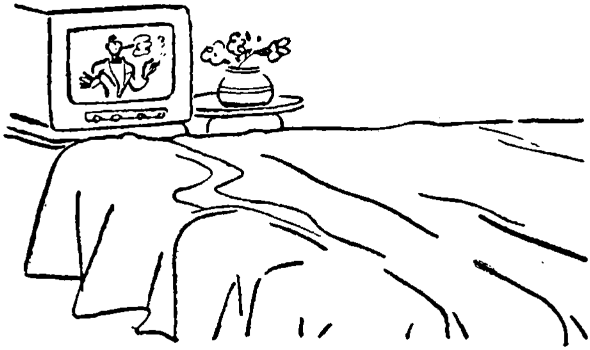
— أجل ! دعهم وما يخالون الى أن يتبينوا الحقيقة .

ثم أردف قائلا : وعندها سيصيبهم الخوف الذى أصابنى وأصابك ؛ ولما كانت اجاباتهم لن تصلنا الا مع الغد فمن الخير أن تعود الى بيتك حيث تنتظرك زوجتك ذات الشعر الأحمر ولتنعم بقسط كبـير من النوم . فما أظنك ستغمض جفنيك بعد ذلك طيلة أسبوع أو أكثر .

* * *

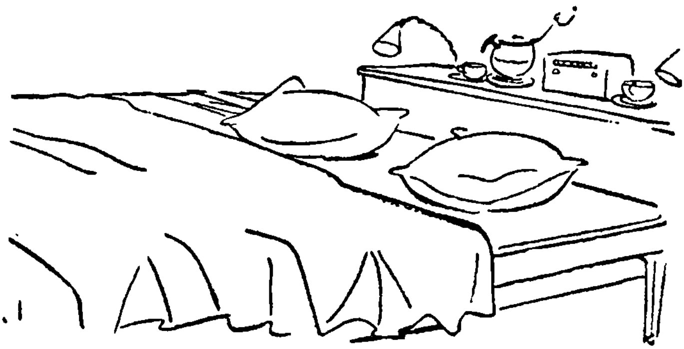
أفضى الىّ زميل من أمهر مخبرينا الصحفيين بحديث ممتع عن الزوجات فقسمهن قسمين : قسما لا علم له بمـا يخفى الأزواج من أسرار ، وقسما لا تفوته كبيرة ولا صغيرة عن أزواجهن ، وكانت زوجى مارج من هـــذا القسم الثانى فقد درجت على ألا أكتمها شيئا ولا أخفى عنها سرا . غير أنى فى ليلتى هذه خالفت سنتى فلم أنبس ببنت شفه وتجملت بالصمت ، ولم أذكر لمارج شيئا حتى أنعم بقسط ولو قليل من النوم .

هذا الى ما كنت أخشاه عليها من قسوة الاحساس بالخيبة ان أفضيت اليها بانقطاع الأمل فى انجاب طفل ، زد على ذلك أنى كنت مهموم القلب وقد أحسست مع مرارة التعب مرارة الخواء فتناولت كثيرا من الخمر قبل أن آوى الى فراشى .



ومع الصباح جاءتنى مارج بالقهوة وأنا فى فراشى ، وهو مالم آلفه منها من قبل ، وأخذت تسألنى عن حالى وعن مبعث ما أعانى من متاعب وهموم وعما اذا كنت أحس مرضا ؟ فطمأنتها أنى بخير ، وذكرت لها أنى لا أشكو شيئا ، وكل ما هنالك أنى أحب أن أمضى عجلا الى مكتبى . غير أنها عادت تسألنى عما ألم بى وعما أضيق به . فقلت أننى بخير والحمد لله وأخفيت رأسى تحت الغطاء ، ورجعت الى منتصف الفراش ، وكنت أعد أننا نملك أضخم فراش مزدوج فى نيويورك معد لحياة الاسترخاء ، يحيط به رف وضعنا عليه المذياع بجانب ما نحتاجه من أدوات ، وكان الى جانب الفراش مكتبة صغيرة والى الجانب الآخر ثلاجة وبار . والطريف أن صديقاً لنا وصف غرفة نومنا وصفا يشيننا اذ قال : انها يعوزها الذوق الجميل وينقصها الوقار والحياء . غير أنا لم نبال بما قال فلقد كانت محط اعجابنا ومراح أنسنا وسرورنا . من أجل هذا أطلق عليها اسم خاص تمليه الحال ويناسب المقام وهو « ساحة سميث » فقد كانت الغرفة التى تضم كل ما نحن فى حاجة اليه وتجمع ما رخص وغلا وتقضى فيها أهنأ الأوقات .

وقالت مارج : لا تخف عنى شيئا ، فلا بد أنك قامرت وخسرت نقودك كلها ، أو أنك تعانى من مشكلة حدثت فى صحيفتك .



فأكدت لها أن ليس ثمة شيء من هذا كله .

فسألت : ألا زلت مشغول البال بحديث المستشفى الذى حدثتنى عنه فى الأسبوع الماضى ؟

فلم أجبها على سؤالها . غير أنى أيقنت أنها عرفت كل شيء .

ثم قالت :

— كنت أحس القلق من جراء ذلك ، دون أن أدرى لذلك سببا .

— الحق أنا لم ننتبه الى شيء بعد .

ثم ودعتها بقبلة على ثغرها أبعث بها الاطمئنان فى حنايا قلبها .

غير أنى لم أر وجهها من قبل مثل رؤيتى له الآن ؛ فلقد رأيته ممتقعا ورأيت عينيها خامدتين لا يتألق فيهما وهج الحياة ولا تشعان ببريقهما ولم يكن هذا عهدى بها من قبل .

وأحسست وأنا فى طريقى الى المدينة أن صلتى بالحياة قد انقطعت ، وانى قد غدوت وحيدا منقطع الصلة بالناس وبالوجود لا أجد أثرا لما حولى ، غير ضجة مدينة نيويورك التى أحسها كل صباح ، ولا يحرك الناس منى ساكنا فى غدوهم ورواحهم .

وجدت على مكتب بوجى برقيات مكدسة عرفت محتواها قبل أن آخذ

منها واحدة وأقرأها . فمذ رأيت وضع كتفيه ولاحظت صمته وسكونه عرفت أن رجالنا لم يخرجوا فى اجاباتهم عما كان : لن يولد أطفال بعد الأسبوع الأخير من يونيه .

وبدأ التحرى الرسمى فى لندن وفى باريس تحوطه سرية بالغة ، وتحدث الى بوجى قائلا : وصلتنا اجابات من كل مكان عدا موسكو !

وفيما هو منهمك فى الحديث دخل علينا ساع حدث يحمل برقية فاذا فيها : عاجل جدا .. الاسوشيتدبرس .. نيويورك . بوجى قلقت الحكومة السوفييتية القلق كله لتحرياتى . أصبحت مهددا بالطرد لتشجيعى محاولة الاطلاع على الأسرار العليا للدولة .

فقال بوجى : حسبنا هذا .

فقلت : قد غدا العالم كله على علم بهذا الأمر المشكل . غير أن كل دولة تسعى فى أن تحتفظ به سرا من الأسرار فلا تذيعه .

— لا لوم ولا تثريب على عالم غدا كمريض بالسرطان ، يهوله أن يسلم بدائه أو أن يؤمن بحاله ومآله ولو فيما بينه وبين نفسه ، لن يمنع هذا من أن يذاع السر يوما . وعلى أية حال فلن تتخلف الوكالة عن القيام بتلك المهمة ، اذا دعت الى ذلك ضرورة ما . ولنبدأ بمكتبنا فى واشنطن فنجمع الأقوال والتصريحات الرسمية التى صدرت عن الحكومة . ثم أن هناك واجبا ثانيا وهو الاتصال بالمؤسسة الامريكية الطبية ... ولكن لماذا ؟

— أجل لماذا ؟

— ما من شك أن ثمة أسبابا علمية ..

واعتمد بوجى على مكتبه بمرفقيه المغطيين بقطعتين باليتين من الجلد وطفح يمسح رأسه فيما وراء أذنيه كعادته ليقدح زناد فكره ثم قال :

— لقد بقيت الليل كله أذكر كلمة القائد فارل وأتدبرها ، تلك الكلمة

التى قالها اثر انفجار القنبلة الذرية الأولى فى نيومكسيكو : « لقد كان الانفجار نذيرا من السماء ، بأن يوم القيامة قد أزف . فلقد أحسسنا جميعا نحن المخلوقات الضعيفة الهينة أننا قد عدونا طورنا حين أخذنا نلهو ونعبث بتلك القوى الطبيعية الخارقة التى يسيطر عليها الله وحده » .

— ولقد كان حقا ما قيل أثر قنبلة هيروشيما : لقد بلغت الانسانية شأوا غدت به قادرة على أن تمحو نفسها بيديها .

وعلى حين غفلة طرأت لى فكرة غريبة دفعتنى الى أن أسأل :

— أتذكر متى كان انفجار المسيسبى ؟ ألم يكن فى شهر سبتمبر ؟

واعتدل بوجى فى جلسته وقال :

— نعم ، انه مبعث هذا ... لقد كان الانفجار فى الحادى والعشرين من سبتمبر أى منذ تسعة أشهر .

* * *

الفصل الثاني

ما من شك فى أن الناس جميعا لا يزالون يذكرون اليـــوم الحادى والعشرين من شهر سبتمبر حين وقع انفجار مروع فى مدينة بورفيل على نهر المسيسبى ، تلك المدينة التى أقيمت وسط الولايات وسميت باسم عالم[1] من علماء الذرة ، ولقد كان هذا الانفجار أشد عنفا من انفجار «هيروشيما» و « ناجازاكى » فقد أخذ يدمر مدينة « بورفيل » ويدمر معها مدنا غيرها كثيرة ، وشوهد وهجه — الذى ملأ القلوب هلعا — فى شيكاغو شمالا وخليج المكسيك جنوبا ، وأحسته ولاية سانت لويس هزة أرضية ، على حين باتت نيوأورليانس لا تطيق لفح حرارته .

حدث هذا الانفجار دون أن يدرى أحد له سببا ، وقضى على الحرث والنسل ولم ينج منه حى ، وبادرت الدوائر العليا فى واشنجتن تقول : إن مؤسسة بورفيل كانت معنية باتتــاج مادة « البلوتونيوم » المتميزة برقم يو ٢٣٥ ، وغيرها من المواد الفريدة ذات الاشعاع القوى ، وهى على هذا أكثر المؤسسات المشابهة انتاجا لهذه المواد فى ولايات أوك ريدج ، وتنسى ، وهانفورد ، وواشنجتن .

وفى اثر هذا الانفجار توقفت الولايات المتحدة عن صنع القنابل الذرية واستشعرت الدول الأخـرى الخوف فلم تمض فى تلك السبيل ، وأخـذ مولوتوف يعيب على النظام الرأسمالى جشعه الذى جر الى ذلك الانفجار، ثم طمأن الشعب الروسى مؤكدا أن ليس ثمة ما يدعو الى اقامة مصـانع

---

(١) وهو نيلز بور Niels Bohr

للتفجير على أرض الاتحاد السوفيتى . وفى الأرجنتين خلف العلماء الموالون للفاشية تجاربهم الخاصة ، والتفتوا الى علمى النبات والأسماك يدرسونهما .

ولم تلق هيئة الامم المتحدة جهدا ما فى استجابة أعضائها الى تحريم استعمال القنبلة الذرية سلاحا فتاكا فى الحروب ، وأن لم يحل ذلك دون أن تنشب حروب هنا وهناك وأن يستعر أوارها فى جهات متفرقة من العالم .

هذا الى أن الناس لم يعودوا يذكرون ذهاب ولاية المسيسبى ، اذ كانوا يعدونها أكثر الولايات تخلفا ، وأن اختيرت للفداء احدى الولايات الثمانية والاربعين فلتكن ولاية المسيسبى كبش الفداء عن هذا الوطن .

وكان قد أسند الىّ بعد هذا الانفجار أن أجمع الأحاديث من علماء الذرة فى نيويورك أينما كانوا ، لتعرف الاسباب التى نجم عنها هذا الانفجار ، والنتائج المترتبة عليه . وأذكر أن العلماء أجمعوا على أن خطر الانفجار لن يجاوز دائرة قطرها بضع مئات من الاميال ، غير أنى كنت أحس فى قرارة نفسى أنهم كانوا يخفون شيئا يمنعهم الخوف من التصريح به . وكنت كلما سألتهم عما اذا كانت أشعة جاما تصيب بالعقم من يتعرض لها ، لاذوا بالصمت ، أو اصطنعوا المراوغة لباقة وحيلة قائلين : أن أشعة جاما اذا انبعثت من مواد مشعة بذاتها لا تلبث غير حين قصير .

وخطر لى أن ألقى نفرا من هؤلاء العلماء ، وأخترت الأستاذ « فلكس پل » الأستاذ بجامعة كولومبيا ، فقد كنت أعده نمطا فريدا بين العلماء العاكفين على الذرة وأنه يملك أن يحدثنا بالكثير عن مأساة المسيسبى ان خرج عن صمته .

وكان « پل » رجلا ضئيل الجسم قميئا ضيق ما بين المنكبين ، لا تكاد ساقاه تقويان على حمله ، وما أن تقع عليه عيناك حتى تخال أن هذا الجسم الضعيف ينوء بحمل ذاك الرأس الضخم وأنه أعجز من أن يحمله ولو الى

حين . والطـريف أنه حين يقف على قدميه كان أشبه ما يكون بصـورة كاريكاتورية لأستاذ جامعى ، وحين يجلس الى مكتبه الضخم يبدو بجسمه الضئيل مهيب الطلعة وكأنه قاض يتبوأ كرسى العدالة فى المحكمة العليـا للمرة الأولى وقد اعتدل فى جلسته لتنقل الصحف صورته فى هذا اللقـاء الأول .

ولقد قابلته فى حجرة مكتبه وما أن دخلت عليه حتى ابتدرنى قائلا :

— أخالك لا تزال مشغول الفكر بحادث المسيسبى ؟

— ليس الأمر كما تظن ، فلم أعد أشغل بالمسيسبى وحده بل بالعـالم أجمع ، فمن البيّن أن انفجار المسيسبى كاد يودى بالجنس البشرى كما كاد يصل به الى نهايته .

وتكلف « بل » الابتسام ، أو قل انه ترك لنفسه أن تبتسم ، غير أنى أحسست فى أعماقى — وللمحررين نبض دائم بالمشاعر والأحاسيس والا فهم أبعد عن أن يكونوا صحفيين ومحررين — انه يعـانى قلقـا نفسيا شديدا .

وقلت وأنا أبحث فى جيبى عن لفافة من التبغ متظاهرا بعدم المبالاة : يبدو أن انفجار المسيسبى قد أصاب الجنس البشرى بالعقم . وهنا أذكر حقيقة أذهلتنى فى الأستاذ بل ، ذلك أنه لم يبد عليه أثر ما لهذه الفاجعـة فلقد قال : حقا ان هذا لقول غريب ، أما بالنسبة لى فلم أتنه بعد الى أن الجنس البشرى مقبل على نهايته لأن عقما أصابه .

— هذا لأنك اليوم لا تعرف ما ستطالعك به الصحف فى غد .

— أحقا ما تقول ؟ أستحلفك بالله الا زدتنى بيانا .

— نعم . لقد عم العقم العالم كله ... أنا ... وأنت .

وأدار الأستاذ بل برأسه على عنقه الرفيع الذى غضنه الكبر وحملق فى وجهى برهة ، ثم خفض عينيه وقال :

— وما صلة هذا العقم الذى تزعم وجوده بفاجعة المسيسبى ؟

— منذ تلك الفاجعة لم يتشكل جنين فى رحم امرأة على وجه البسيطة ، هذا ما انتهى اليه علمنا وبحثنا .

— ولكن هذا الذى تزعمونه ؛ لا يسنده دليل علمى .

وفجأة خيِّل الىّ أن الأستاذ بل لم يعد ينزل من نفسى منزلته الأولى فلقد كنت أنظر اليه قبل اليوم نظرة اكبار وتقدير ، نظرتى الى عالم من علمائنا الأفذاذ البارزين الذين توصلوا الى معرفة الطاقة التى تمد الشمس بقوتها ، كما قال الرئيس . وهاأنذا أحس فجأة بالنفور منه ، لا أرانى منفردا بهذا الاحساس بل أعتقد أن كثيرين مثلى ينفرون منه ويضمرون له الكراهية . ودنوت منه ووضعت يدى على مكتبه ، ثم ازددت منه دنوا حتى كاد وجهى يلمس وجهه وقلت له :

— قد يعوز هذا الأمر دليله العلمى يا أستاذ بل ، وقد لا يكون هذا الدليل غير استنتاج عرضى ...

وعلق بصرى بعنقه الشبيه بعنق الديك الرومى ومضيت أقول :

— من المؤكد أن هذه الحقيقة سوف تسوق الى الاعدام كل العلماء المشتغلين بالذرة .

ورأيت أننى قد نجحت فى أن أزلزل كيان الأستاذ بل وأن أخرجه عن رباطة جأشه ؛ فاذا هو يبدو كما يبدو الطاعنون فى السن خشية على الحياة ويقول :

— هل لك فى أن تجلس وتقول لى ماذا تريد . وانى لأرجو ألا تقحم اسمى فى هذا الأمر .

— ولكنك لم تعارض عندما وضعوا اسمك على رأس قائمة العلماء الذين كرمتهم الدولة فنالوا الشرف والتقدير على ماكان لهم من فضل السبق فى صنع القنبلة الذرية .

فأومأ برأسه موافقا ثم قال فى بطء :

— حقا ما تقول ، بل انه الحق الخالص ، غير أن الشرف والتقدير لا يعفيان من اللوم ، ولقد كنا نحوط أنفسنا بما يكفل أمننا وسلامتنا ويحفظ أرواح هيئتنا العاملة . وعلى الرغم من هذا ظل الخطر قائما لا يبرح .

وعند هذا كان الأستاذ بل قد خرج عن هدوئه وطرح عنه رزانته المعهودة ورأيته ينظر الى مجموعة من الأوراق المنسقة فوق مكتبه . وأتيح لى أن أقرأ عليها هذه العبارة : سرى جداً . ثم أخذ يقول : منذ أن وقع هذا الانفجار بدأت أفكر فى الأضرار التى تحدث عن تلك الأشعة الغامضة التى لا نعرف عنها الا القليل . ولقد أوجزت ذلك لمجلس البحوث القومى .

— ترى الى أية نتيجة انتهيت ؟

— ان مثل هذا الانفجار تنبعث عنه اشعاعات طاغية لا تلبث أن تعم العالم فى سرعة الضوء ، وليست هذه من اشعاعات « جاما » أو «بيتا » أو « ألفا » وذراتها وانما هى من الاشعاعات الأخرى ذات الصور الغامضة وانى لعلى يقين من أن لهذا النوع من الاشعاعات أضرارا خطيرة ، وليس فى مقدورى أن أعرف المدى الذى تبلغه هذه الأضرار .

فقلت له :

— غير أنا قد انتهينا الى حال نستطيع معها أن ندرك شيئا عن مدى هذه الأضرار .

— حقا اننا ندرك الآن كل هذا ... (ثم أخذ يسأل) ولكن قل لى : أكان لهذا الانفجار أثر فى الاناث ؟

فقلت مجيبا :

— ان التقصى لما ينته بعده ، وقد خلص الاطباء الذين بحثوا الأمر الى أن الرجال جميعا أصيبوا بالعقم . ويؤكد أكثر الأطباء أن النساء كلهن على وجه التقريب لا زلن قادرات على افراز البويضات ، وأنه لم يطرأ تلف على قنوات فالوب عندهن .

فقال بل :

— ما أعجب الجسم البشرى ! ان فيه من العناصر الكيميائية ما تزيد فى غموضها على مغاليق العلوم الطبيعية . أقول هذا لسبب له وجاهته : فعلى الرغم من أن الأشعة فى جملتها تصيب بأذاها الجنسين معا فثمة أنواع منها تخص الذكور دون الاناث . وانى لأجد هذه الأشعة التى نعانى منها الآن شيئا جديدا لا عهد لنا به من قبل .

— لا أخال هذا شيئا له خطره .

— الحق أن هذه نظرة هامة لتلك الظاهرة وان كانت لا تعدو فى أهميتها مجال البحث النظرى .

فقلت له وأنا أنهض :

— سيكون لكل شىء من الآن فى تقديرنا قيمته من الوجهة النظرية .

ثم انصرفت تاركا الأستاذ بل يتخبط فى حيرة وارتباك .

***

وفى تلك الليلة بدأت محطات الاذاعة تذيع النبأ على أمواج الأثير . وكان لذلك أثره المروع فى أنحاء العالم جميعها . وعلى الرغم من أنى حشدت كل تلك العبارات العديدة للأوصاف الرائعة التى دأبت هوليود على

استخدامها وحاولت أن أؤلف بينها وأجعل من كل زوجين أثنين مثلما فعل نوح بحيوناته على ظهر سفينته ، على الرغم من هذا فلقد وجدتنى عاجزا عن أن أسجل وصفا للاحداث التى بدأت منذ تلك الليلة ومضت تجرى فى مجالها .

ولقد شغل بوجى بالقصة وأخذ يوليها عناية لا تقل عن عنايته بأمر هام كالانتخابات العامة التى تجرى فى البلاد مثلا . وسهرت الى جواره مكبا على العمل الى مطلع الفجر . وهكذا لم تكن القصة فى ظاهرها وفيما يصحبها من جهد ومشاق تختلف كثيرا عن معركة من معارك الانتخاب ، فلقد انقسم العالم كله معها الى فريقين : الفريق الذى آمن بصدقها والفريق الذى عدها وهما من الأوهام .

وتتابعت البرقيات ترد الينا من العالم الخارجى وتحمل قصصا غريبا عن أحداث كثيرة نبتت وتنوعت عن القصة الأساسية .

ففى بوسطن هب أسقف من الأساقفة المعروفين من نومه مذعورا على أصوات باعة الصحف وهم يصيحون مرددين النبأ وأخذ يجهر : ان هى الا خدعة دنيئة . وفى بلتيمور وقف زميل له لا يقل عنه شهرة يقول : انه كان يتوقع نتيجة كهذه ، وأنه لن يدهش اذا ما أنفجر العالم وحل به الفناء خلال ثمان وأربعين ساعة . وفى لندن جلس ملك الانجليز يتحدث الى شعبه فى الاذاعة البريطانية مؤكدا لشعوب الامبراطورية أن حكومة جلالته سوف تظل كما هى معنية بالأمر ، وأنها الى جانب ما تقوم به من استقصاء قد بدأت فى اتخاذ خطواتها الايجابية اللازمة . وعم الاضطراب باريس وازدحمت شوارعها بالمظاهرات ، وليس فى هذا ما يثير العجب ، فما تكاد باريس تخلو من الاضطرابات . وكنت لا تحس الا الصمت فى موسكو ، فلم تنبس موسكو ببنت شفة . وأخذ رئيس الجمهورية فى أمريكا يحث الشعب الأمريكى

على آن يلزم الهدوء والسكينة . وأمطرت جماعة من السيدات الحانقات بيت الأستاذ بل فى « مورننج سايد هايتس » بوابل من الحجارة . وسرت اشاعات مريبة فى فيينا وبودابست وفرنكفورت ومدريد وبرن معـا تردد أن هذا الأمر المعضل من مكر العلماء اليهود .

ومن الخير أن أقص ما وقع فى منزلى . فلقد عدت اليه مع مشرق الشمس وقبل أن تطالعنا الصحف فى الصباح ، فوجدت مارج قابعة فى ركن منه ، وحين نظرت الى منفضة التبغ التى كانت الى جوارها عرفت أنها أمضت الليل كله بجانب المذياع تستمع الى الأنباء المثيرة . وكانت اذاعة نيويورك لا تزال تواصل برنامجها وترسل ألحانا راقصة هادئة ممتعة . فخلعت ملابسى وألقيت بسروالى وقميصى على مسند أحـد كراسى الحجرة ، ثم وقفت الى المرآة الكبيرة أتطلع الى جسمى فاحصا ، فاذا بى أدهش لبطنى الضخم المتكور ، واذا بى أسائل نفسى : كيف نمـا البطن وتكرش فى حين أننى لا ألزم نفسى فى حياتى اليومية بنهج معين كما لا أتناول وجباتى فى أوقاتها ، وجلست أستمع الى المذياع ، وما انتهت الأغانى حتى أخـذت المذيعة تتحدث فى نغمتها الرتيبة المقتضبة والمعروفة للمذيعين والمذيعات عند الانتقال المفاجىء خلال البرنامج ، قائلة : يتوقف البرنامج لنذيع خبرا هاما جاءنا الساعة : دعا الجراح العام جورج جيل بواشنجتن الى عقد مؤتمر فى أوائل الاسبوع المقبل يمثل نخبة من علماء الطبيعة وصفوة من علماء العاصمة ليتدارسوا معا الخطة الناجعة الفعالة لاعادة الاخصـاب القومى فى جميع أنحاء البلاد .. .. .. [1] .

ولقد رأيت مارج عندها تخطو نحوى منفعلة حتى اذا ما دنت منى صاحت فى طيش : حلت بك اللعنة ... حلت بك اللعنة .

---

(١) حذفنا هنا أغنية وفقرة صغيرة .

— كم أنا آسف يا حبيبتى ! فما من شك فى أنها أخبار تثير وتحرك الشجن . وان التعب يهدنى الآن بعد عمل متصل طيلة يومى .

واعتمدت مارج على مرفقيها ودلكت عينيها ثم مضت تقول غاضبة :

— أجل انها لأخبار مثيرة . أولا تراها أنت كذلك ؟ أنت أنت أيها العنّين .

ولم أنبس ببنت شفه ، وقد رأيت مارج تفقد أعصابها للمرة الأولى ولقد راعنى منها هذا السلوك الممقوت . وبدأت أعرف أن الأمر أشد حرجا مما قدرت وقدر بوجى ... وعادت مارج توجه الى شتائمها وسبابها مرددة :

— انت خصى ... نعم خصى .

وسألتها منكرا :

— أراضية أنت يا مارج عما تقولين ؟ !

واستوت مارج فى جلستها على الفراش وكانت ترتدى منامة حريرية حمراء من حرير المظلات الذى جئتها به خلسة من مستودع جنود المظلات البريطانيين عندما هبطت فى ميغارا باليونان . وتساءلت « أتتيح لشقراء أن تتألق فى منامة حمراء مزدانة بشرائط المظلات البيضاء ، وترسل شعرها الذهبى منسقا على رأسها الدقيق ، ثم تحرك دموع الغضب فى عينها . ان أمامك امرأة جديرة بالحب لو كانت راضية النفس ، مقبلة عليك لكن ها هى ذى شاردة نافرة » .

وقالت لى : —

— ستنام وحدك على هذا الفراش !

— وما ذنبى فى ذلك يا حبيبتى ؟

— ذنبك ... ألم تعرف بعد جريرتك ، أعمدت من قبل الى أن يكون لنا معا أولاد ؟ وهل حاولت هذا من قبل أن تقع الطامة ؟



— وجريرة من هذه ؟ انها جريرة من قال آن العالم غير جدير بأن ينجب أطفالا .

— كان ذلك عام ١٩٤٣ حين لم يكن العالم غير جدير بانجاب أطفال .

— أو لم تكن هذه هي رغبتك أنت أيضا ؟ والآن حدثيني : هل أنا الذي أحدثت انفجار المسيسبي ؟ وهل سنقضي بعد هذا الانفجار زهرة حياتنا أو ما بقي لنا من عمر لا تربطنا عاطفة أو لسنا جديرين بأن نحيا على ود خالص متبادل ووفاء كامل ؟

— استمع الي يا ستيف ، واني لأعلم مرارة ما سأقوله لك ، وهل هي الا بعض حيلكم معاشر الرجال ، ولا تخالن أنا عنها مغضيات ، وسنجزيكم عنها جزاء وفاقا من عذاب حتى آخر رمق من حياتكم .

وما وجدتني في حاجة لأن أجيبها ، وملت الى غرفة النوم . وأنى لرجل أن يأخذ في اقناع امرأة تصيح قائلة : ما لرجل أن يدرك أبدا ما تجيش به نفوسنا من ألم ، فغاية ظننا أن حياتنا الى نهاية ، وليس ثمة ما يغرينا بأن نحيا من أجله .

* * *

وأدركت بعد ذلك صدق تقدير مارج ، فلقد أخذ يتزايد عدد النساء المنتحرات ، الى أن حدثت معجزة السيد آدم . ومضت الحياة في دورتها رويدا رويدا هادئة مستأنية رتيبة وكأنها ساعة دقيقة لن تملأ ثانية ، تحسب الزمن بحركتها المنتظمة الى أن يحين الوقت المعلوم التي تنقطع فيه حركتها وتقف جامدة .

ولى الشتاء وأقبل الربيع ، ولم تطالعنا الحياة بجديد ، فهذا معرض الفنون يقام في ميدان واشنجتون على عادته وها هم أولاء الشبان والفتيات يحتضنهم غرام متبادل ، يتخيلون حالمين بيوت المستقبل الناعمة غير ناسين غرف الأطفال ، تملؤهم حماسة الشباب ثقة بالمستقبل .

وأطلت في الآفاق ظواهر جديدة : أخذت سيارات ذات أضلاع صنعت

حديثا من البلاستيك تشق طريقها الى الوجود ، وصدر قرار اجماعى من الأمم المتحدة يرسم الحدود المجرية السلوفاكية ، ووفقت شركة أمريكية فى عقد اتفاق مع العراق لاستغلال بترولها لتسعة وتسعين عاما .

ثم مضت الحياة خطوة أخرى والناس فى شغل بمشاكلهم . تمتلىء الصفحات الأولى من الصحف جميعها بمختلف الأنباء والقصص الهازلة التى ترمز الى عقم الرجال ، ومما كان يزيد الأمر طرافة أن الأمهات كن لا يزلن يلدن ، ولقد جعل هذا الناس جميعا يسخرون من فكرة العقم ويتندرون بها ، هذا الى أن المسئولين من أعضاء الكونجرس والخبراء ورجال الدين ونفرا من رجال الأعمال والمال وقلة من الرجال النابهين فى الجيش ، كانوا يدلون مع كل يوم بما يكذب هذا .

وما أن حل شهر يونيه حتى أخذ القلق يساور الناس ، وما قارب الشهر نهايته أو كاد حتى استولى الذعر على القلوب وملك الهلع النفوس ، واذا هذه الحقيقة المؤلمة تسيطر على العالم كله وتطوى القارات جميعها من أواسط أفريقيا الى القطب حيث الاسكيمو ، وأحس الجميع الخيبة غير أنهم باتوا على أمل .

وفى اليوم الحادى والعشرين من يونيه طالعت الناس صحف الصباح وصفحاتها الأولى تحمل عناوين ضخمة بأحرف كبيرة :

غداً العقم العالمى

وحبس الوجود أنفاسه فى انتظار العاقبة الوخيمة ، وقد رأى بوادرها تنبىء بها ، فمنذ ذلك اليوم والأيام التى تلته أخذت الولادة تقل شيئا بعد شىء ثم اذا هى تنقطع انقطاعا تاما .

غير أن شائعات تناقلها الناس كانت ترد الطمأنينة الى النفوس . كنا على يقين من أن العقم لن يبقى طويلا ، ولن يمتد الى غير جيل أو جيلين .

وحل الخريف وأخذ العالم ينهض متثاقلا على الرغم مما رصده رئيس الجمهورية من أموال كثيرة لا تقاذ الجنس البشرى .

ومن أجل هذا عبأت الجهات العلمية جميعا جهودها وحشدت رجالها حشدا تحت علم واحد : علم اعادة الاخصاب القومى ، غير أن هذا كله لم يقف سيل المقالات التى أخذت تتساءل : ترى من سيرث الأرض ؟ أهى الحشرات أم الأسماك !

ويوما ما وبعد مرور عام بأكمله على انفجار المسيسبى قمت من نومى عند منتصف النهار وأخذت أنظر الى مارج وهى جالسة على حافة الفراش، وقد شبكت ساقيها ، ونفذت الى أنفى رائحة القهوة ، واذا هى تقول لى : اليك ما فعلت ، لقد وضعت مرشح الماء عند قاعدة السرير اذ كان هـذا الركن خاليا .

فأجبتها راضيا : يا لك من عبقرية !

— واليك فكرة رائعة أخرى ، يمكننا حين تظهر أجهـزة التليفزيون الجديدة أن نضع واحدا منها عند قاعدة الفراش . فنستمتع برؤية مباريات البيسبول فى أمسيات السبت ونحن فى الفراش .

فقلت لها محذرا : قد يقف الناس يوما على حياتنا الخاصة فيجعلون منها مادة للقصص والتندر .

ودق جرس التلفون فرفعت مارج السماعة ثم قالت وهى تسلمها الى وفى ملامحها دهشة : انها مارية أوستنهايمر تطلبك . وأخذت السماعة وبعد أن رحبت بمارية قلت لها :

كيف تمضين حياتك هذه الأيام وماذا تفعلين ؟ فقالت هذه الاخصائية فى الولادة :

ان ما أحب أن أحدثك عنه هو شيء جاد كل الجد . كان فى نيتى أن أخبرك بما طلب منى أن أقوم به .

فقلت وقد أحسست التأثر فى صوتها :

فلتتكلمى يا مارية .

— أصغ الىّ يا ستيفن ! ان طفلا يوشك أن يولد فى بلدة تارى تاون، هذا ان لم يكن قد ولد فعلا.

— سمعت شيئا مثل هــذا منــذ أسبوع ، فطرت الى مكان يدعى بج ستون جاب بفرجينيا وهبطنا حين بلغناها فى حقل من القمح فاذا نحن بين يدى وليد حقا ، ولكنّ لفيل فى ملهى معروف .

وتابعت حديثها فى تريث وفى رقة :

— غير أن نبأ اليوم جد لا هزل ، جد لا هزل يا ستيفن . ولعلك تذكر أنى حــدثتك يوما عن الطبيب بلاندى ذلك الطبيب المولد فى روشستر . فلقد دعى لولادة منذ أربعة أشهر ثم عاد فى شهر مايو .

— ترى ما باله لم يقل حتى اليوم شيئا ؟

— انك لأبله فلقد ظن بادىء ذى بدء أن الطفل سوف يولد ناقصــا على غير المألوف ثم اذا هو بعد انتهاء يونيه يظن أن أمد الحمــل قد طال وجاوز المألوف ، من أجل هذا آثر الصمت الى أن يتبين الأمر حقا .

— وهل تبين الأمر الآن ؟

— ليس ثمة شك فى هذا النبأ ، فلقد مضى على حمل الأم تسعة أشهر كاملة غير منقوصة ، وكان حملها بعد أشهر ثلاثة من ظهور تلك الاشعاعات التى عقم بسببها الذكور جميعا . ولقد جاءنى بلاندى هذا الصباح بجميع ما لديه من أنباء تلك الحال الفريدة . فقلت وأنا أجهد فى أن أجد مغمزا فى القصة وكنت على يقين من ذلك :

— وما باله قد جاءك بها ؟

— هذا لأنى عضو الهيئة التنفيـذية بلجنـة أبحاث نيويورك العاملة بمؤسسة اعادة الأخصاب القومية . ثم انه يدرك أن هذا الأمر سيثير ضجة كبرى فى ميدان الصحافة ، وأن دويا هائلا سيحدث عندما يولد الطفـل ، من أجل هذا سألنى أن أشير عليه .

ثم صمتت برهة واصلت بعدها حديثها ساخرة :

— قلت له ان فى مقـدورى اقناعك وأنت الصحفى الخبير بشـئون الصحافة يا ستيفن ، هذا الى أنك ممن يوثق بهم ويعتمد عليهم .

فقلت لها : فليباركك الله يا مارية ، فليباركك الله .

وجاءت مارج فقالت وهى تقطع علينا الحديث :

ماذا هنا ؟

فصحت بها :

صه ! رجائى ألا تتكلمى .

— ليس فى وسعك أن تبعدنى عما يقع .

قالت هذا ثم مشت الى صوان الملابس وأخرجت منه ثوبا أزرق اللون وبدأت تعد ثيابها الداخلية بأحد الأدراج . وواصلت حـديثى فى التلفون قائلا :

— وأين سيكون مولد هذا الطفل يا ماريه ؟

وساد الصمت لحظة أدركت أنها شغلتها بالبحث فى مفكرتها ، وشغلتها أنا بالتفكير فيما سيطلب منى بوجى أداءه .

ثم قالت ماريه :

هذا هو العنوان ، جيت هاوس ، روزمير ، تارى تاون .

— يخيل الىّ أن هذا المكان مزرعة .

فأجابت مارية تحدد المكان :

حقيقة انه بيت على مشارف مزرعة . هيا أعد عدتك للذهاب يا ستيفن ولا تتمهل فقد يقع الوضع فى أية ساعة من بعد ظهر اليوم ، هذا ما يؤكده بلاندى . ثم لا تنس أنك سندنا فى هذا المأزق .



وخلعت منامتى قبل أن أترك الفراش فصاحت مارج فى دهشة :

— لم أرك فى حياتى كلها كما أراك الآن عجلا يا ستيفن .

— ضعى بعض القمصان والملابس والمناديل وكذلك أدوات الحلاقة فى احدى الحقائب . بالله عليك الا أسرعت فهناك طفل على وشك أن يولد، وانى لأرجو الله أن يكون هذا حقا .

— والى أين نحن ذاهبان ؟

— الى تارى تون .

— ان رحلة قريبة كهذه ليست فى حاجة الى هذا كله .

— لو تحقق مولد الطفل فلن أبرح المكان سريعا .

— أتعنى أننا سنقيم فترة من الزمن هناك ، ما أظنها الا رحلة هامة .

ونظرت الى مارج فوجـدتها قد فرغت من ارتداء ملابسها ، فأخذت حقيبتى فى خفة ومهارة وكأننا تاركو البيت لنزهة من نزهات آخر الأسبوع على حين لم يكن بيننا وبين قيام القطار الا عشرون دقيقة . واستقللنا سيارة من الشارع الخامس الى المحطـة حيث كانت الأضـواء تسطع على طول الطريق . ولبثنا فترة قبل أن يقوم القطار الى تارى تاون ، قطعناها فى قراءة الصحف وارتشاف قدحين من اللبن .

مضى القطار يزحف على الأرض زحفا الى هدسـون وكأنه مركبة من مركبات الترولّى تسير وسط المدينة ، لا يمر بمحطة فرعية الا وقف عندها يبطىء ويتلبث حتى ملأ النفوس ضجرا .

ولقد أخذت أرقب المحطات على التتـابع ، جلين وود ، جراى ستون هاستنج على الهدسون ، دوبزفرى ، ثم ارڤينجتون ، وكانت المحطـة التى تليها تارى تاون ، وهناك وجدنا سيارة أجرة فسألت سائقها : أتدرى أين روزمير ؟ اخالها مزرعة !

فألقى السائق بعقب سيجارة كان فى فمه ثم قال : أعرفها حق المعـرفة فلقد عشت فيها طيلة حياتى . أتريدان الذهاب الى روزمير ؟

قلت وأنا أضع الحقائب فى المقعد الخلفى : حقا .

وقال السائق : دعونى أضع الحقائب فى المكان المخصص لها .

قلت : لا . لا ضير أن تبقى مكانها .

فقال السائق فى جرأة : انك عجل أشد العجلة .

ولم أعقب على قوله وسكت ، وتركتنى أتخيل : ترى أى أناس هؤلاء الذين يقطنون « جيت هاوس » لعلهم من الخدم ، ولعـل ما وقع كان عن علاقة نشأت بين خادمة ورئيس خدم فى بيت ما ، فقالت مارج : هدىء من

روعك يا ستيفن ، ودع الأمور تَجْرِ فى أعنتها . وما يمكن أن نكون أكثر عجلة .

زحفت العربة الى التل زحفا وئيدا ثم انتهت الى بوابة ذات أعمدة حجرية قد شدت اليها سلسلة ربطت بقفل . وكان وراء تلك البوابة منحدر ضيق يتسع للسيارة مرصوف بالحصى . وسأل السائق :

— أتريدان هذا البيت الكبير ؟ ان أهله يوصدون — فى مثل هذا الوقت من كل عام — أبوابه وينزحون عنه الى الجنوب .. فأجبته :

لا . بل ذلك الكوخ المشرف على البوابة .

ففك السائق السلسلة وانحدرت العربة فى بطء نحوا من خمسين ياردة ثم هبطنا منها أمام بيت صغير متطامن قد شيد من حجارة صلدة وأحكم بناؤه ، تخيم فوقه شجرة من البلوط جرداء تغطى سقفه المشيد من طوب أحمر باهت ، وكانت أمام هذا البيت سيارة سيدان بويك طراز عام ست وأربعين وتشير البطاقة الخضراء المثبتة فى مقدمتها الى أن صاحبها طبيب مولد . وأعطيت سائق السيارة دولارا فعاد بسيارته الى الوراء ليأخذ طريق العربات ، وضغطت على الجرس ثم قرعت الباب فى عنف فاذا هو يفتح لى واذا أنا بين يدى رجل فيما بين الخامسة والأربعين والخمسين فارع الطول محمر الوجه ينضح جبينه عرقا وقد نزع سترته وشمر عن أكمامه فبدا لى وكأنه قد فرغ من عمل شاق . ودلفت أنا وزوجى نحمل حقائبنا فسألنا قائلا :

أأنت السيد سميث ؟

— نعم وهذه زوجى مارج .

— أهلا بكما . وأنا بلاندى . وعذرا اذا لم أمد اليكما يدى مصافحا فهى لا تزال مبتلة بالماء . لقد حدثتنى عنك ماريه غير أنها لم تذكر لى شيئا عن زوجتك . فأسرعت مارج تقول :

— أخشى ما أخشاه أن أكون قد تطفلت حين جئت معك ، فان كان الأمر كذلك ..

فقطع عليها الطبيب الحديث قائلا :

— لا ان معى حقا ممرضة فى الطابق العلوى ولكن لا تنسى أن ثمة عشرات من الأشياء تنتظر عونك ومساعدتك . ومهما يكن من شيء فان واجبك الأول يا ستيفن هو أن تعنى بأمره .

قال هذا وهو يومىء برأسه مشيرا الى ركن خلته بادىء ذى بدء لا يضم غير معزف ضخم ثم تركنى وأخذ يصعد الدرج لاهثا ، وحين أنعمت النظر ، وجدت هنالك رجلا يكاد المعزف يحجبه قد جلس متربعا على حشية خضراء قلقا معتما قد طوى ساعديه واسترسلت لحيته الطويلة بين راحتيه فقصدته وأنا أقول .. مرحبا بك . فقال وهو ينهض واقفا على قدميه : مرحبا بك ... أنا آدم ...

فدهشت لفرط طوله اذ كان يربو على ستة أقدام ببوصات أربعة أو خمسة أو قل بستة وسألته ، ماذا تقول :

— أنى آدم .. هومر آدم .

— هل أنت الـ ...

— أجل انى أنا الذى سألد طفلا ... أعنى أن مارى الين هى التى ستقوم بهذا .

وظل يضع يديه فى جيوب سترته ويخرجهما . وكانت يداه طويلتين معروقتين وقد بقيتا ترعشان رعشة عصبية كما كانت خصل شعره الحمراء تتمايل هنا وهناك ولا تكاد تستوى على قمة رأسه ، فقلت وأنا أحاول أن أسبغ على صوتى رنة فيها الفرح ومعها الثقة .

— والآن هيا أطرح الهموم أيها الرجل . انى أنا ستيف الصحفى وما حملنى على المجىء الا الأمل فى أن أسدى اليك معروفا وأن أمد اليك

يد العون فلا تدع للتأثر عليك سبيلا ، ألا ترى أنك أول من سينجب طفلا وأنه ما من أحد قبلك قد فعل ذلك .

— أجل ما فعل ذلك أحـد قبلى ... أعنى فى تلك الفترة الأخـيرة .

وكانت عينا مارج تفحصان الغرفة وتتفرسان كل شيء فيها : صور القنص ثم المدفأة فخزائن الكتب ثم الستائر . وأخذت تضحك فى سـذاجة وهى تقول لنفسها : كم أحبه وكم هو لطيف !

ودوت فى الطابق الأعلى صرخة حادة لامرأة ثم انقطعت دون أن تكمل وغشيت آدم رعشة ثم وقع خائرا على الأريكة . وكم دهشت حين رأيته لا يشغل الا حيزا قليلا لا يزيد عن بضع أقدام وهو جالس ، على حين آراه فارع الطول مديد القامة وهو واقف .

ثم قلت لهومر وأنا أجلس الى جواره :

استمع الى يا هومر فعندى بضعة أسئلة أرجو أن تجيبنى عنها الآن .

وبغتة جاءت مارج تحمل شيئا من الويسكى والصودا ، وبعد سـاعة عادت ثانية تحمل شطائر ، وحين أرخى الليل سدوله صكت مسمعى أصوات تنبىء عن عمل جاد له أهميته ، عندما صاح الطبيب بلاندى :

أبشروا أيها القوم . أبشروا لقد تحقق الوضع . انها بنت . انهاروبى بنت جميلة . لقد خرجت الى الحياة دون جهد ما .

وصرخت صرخة مدوية : كم وزنها ؟

فقالت مارج : يا له من سؤال فارغ لا وزن له .

— أعرف هذا ، غير أنه هو السـؤال الذى درجتم على طرحه عقب الولادة توا .

ورفع الطبيب بلاندى صوته يقول :

— ان وزنها طبيعى مألوف ، أعنى بهذا وذاك أنها تزن سبعة أرطال .

فأسرعت الى التليفون وتحدثت الى بوجى رئيس التحرير وقلت له فى

تؤدة وحرص على تخير الكلمات : هاك نبأ خطيرا . لقد أنجب السيد هومر آدم وزوجته مارى ايلين طفلة . وذلك فى الساعة السادسة والدقيقةالواحدة بعد الخمسين من مساء اليوم فى مدينة تارى تاون بنيويورك .

ونظرت فى ساعتى لأتحرى صحة الوقت فوجدته كما قلت وسـألنى بوجى :

أمالك أنت لقواك العقلية ، أم تراك أسرفت فى الشراب يا ستيفن ؟

— ألق الىّ بسمعك كله . فانى أعرف ما أقول .

— أتقول ان آدم هو والد الطفل .

— أقسم لك على ذلك ، ان آدم ، انه آ . د . م ، انه هو بلحمه ودمه .

وألقى الىّ بوجى أمره فى هدوء يقول :

— أعد تقريرا موجزا عن النبأ خلال خمس دقائق ، وبعد ، فعليك أن تملى القصة كاملة ثم لا تن عن أن تزورنى ومعك الصور الفوتوغرافية ... انها وربى لأروع قصة .

— انها فى الحق لكذلك أروع قصة منذ بدء الخليقة .

— لا بل منذ حادث المسيسبى .



الفصل الثالث

لو أن هومر آدم قضى نحبه قبل هـذا اليوم الذى أصبح فيه الأب الفرد فى العالم بعد حادث المسيسبى ما عنيت صحيفة واحـدة من صحف بلدته بأن تنعاه فيما لا يزيد عن جمل ثلاث مهما كانت الأسباب التى تدور حول وفاته .

ولد هومر فى هيانس بنبراسكا وهى مدينة صغيرة غنيـة بمواشيها ، ويقال ان جده الأكبر نزح الى هذه المدينـة التى هى مسقط رأس هومر عبر السهول فى عربة مقفلة — وكان هذا حدثا أثار اهتمام محررى الصحف حين بدأت السلطات تدرس مشروعات تعمير المنطقة .

وكان هذا الجد راعيا ، وكان أبوه بقالا يبيع بالجملة .

وكان هومر فى صباه على شيء من الحيـاء . وكان مولعا بجمع طوابع البريد شغوفا باقتناء التحف الفنية الثمينة التى أبدعتها يد الانسان . وكان أكثر شغلا بهذه وتلك منه بكرة القدم وركوب الخيل والصيد .

واندفع هومر يحدثنى عما تعيه ذاكرته حول طفولته بعـد أن اطمأن الىّ ويقول :

— لقد كنت مفحشا فى الطول افحاشا يتنافى وسنى فى صباى وكان هذا يغرى بى من هم أصغر منى جسما من الأطفال وأكبر سنا على أن يضربونى ويغلبونى على أمرى . ولقد أورثنى هذا شعورا بالنقص .

شب هومر منذ نعومة أظفاره مولعا بدراسة الآثار وكان والداه غير راغبين فى ذلك اذ كانا يحبان له أن يكون رجل أعمال ، ومن ثم عكف على

دراسة الجيولوجيا ودخل مدرسة المعادن فى كلورادو فكان من المبرزين واذا هو يلحق بمنجم من المناجم عقب تخرجه وحصـوله على درجتـــه الجامعية .

وعندما نشبت الحرب لم تر هيئة أطبــاء الجيش انه يصلح للخــدمة العسكرية لطوله المفحش ولاسترخاء عضلاته وشدة نحافته غير أنها رأت الانتفاع به فى جهود أخرى تتصل بالحرب وبعثت به الى استراليا . وهناك لبث فى الصحراء يعمل فى منجم وقتا طويلا . واذا هو بعد هذه الغيبة الطويلة يتحرك فيه الشوق الى وطنه فيقضى أوقات فراغه فى تحرير خطـابات الى حبيبته مارى الين كوب يبثها فيها غرامه وكانت ســكرتيرة بمكتب شركة جوجنهيم فى نيويورك حيث كان يعمل قبل رحيله فى مدينة صغيرة للتعدين فى الصحراء بالقرب من أليس سبرنجز . وعند عودته من استراليا تزوجها بعد أن قضيا معا فترة خطوبة هنيئة .

وكانت هذه هى الحقائق الجوهرية التى آثرنى بها وأنا أنصت اليـه فى غرفة الجلوس من الكوخ ، نرقب ميلاد طفلته . وعلى كل حال فقد كانت تلك هى الحقائق التى فاض بها قلبه وانطلق بها لسانه ولم تكن فى تقديرى من الأمور الأولى التى كنت أحب أن أستخلصها منه فلقد قطع على مولد ابنته الفرصة فلم أسأله عما يجب أن أسأله عنه وما تم لى هذا الا بعــد أن مرت فترة طويلة أعنى بعد أن اطمأن على فلذة كبده وبعد أن رحلت مارج لتعود الى بيتنا فى الشــارع العاشر اذ لم نجد لهــا فى بيت هومر مكانا تبيت فيه .

وبعد أن اختلست نظرة الى الأم وطفلتها ، نظرة اطمئنان وتهنئة عدنا الى غرفة الجلوس حيث وضعت فى يد هومر كأسا أخرى من الشراب مهنئا اياه بسلامة الزوجة ومولد الطفلة .

وكانت السيدة مارى الين شـــابة تفيض صحـــة وتفيض مرحا وتنطلق أسارير وجهها بشرا وتختلج قسماتها كلها هوى وحبا .

ولقد أكد لى الطبيب بلاندى أنها حملت آلام المخاض فى عزم وصبر كبيرين ، وقال لقد تم هذا فى يسر وتوفيق وكنا وكأننا نخـــرج حبة فول سودانى من قشرتها . واما عن الطفلة فشأنها شأن كل مولود طبيعى قـــد امتلأت حيوية ونمت مخايلها عن ذكاء .

وبعد أن حدثنى هومر آدم بحديث حياته أخذت أعتذر اليه عن تلك الأســئلة التى ألقيتها عليه وكان لابد لى من توجيهها له غير ملق بالاً الى وقته ولا الى قلقه ثم أردفت قائلا :

— انى واثق كل الثقة أن القلق قد أخذ منك مأخذه وليس عجيبا على من كان فى مثل حالك أن يقلق . ثم لتطمئن الى أنك قد وفرت على نفسك باجابتك عن هذه الأسئلة عناء كبيرا كنت ستلقاه بعد ، فما أظنك تعلم ان مخبرى الصحف جميعهم فى نيويورك سوف يخفون الى هذا المكان بعد قليل . وانى لباذل كل جهدى فى أن أكفيـــك شرهم ان رأيت أن تزودنى بما أطلبه منك مما أنا فى حاجة اليه .

وأضطرب هومر اضطراب الشجرة اللدنة فى مهب الريح ثم جرع كأسه وقال وكأنه يتأوه :

رباه كيف قدر لى أن ألقى هذا كله !

وقلت له :

دع عنك التباله فانك لرجل قد أســعدك الحظ وســوف يعلو نجمك ويسطع اسمك وتكون مرموقا ولقد غدوت بفضل الله وعنايته صـــاحب الحظ الأوفر من بين الذكور جميعا .

— ان ما يشكل علىّ فهمه ويغمض عنى معناه هـــو : كيف حـــدث

ما حدث ؟ ثم هل لك فى أن تناولنى كأسا أخرى من الشراب علها تهدىء من روعى فانى كما ترى خائف وجل .

وصببت له جرعات من شراب لم أخففه الا بقليل من الماء فابتلعه فى جرعة واحدة فاذا حلقه يغص واذا الدموع تطفر من عينيه ، فقلت له محذرا :

على رسلك وانى لأرجو أن تخبرنى : أين كنت يوم انفجار المسيسبى؟

— كنت فى كلورادو وقد دعانى الى هناك مدير المنجم لأقوم بالبحث والاستقصاء ولأكتب تقريرا عما اذا كان من الممكن التنقيب ثانية فى مناجم الفضة والرصاص .

— وفى أى مكان من كلورادو على التحقيق ؟

— بالقرب من ليدفيل . ولقد قضيت النهار فى جوف المنجم الثانى وانى لأخالك تعلم انه من أكثر مناجم العالم كلها عمقا بل هو فى الحق أكثر مناجم الرصاص عمقا ، وحين صعدت قصدت الى ليدفيل مع المساء وكان اليوم يوم الأحد على ما أذكر . ولشد ما كانت دهشتى حين حدثنى الأهلون عن ذلك البريق الخاطف الذى لمعت به صفحة السماء ولقد سمعت بعد الخبر مفصلا من الاذاعة .

ولم أجد أننى كنت فى حاجة الى الاحاطة بعلوم الطبيعة احاطة الأستاذ پل كى أقوى على تعرف الأسباب التى تفسر معجزة آدم فسألته :

— ليس مستبعدا أنك كنت ساعة الانفجار فى عزلة عن هذا العالم تحجبك عنه طبقات الأرض .

وفكر آدم ثم قال :

— أجل أعتقد ذلك فان الرصاص يقى الانسان أثر الاشعاعات وقد كانت فى الطبقة الدنيا من هذا المنجم وفرة من الرصاص والفضة شأنها فى

ذلك شأن المناجم الأخرى فى أنحاء العالم . هذا الى أن تلك المقادير الوفيرة ليست ذات قيمة اقتصادية لأن .....

وقطعت عليه الحديث قائلا :

— خل عنك بحث الموضوع كما ينظر اليـــه المعدنون ولنستعرض وجوهه المختلفة من حيث صلته بالاشعاعات وآثار تلك الاشـــعاعات التى نجمت عن الانفجار .

— لما كان الرصاص يقى الانسان آثار الاشعاع فلقد كنت وأنا على عمق يبلغ — فى ظنى — الميل أو يزيد آمن رجل فى العالم .

— ان هذا لبيّن حقا لا يقبل جدلا وإلا يثير شكا لو اننا تدبرناه فى ضوء الحقائق الثابتة المعروفة .

ودفعنى الأمل فى أن يكون ثمة آخرون من الذكور مثله قادرون على الانجاب فسألته قائلا :

— ترى هل كان معك غيرك ؟

— لا . اذ أن المنجم الثانى مهجور منذ عشرات الســنين . واذا كان هناك نفر من الحراس فما كان لهم من عمل ذى بال غير تحريك المصــاعد وحراسة الآلات والمحافظة على أنابيب الصرف وفحصهــا بين حين وحين وما كان لهم أن يهبطوا الى أعماق المنجم .

* * *

كنت أحسب أن الأيام التى تلت مولد طفلة هومر آدم بما حملت لن تشغل فكرى وخيالى . لكن الأمر جرى كما لو كانت حكاية التوائم الخمس بنات ديون [1] قد عادت الى الحياة من جديد ، وأن يكون الأب فى هذه

(١) توائم ديون الخمس : هن خمس بنـــات توائم ولدتهن الزيراديون Elzira Dionne بالقرب من كوربى (أونتاريو) فى ٢٨ مايو ١٩٣٤ وكانت قد أنجبت قبلهن ٥ بنات أخريات وقد أعطين عناية استثنائية وتحت رعاية التاج . وكانت أسماؤهن : مارى ، سيسيل ، أنت ، ايفون ، اميلى .

الحال الفريدة لا الأم هو قطب الرحى . هذا الى أن ثمة مفارقات كبيرة بين الحالين ، احداها أن كل حى دون استثناء كان معنيا بالسيد آدم عناية حية ملؤها الشغف وانى على هذا أقر بالعجز والقصور عن وصف هذا الحادث الجلل وصفا يستقيم وحال السيد آدم ورفاهيته فى حاضره ومستقبله ،هذا الحاضر وذلك المستقبل اللذان كما يدل عليهما لفظاهما يعنيان بقاء الجنس البشرى أو فناءه على ظهر الأرض كلها على السواء .

وجاءتنى جماعات غفيرة من زملائى فى المهنة من صحفيين وصحفيات راحت تطاردنى وتزعجنى وتضيق على الخناق بأسئلة لا حصر لها بددت وقتى الثمين وحرمتنى الاستمتاع به على حين كانت لا تكف عن التندر بى والسخرية منى ، تعاود السؤال وترقب الجواب .

واذا ما حجبت عنهم شيئا أخذوا فى العراك واذا ماتوانيت عن الاجابة لجأوا الى الغلظة والخشونة والى كل مافيه امتهان لكرامتى غير حاسبين لروح الزمالة حسابا ، فاذا بى فى حيرة وارتباك واذا بى لا حول ولا قوة ، واذا بى عاجز عن أن أفهم ما وراء هذا كله وما جدواه .

ولم أنس هذا الدرس القاسى المؤلم ، من أجل ذلك فكرت فيما أحمى به نفسى من هذا العذاب وتوصلت الى أسلوب طريف ناجح كانت دور الصحف تنتهجه فى تسجيل الأحداث خلال الحرب العالمية الثانية ، أعنى به نظام التصوير المشترك ، أو قل الحد من مصورى الصحف والمحررين ، فبدلا من أن تتجمع منهم عشرات فى هذا المكان الضيق حيث ولدت طفلة آدم ، أختير مصور من مصورى الصحف وآخر من مصورى السينما كى ينوبا عن الباقين فى اعداد الصور وجمع المعلومات التى تعنى الشركات ودور الصحف ووكالات الانباء .

ونظمت مؤتمرات صحفية غير صاخبة يلقى فيها السيد / آدم ومارى

الين والطبيب بلاندى والسيدة بريندج الممرضة المدربة التى كانت على الرغم من ميلها الى الصمت تقف فى سبيل كل ما تتخذه من خطوات مدفوعة الى ذلك بطبعها الاسكتلندى العنيد ، وبعد لأى أفلحنا فى حملها على السماح للصحفيين برؤية الطفلة التى أطلقت عليها الأم اسم اليانور وكان ذلك فيما يبدو لى لسبب سياسى واحد هو أنها كانت ديموقراطية متحمسة .

وفى الوقت عينه استطعت أن أعد تحقيقا صحفيا لا بأس به لوكالة الأنباء التى أعمل بها لكى أظفر برضى رئيسى بوجى . ولقد توخيت فيما فعلت القصد والاعتدال كيلا يكون سببا يثير التذمر بين السادة الزملاء وحرصا منى على أن أبقى حيث أنا فى مكانى الاستراتيجى العتيد .

ولقد رأيت فى جملة ما قمت به أنى وفقت التوفيق كله فى كسب رأى الجميع .

وكانت هذه المؤتمرات الصحفية كما قدر الجميع ذات طابع علمى يعنى بعلم الأحياء ، وما نظننا كنا نستطيع بغير هذه الوسيلة أن تتدارس مثل هذه القصة النادرة .

وعلى الرغم من أن هومر كان يبدو خجلا حائرا ، يقف أحيانا على ساق مرخيا ساقه الأخرى وكأنه طائر غريب من طيور الكركى ذات الرءوس الحمراء فقد كان يتراءى فى نفس الوقت حاد الطبع سريع الخاطر حاضر البديهة خاصة عندما سألته محررة عجوز شمطاء ماكرة ساخرة تعمل باحدى الصحف المصورة . فقالت له فى جرأة :

— لست أسألك الآن أيها السيد آدم عما اذا كان هناك خطأ قد وقع فى هذا الأمر ولكننى أريد أن أسألك : هل كانت هناك بينك وبين زوجك قبل الزواج صلات جاءت عفوا وأملتها الصدفة ؟

وأجاب آدم فى هدوء بعد ان أسترد أنفاسه :

— أراك ، يا سيدتى تسوقين الىّ عبارات ضخمة جـوفاء ، فان كنت تعنين أنى خلوت بها قبل الزواج فجوابى على ذلك لا .

وهنا هبت المحررة واقفة فضج سائر المحررين ضحكا فضاقت بذلك وقالت :

— انما أجهد جهدى فى أن أقف على شىء ذى بال الا وهو أن هـذه الطفلة لم تكن الا ثمرة حمل طويل الأمد على غير المألوف .

وقال هومر : من المستبعد أن يصح ما تزعمين وهذا لسبب واحد وهو أن مارى الين كانت تعيش فى نيويورك حتى اليوم السابق لزواجنـا بينما كنت أنا فى كلورادو .

وعادت الصحفية البذيئة السيئة النية تقول لهومر :

— ولكن ثمة علاقات جنسية تخرج أحيانا عن مألوف تلك العلاقات التى تتم بسبب الزواج .

وكنت أحس بالرغبة فى أن أجيب على هـــذا بالذات غير أنى آثرت الصمت لعل هـذه الصحفية تكف عن الكلام . فلزمت الهدوء ، وظل هومر واقفا ساكنا ويداه الطويلتان المعروقتان تصفران وتتقلصان ، وقد بدا وجهه ممتقعا .

وتدخل فى الحديث زميل اسمه مايك برجن يعمل فى صحيفـة التايمز وقال لها : —

— استمعى الىّ ياسيدتى — وكانت لهجته وهو يقول سيدتى تثير الشك فى هذا اللون من السيدات اللائى أراد أن يسوق اليهن الحـديث بتلك اللهجة — أعتقد أن الصواب قد جانبك وبعـد عنـك يا سيدتى وحسبك على أية حال أن شعر الطفلة كشعر أبيها أحمر .

وأرادت المحررة العجوز ذات الوجه الغض الطرى طراوة العجين أن تستر فشلها وأن تبدى أسفها لما صدر منها من تجريح فقالت :

— ان رئيسى هو الذى ألقى الىّ بهذا السؤال .

ولم تكد الصحافة تفرغ مما يشبع نهمها ويروى فضـولها حتى بدأ الجيش الأمريكى زحفه ، ذلك الجيش العتيد الذى يغدو عندما يدعو داعى الواجب والحرب كتلة واحدة يمتلىء غيرة وحماسة وتفكيرا وتدبيرا ويصبح أحسن ما يكون استعدادا وكفاية على الهجوم . فان لم تكن ثمة حرب تدعوه أو تهيجه فهو على حال أخرى ، فلا نشاط ولا حماسة ، ولا عمل . ولقـد خشيت أن يكون ثمة أمر قد دعا الجيش الى تطعيم قيادته وتشكيلاته بدم جديد من الشباب مع الابقاء على الجنود القدامى المدربين خشية منافسـة الحياة المدنية لحياة الثكنات والتأثير عليها ، الأمر الذى قد يغرى الضباط بالاخلاد الى الراحة والدعة .

أجل لقد بدأ الجيش زحفه بعد أن أفلت الزمام من أيدى رجال الشرطة المحليين وغدوا عاجزين عن تسيير دفة الأمور وحفظ النظـام وبعد أن استغاثوا المرة بعد المرة بالجيش كى يمدهم بفصيلة من الشرطة الحربيـة تلك الفصيلة التى كان لها دون غيرها الفضل كل الفضل فى اعادة النظـام وانتظام حركة المرور من جديد والحيلولة بين الفضوليين وبين أن يتسلقوا سور الحديقة وابعـاد الذين كانوابين الحين والحين يقلقون بال السـيدة براندج وهم يصوبون اليها نظرات عابثة من عيون تشبه عيون الحشرات وهى عاكفة على اعداد الطعام للطفلة اليانور ، ولقد كان الجهد الأكبر الذى بذلته تلك الفصيلة والعمـل الأهم الذى قامت به هو اقصـاء الفتيات المراهقات عن هومر ، هؤلاء الفتيات اللاتى شغلهن طيشهن وثورتهن بآدم فانصرفن عن أن يبدين اعجابهن بمشهورى المغنين العاطفيين ونجوم الشاشة اللامعين . ولم يعد رجل يستأثر بهن سواه بعد أن حرصن على اقتناء صوره الشمسية يجدن فيها ما يجذبهن اليه جنسا ويحرك مشاعرهن .

وأحاط رجال الشرطة الحربية بالمزرعة فأثارت حركتهم العسكرية تلك التى لم تكن مألوفة لهومر الرعب فى قلبه وأرعشت فرائصه ، كما أثارت الفزع فى قلب مارى الين فصدفت عن ارضاع الوليدة ، وغدا هومر يحس بخيبة الأمل فلقد عمه الشعور بأنه ليس مواطنا مثل سائر المواطنين له حقوقه المكفولة التى تتيح له أن يستمتع بحياته الخاصة مثل ما يستمتع الناس وأن يذوق طعم الحياة المنزلية حرا مع زوجته وطفلته . وما أن وصل العقيد فليبس سمايث الى روزمير حتى بدأ هومر يحس أعباء رسالته الانسانية المقبلة ، تلك الرسالة التى ستكون لخير وطنه ولخير بنيه ولخير الجنس البشرى كله .

وفيما أنا ألهو بلعب الورق مع هومر دخل علينا المنزل العقيد فلپس سمايث يدفع الباب بنعله الطويلة ذات المهماز وهو يقول : أين سيد هذه الدار ؟ بودى لو رأيت السيد آدم .

وتحرك هومر تحرك الرافعة وسرعان ما قال : أنا آدم ، غير انه لا سيد هنا ولا أتباع .

وأفصح فليبس سمايث عن غرضه قائلا ان عدم وجود مسئول هنا هو ما حملنى على المجىء ، وقد انتدبنى الجيش لأحمل هذا العبء . ثم صمت لحظة أخذ بعدها يقدم لنا نفسه فى أسلوب أشبه بأساليب المسرح وهو يقول :

— العقيد فلپس سمايث الياور الخاص للقائد العام للمنطقة الوسطى وضابط الشئون العامة .

ثم أشار بأصبعه الغليظ الى عنق هومر وهو يقول :

— انت منذ الآن فى حماية قيادة المنطقة الوسطى ، فلقد غدا القائد كيب مسئولا عنك وعن سلامتك أمام الدولة ، وكذلك غدوت أنا الآخر مسئولا أمام القائد كيب .

وأخذ العقيد يتطلع الىّ ويتطلع الى الطبيب بلاندى تطلع المستعلى قد ألقى فى روعه أنه قد ملك الموقف دوننا ، يدفعه الى ذلك شيء فى نفسه لا صلة له بواجبه الملقى عليه من قريب أو من بعيد ، يحس أنه قد أسدى الى هومر صنيعا فخلصه من عسفنا ومن سطوتنا . ولقد قابلت نظرته بنظرة مثلها وليس أكره الى نفس أمريكى مثلى يدعى اسمث من مثل هذا الرجل سمايث الأجنبى ، الدخيل المطعون فى وطنيته [1] وعلى كل حال فما كنت لأحب هذا الا سمايث الهجين . ولقد رأيت صدره يزدان عرضا بأوسمة تحكى ألوان الطيف ، تزيد أضعافا ثلاثة وهى تتدلى من صدره وقد سطع من فوقها وسام النصر فى الحرب العالمية الثانية ، ووسام آخر يرمز الى بيرل هاربير قبل حدوث معاركها ، وحولهما أشرطة لميادين القتال الأمريكية والأوربية والآسيوية ، بيد أن هذه الأوسمة كلها كانت تعوزها النجوم التى تلمع وتزهو بينها لتؤكد أن حائزها قد حقق نصرا أو أدى واجبه فى معارك حقة ولذلك بدت لى جوفاء أشبه شيء بما يضعه السائحون فى الثلاثينات من هذا القرن على حقائبهم من ملصقات الفنادق كى تلفت النظر اليهم بتنافرها فى جولاتهم الممتعة فى أرجاء أوربا خلال أسابيع ثلاثة .

لم يكتف العقيد بهذا بل لقد ضم اليه زخارف أخرى غريبة تبينتها فاذا هى تعزى الى بلاد أخرى وأماكن مثل أورجواى وجمهورية دومينيكان والمعرض العالمى ، وتدلت أسفل هذه الأشرطة شارات تشهد بأنه فارس ماهر يجيد اطلاق الرصاص بالمسدس أو البندقية ، وأبصرت كذلك قطعة من الحلى براقة مطموسة المعالم وضعت على الجانب الأيمن ، من بطنه حيث

---

(١) Hyphenated Smith اصطلاح يطلق على الأجانب المستوطنين والحائزين على الجنسية الأمريكية فى الولايات المتحدة الأمريكية وان بقى ولاؤهم موضوع الشك غالبا .

يبرز كرشه ، فعرفت أنها جزء من حزامه الذى يشده على وسطه وسألته أستوضحه :

— ولكن خبرنى ما الذى جر قيادة المنطقة الوسطى الى أن تقحم نفسها فى الأمر وتستأثر بالسيد آدم ؟

فصاح بى العقيد قائلا : أولا وقبل كل شىء ... ثم قطع كلامه وقال يوجه الحديث الىّ : أأنت ذلك الصحفى الذى أقحمت نفسك فى هذا الأمر وتوليت نشره والاعلان عنه ؟ ومن الذى خولك حق البقاء هنا ؟

فأجاب هومر : أنا الذى قبلت ذلك .

فضحك الطبيب بلاندى وقال : أليس هذا بيت السيد آدم ؟

ومضت برهة روعت فلبس سمايث بما لم يكن يتوقعه من مقاومة وبعد عن الاستجابة له والصدوع لأمره غير أنه سرعان ما تملك نفسه ثم قال :

— لا تثريب عليك لجهلك السياسة العليا ، ولتعلم يا هذا أن الهيئة المشتركة لرؤساء أركان الحرب قد اجتمعت لتناقش الموضوع ، ولقد استقر رأيها بعد أن نظرت الى المصالح القومية ومستقبل الدفاع عن البلاد على أن تعد السيد آدم من الممتلكات الحكومية ذات الأهمية الاستراتيجية الحيوية » ولقد أمضت الهيئة هذا القرار بما لها من سلطة مخولة فى الدفاع القومى المرتقب .

وختم بلاندى هذا الحديث بما يمليه المنطق فقال :

— لقد انتهى الى علمى أن الكونجرس قد طلب من الوزارة أن تفعل شيئا من أجل هومر المسكين . ويخيل الى أن هذا هو كل ما أستقر عليه رأيها .

واعتدل هومر فى جلسته فجأة وصاح وبريق عينيه الوادعتين عن سخط :

— ولكننى غير راغب فى أن أغدو ملكا لانسان وما أريد الا أن أترك وشأنى الى جوار زوجتى مارى الين وطفلتى الصغيرة . وهل كتب علىّ أن أحمل وزركم جميعا اذ غدوتم عقماء ؟ !

وضع فلپس سمايث كفه الغليظة على كتف هومر الشــديدة الانحدار ثم قال :

— يا بنى ، لا تنس أن هذا القرار قد أملته المصلحة العليـــا للوطن ولتعد نفسك سرا عسكريا من الأسرار الهامة التى لا تقل شأنا عن القنبلة الذرية .

وتمثل لى ما أصيب به مستقبل البشرية بعد حادث المسيسبى فصحت:

— بالله ! لا تذكر القنبلة الذرية فان ذكرها ليكاد يهيج أعصابى .

ومضى العقيد فى حديثه مغضيا عنى :

— لا تخش شيئا فستتولى الحكومة الانفاق على زوجتك وابنتك حتى تنكشف هذه الغمة الكثيفة وقد خصصت لك مالا وفيرا لذلك .

قال هومر والعزم والاقبال يملآنه :

— افعلوا ما بدا لكم أما عن نفسى فما أنا بتارك مارى الين ولا الطفلة على الرغم مما يكون وانى لمتثبت مما أقول وأعى ما يجرى على لسانى حرفا حرفا .

— هل طلب منك أحد الآن أن تترك مارى ؟ لن يطلب منك الرحيل الى واشنجطن حتى يبت الكونجرس فى أمرك .

— ماذا أنت قائل ؟

— أعود فأقول : الى أن يبت الكونجرس فى أمرك ويرسم الســياسة التى تتبع من أجلك . انه شىء طبيعى لا ســيما بعد أن صرح رؤساء هيئة أركان الحرب بأنك صرت ذا خطر استراتيجى لمستقبل الوطن . من أجل

ذلك كانت وزارة الدفاع وحدها هى المسئولة عن سلامتك ولقد وكلت هذه المهمة الخطيرة الى نائب القائد : أما عن مصيرك الأخير فانه لا يزال فى طى الغيب الى أن يبت فيه الكونجرس كما قلت .

وأخذ هومر يتمتم وهو مشدوه لا حول له ولا قوة : لقد فهمت .

وواصل العقيد حديثه :

— ولا تخش شيئا يا صديقى وعد نفسك أكثر حظا فلقد كنا على وشك أن نودعك قلعة نوكس الحصينة حيث يوجد رصيد الدولة من الذهب حفاظا عليك لولا أن كبير أطباء الجيش أبى علينا هذا مبينا ما قد يسفر عنه من عواقب وخيمة تسيء الى صحتك العامة . وأرانى الآن بعد كل ما رأيت أوافقه على رأيه . أكان لك شرف الالتحاق بخدمة الجيش ؟

أجاب هومر : لا ... لم أنل هذا الشرف بعد . وغاية ما هنالك أن ادارة الطوارىء الفيدرالية بعثت بى الى استراليا لأكتشف عن مواقع للبلورات فى صخر الكوارتيز اذ كانت حاجتهم اليه ماسة وملحة لصنع أجهزة الرادار .

وأجاب العقيد : لا بأس وان كان من المؤسف حقا ألا تكون قد حظيت بشرف الخدمة فى الجيش ... وأخالك كنت تقر الاضراب الذى قام به عمال الرادار . أعنى أنك لم تكن من المعارضين المتحمسين على أية حال .

— كلا لم أكن كذلك . هل لى أن أصعد الى الطابق العلوى لأرى زوجتى مارى الين ؟

— لا ضير ولكن لا تبق طويلا لأن معى أوراقا كثيرة عليك أن تملأها بارشادى ... هذا الى أنى سأصحبك الى حفل للعشاء الليلة ، فقد تنازل قائدى ورغب فى لقائك والتعرف اليك .

وأسرعت فأخذت أول قطار عائد الى نيويورك وعند وصولى اتجهت الى مكتبى حيث قابلت رئيس التحرير فأخبرته أن الجيش قد وضع يده على آدم وانى لذلك قد نفضت يدى من تلك المهمة التى وكلت الىّ فى تارى تاون ، وكشفت لبوجى كذلك ما أحسه من عطف ورثاء لآدم .

وأجابنى بوجى : قائلا : وفر عليك هـذا الرثاء الآن الى أن تعلم ما سيكون من أمره فى واشنجطن .

— أى شىء تعنى ؟

— يخيل الىّ أن مقامك فى تارى تاون جعلك بمنأى عما يجرى هنا . فأنت لا تعرف شيئا عن هذه المنافسة الهوجاء بين مجلس الأبحاث القومى وبين المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب فى سبيل الظفر بآدم .

— وماذا تعنى بقولك فى سبيل الظفر به ؟

— تزعم كلتا المؤسستين أن فى مقدورها الافادة من آدم بوصل النسل من جديد ، وقد أخذت كلتاهما تشير الى مشروعات مختلفة لا تخطر ببال انسان .

— ألا ما أتعس آدم !

— ليت الأمر ينتهى عند هذا الحد ، فان هناك معركة أخرى طاحنة بين الكونجرس واللجان الوزارية المختصة ، تحاول كل منها أن يكون لها الحق دون الأخرى فى أن تملى السياسة التى تراها بالنسبة لآدم ، وتنفذها ثم ان هناك جمهرة كبيرة لها رأى لا يستهان به ترى أن آدم يعنى العالم كله وأن له شأنا دوليا أكثر منه قوميا وطنيا . من أجل هذا تجهر بأن يوكل أمره الى الأمم المتحدة لترى رأيها فيه ، فقلت :

يا لها من قصة ! أليس كذلك ؟ !

وبدت فى عينى بوجى تلك النظرة البعيدة الشاردة ، وأخذ يحملق فى

الفضاء وقد استقرت عيناه على ذلك البناء الشامخ الذى يشرف فى زهو فوق صخور « منهاتان » ثم قال : —

— يا لها من ضجة جوفاء ... ألا ما أشد جهلنا وسذاجتنا حين نؤمن ان ليس فى غير هذا الكون مخلوقات حية تحس وتشعر وتسعد وتتألم ، تنفع وتضر ، وان المخلوقات العاقلة المفكرة لا تحيا الا فى عالمنا الضئيل وحده .. ! عالمنا هذا ، ذلك الجزء من الأرض التى تدور حول نجم معتم ندعوه الشمس التى لا تعدّ الا جزءا من مجموعة الكواكب .

الا ما أشبه هؤلاء القوم بجماعة من النمل وطئتها نعال ثقيلة فضجت فى جحورها تحس أن العالم قد أشرف على نهايته ..

كانت عبارات بوجى تحرك الرعدة فى جسدى أحيانا .

الفصل الرابع

فى أحد أيام ديسمبر القارصة اجتاحت شرقى أمريكا عاصفة ثلجية وجمدت مجارى المياه فى مانهاتان فأرسل بوجى بعض أعضاء هيئة التحرير لينقلوا وصف الأضرار التى لحقت بساحل جرسى . وما أن أحسست وطأة البرد حتى اعتكفت فى منزلى أنشد الراحة والدفء أستمتع بما أجد فى هذه العطلة من الاثارة والرضى والراحة والسرور والبهجة ، مما لا يجده الا الصبى الصغير فى لعبة الهوكى بعد أن يترك مدرسته . وهكذا أخذت أمرح على هواى فارتديت المنامة الزرقاء الحريرية السميكة التى نزل لى عنها صديقى لين هنزرلنج عند ذهابه فى مهمة الى تشيكوسلوفاكيا ، وقد كنا ننزل فى حجرة واحدة بفندق لافيل بروما ، كما ارتديت هذه العباءة العربية الفضفاضة الموشاة بالقصب التى نزل لى عنها نويل مونكز عندما طار الى الهند وكان قد اشتراها من أحد شوارع دمشق ويدعى سوق الطويلة ، كما لبست ذلك الخف الأحمر اللين الجلد ذا الطرف القائم عند أصابع القدم والذى اشتريته بثلاثة دولارات امريكية ذات خاتم ذهبى من الحى العربى فى الدار البيضاء .

جلست فى منزلى وأخذت أحتسى القهوة الساخنة وأشعل لفافات التبغ واحدة بعد أخرى وأجرع شيئا من الروم ثم فتحت التليفزيون وكان الى جوار فراشى فاهتزت على شاشته صور بيضاوية غير واضحة ثم بدأ الغموض ينجلى عن وجه يبرز فكه الأسفل ارجل مفتول العضلات من هؤلاء الذين لا هم لهم الا أن يتابعوا أحداث العالم والألعاب الرياضية ومباريات

التنس التى تقام فى فورست هيلز ومباريات الرماية الدولية فى كامب بيرى وقد صح ما توقعته لأن المذيع قال :

« يتحدث اليكم المذيع ما لكولم باركنسون من متنزه هيالى فى ميامى بولاية فلوريدا الذى غمرته الشمس المشرقة ، وبعد قليل سأتجه بكم الى ميدان السباق . وسترون ... أجل سترون أهم الفقرات فى برنامج اليوم ... »

وما أن أتيت على ما معى من لفافات التبغ حتى كلمت بالتليفون سام بائع السيجار فى الشارع الثالث ، وطلبت منه أن يرسل لى نسخة من مجلة « السباق » ومجلة « أحسن المراهنات » وأجاب سام قائلا :

— أفى مثل هذا الجو المكفهر ؟

فأجبته مبينا ان الخيول لا تتسابق فى جادة الامريكتين ، وبعد أن وافقنى على ما أقول فاجأنى بقوله :

— قل لى أيها السيد سميث لِمَ لم يقطعوا برأى فى شأن السيد آدم من الآن ؟

— من هم هؤلاء الذين لم يقطعوا برأى ؟

— هؤلاء السادة البيروقراطيون الجالسون الى مكاتبهم فى واشنجطن.

— وماذا تراهم فاعلين ؟

— ان زوجتى قد ملأت على حياتى هما وهى تردد سيرته صباح مساء. انها من المؤمنات بالتلقيح الصناعى ، وهى لا تكف عن اظهار رغبتها فى أن تنجب طفلا اذ أنها لم تعد بعد صغيرة .

— فلتطمئن يا سام فقد أصبح المشروع قاب قوسين أو أدنى من التنفيذ .

— من رأيى أنه لا بد من الاتفاق على شىء والا فستحيق بنا اللعنة .

وسوف نعيش فى هذا البلد فى جحيم وان زوجتى لا تكف عن الشكوى قائلة ان العمر يمضى دون أن يكون لها طفل يؤنسها وكم يشوقها أن يكون لها أطفال .

وحين وصلتنى نسخة من مجلة « السباق » ، أخذت أتنبأ بما ستكون عليه النتيجة للخيل التى سوف تجرى فى هيالى . وكان الغرور يتملكنى أحيانا مثلى فى ذلك مثل أى محرر رياضى غير صادق الحدس فأخالنى أفضل المراهنين الذين يشاركون فى السباق وأختار من خيل الشوط الثانى فرسا اسمه فيرفيزيون Fair Vision واذا بى أتصل بالسيد « توتون جونز » الذى يدير مكتبا للمراهنات قرب ميدان شريدان وكان سيدا مهذبا مريب اللون وأراهن على ذلك الجواد . ثم ملأت كأسا من الروم واضطجعت على الوسائد أرقب السباق .

انها لمتعة أن تظل هكذا مكانك مستلقيا فى فراشك لا تحمل عناء الذهاب والسير الطويل الى حلبة السباق فى فلوريدا . وما من شك فى أنك لو كنت على حالى هذه بعيدا عن تلك الضجة تحس الراحة التى أحسها فى فراشى ، لوجدت نفسك بمأمن من هؤلاء البلهاء الطائشين الذين لا ينون يثبون ويقفزون ويصيحون بأصوات تصم الآذان ويحولون بين الناس وبين أن يستمتعوا بمشاهدة الجياد وهى تعدو . ثم أن الانسان ليحس فى مثل هذه الحال بأنه قد أمن النشالين والطفيليين وهؤلاء الذين لا يرعون لغيرهم حقوقهم ويطأونه بأقدامهم أو يدفعونه بالمناكب ليسبقوه الى شباك الرهان بين الشوط والشوط . ولقد وجدتنى وأنا فى فراشى قد وفرت على نفسى عناء الذهاب بالسيارة ثم عناء البحث عن مكان مناسب للانتظار ثم دفع دولارين وعشرين سنتا أجرا للدخول كما ضمنت البعد عن سماسرة السباق وبائعى البرامج والأقلام والفول السودانى ، ثم ما أشد الهول

الذى تتعرض له أنت وزوجك اذا جاء مكانكما فى حلبة السباق قريبا من الرماة الذين يصوبون نيران بنادقهم ، وما أنت بآمن بعد هذا نزلات البرد حين يخدعك الدفء وترتدى سترتك البيضاء فتدهمك موجة البرد من الشمال . وجملة القول فانى أنصحك نصيحة مجرب أنه من الخير لك اذا كنت خاسرا لا محالة نقودك أن تخسرها وأنت مستريح لا تكلف نفسك عناء أو تعرضها لألوان من المتاعب والعذاب .

وما أن ذكرت لصاحب مكتب الرهان الخيل التى اخترتها حتى قال لى :

— هل تمنحنى لحظة من وقتك أيها السيد سميث لأوجه اليك سؤالا ؟

فقلت مرحبا : بالتأكيد يا سيدى .

وجرى حديثى مع صاحب مكتب الرهان توتون جونز وكان من أكبر الدائنين لى على تلك الصورة :

قال جونز — « انك لرجل ذكى واسع الاطلاع أيها السيد سميث . فهلا زودتنا برأيك فى هذا الموضوع الذى أناقش فيه بعضا من الناس هنا ؟ »

فقلت له : — « لست ماهرا فى اختيار الخيل الرابحة » .

فقال : « لكل منا يوم يجانبه الحظ ويتخلى عنه فيه . وان الذى نريده منك هو شىء عن التلقيح الصناعى » .

وأخذت رشفات من القهوة وقلت له : أى شىء تريد أن تعرفه منى ؟

وكنت أحس الاشمئزاز حقا حين يذكر التلقيح الصناعى اذ كان ذكره يسوق الى ذهنى أخيلة من الغرابة والشذوذ بمكان ، فكنت أذكر معها من يمشى على رأسه كما كنت أذكر تلك الطلاسم والرموز المبهمة لتحضير الأرواح ، ومع مرور الأيام بدأت أحس الراحة واطمئنان البال وقيام الألفة

بين كل زوجين وبداية الحياة الناضجة الرشيدة ، بينهما بعد الأربعين ، وتعرفت تلك النزوات التى يضطرب بها ضمير الانسان .

وأعاد جونز سؤاله شاكيا :

— نحب أن نعرف منك : التلقيح الصناعى ما هو ؟

— انه لشيء يسير كل اليسر : فحين يستحيل التلقيح بوسيلته الطبيعية يقوم التلقيح الصناعى مكانه وذلك بوضع شيء من السائل المنوى للذكر فى بويضة الأنثى .

— ألم يُفعل هذا بالخيل ؟

— أجل ، فليس من الضرورى فى أيامنا هذه أن ينزو الحصان على أتاه فى حظيرته . ويكفينا أن نحصل على سائله المنوى وأن نحقن به الأنثى . وهذا كله يجرى فى يسر . ولا يغرب عن بالك أن ما بين أيدينا من أرقى سلالات الخيل قد جيء بنطفها من الأرجنتين واستراليا ، ولأن نشحن أوقية من السائل المنوى أيسر من أن نستورد حصانا يزن طنا .

— أمن اليسير استخدام هذه الوسيلة فى الرجال ؟

— بالطبع فان ثمة ما يقرب من ثمانية آلاف حالة للتلقيح الصناعى مسجلة فى الدفاتر الرسمية .

— هذا ما أردنا علمه .

— ألا تقرأ الصحف ؟ ألا تراها ولا حديث لها الا التلقيح الصناعى منذ أن أوصت به المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب ؟

— اننا لا نقرأ عن هذا فى الصحف شيئا .

وبعد ، فقد راهنت على الحصان ايست بوند فى الشوط الخامس غير أنه جاء الأخير ، وكان الحصان كليفدويلر الذى رشحته للفرز فى الشوط الثالث فى مقدمة الخيل يسبقها بمسافتين . وعندها دخلت مارج حجرة

النوم ، وما كادت تفتح فمها لتتكلم حتى أشرت اليهـــا بيدى لتسكت فسكتت ، واستمعت الى المذيع مالكولم باركسون يقول :

— ينطلق الحصان كليفد ولر فى المقدمة ومن ورائه راجتيم وجون بتج وثيردفليت وفيرفلاى ، وها نحن الآن تقترب من النهاية ولا يزال كليفد ويلر فى المقدمة ولكن ...

وخطت مارج لتقطع على استغراقى وأنا أتبع السباق وقالت :

— لقد جاءنا ضيوف يا ستيفن ديكاتور سميث .

فصحت فى وجهها : اسكتى .

وانثنيت الى الأمـــام وأنا أضرب ركبتى بجمـــع يدى على حين كان الحصان كليفد ويلر يعدو الى نهاية الشوط . ولقد خيّل الىّ عنـــدها أن التليفزيون قد أخذ يعرض عرضا بطيئاً .

وعادت مارج تصيح : ستيفن .

وبلغت الخيل خط النهاية وقال المذيع معلقا :

— يا لها من صورة رائعة !

فارتميت الى الخلف على الوسادة فقالت مارج :

— اذن هذا هو السر فى أنى لم أستطع الاتصال بك بالتليفون اذ أنت هنا مندس فى الفراش تلاحق السباق طيلة تلك الفترة بعد الظهر .



وتطلعت اليها فاذا هى فى مظهر رائع ، ذلك المظهر الذى يبدو فيه أصحاب الأعمال . وكانت أنيقة ترتدى ثوبا أزرق وصدرة بيضاء تخفى وتبدى معا فتنة صدرها الناهد ، كانت حقا امرأة جميلة تستهوى الألباب، بيد أنها كانت فى سورة من الغضب .

وكنت أعتقد أن الهجوم فى مثل هذه الأحوال خير وسيلة للدفاع فقلت لها وأنا أعتب عليها :

— ها أنا ذا أرقد فى فراشى أشكو الصداع والبرد فلا أتلقى منك غير الشتائم .

وتبسمت مارج ومست جبهتى بأصابعها تستوثق من أنى غير مريض ولقد أدركت أنى على علم بما كانت تعلم ثم قالت آمرة :

— هيا قم من الفراش وتعال معى الى غرفة الجلوس . فان هناك بعضا من الضيوف .

ولاح المذيع بوجهه الثائر على الشاشة وقد بدأ طلق المحيا فسألتها وأنا شارد الذهن :

— ومن هم ضيوفنا ؟

ومضى المذيع باركنسون يقول :

— بعد قليل سينتهى المحكمون الى حكمهم ثم تعلن نتيجة الشوط الثالث وانى لهذا أستئذنكم فى أن أصف لكم مافى ميدان السباق : « هيا لى » من روعة وجمال ، يغمره ضوء الشمس وتحلق الطيور المائية محومة فوق البحيرة يحيط بهذا كله جمال أخاذ لا عهد لنا به من قبل ، ثم لا تنسوا وأنتم تستمتعون برؤية هذا وادعين أن تأخذوا حظكم من التدخين وكأنكم فى رحلة طويلة الى الجنوب .

وقطعت مارج حديث المذيع قائلة :

— لقد أفسد هذا الرجل عليك عقلك فلتحل بيننا وبينه فما أنا بمستطيعة على أية صورة أن أرى رجالا غرباء يحملقون فى غرفة نومنا متطفلين علينا ، ان رجلك هذا يثير أعصابى ويملؤنى رعبا .

عاد المذيع يقول :

— ها هى ذى النتائج : لقد فاز كليفد ويلر وتقدم غيره بقيد شعره .

نهضت وأغلقت التليفزيون وتركت الغرفة وأنا أحس الراحة تسرى فى أعضائى ، وهناك فى غرفة الجلوس طالعنى وجها الزائرين يتألقان باحمرار ضاعفته لذعات الريح القارصة. وكانت السيدة مارية أوستنهايمر وصديقى الطبيب طومسون — وهو من مقاطعة الابنين — واقفين الى جوار المدفأة يستدفئان فقلت وأنا أرحب بهما :

ما كنت أعرف أنكما صديقان .

فقال طومسون :

— ان صداقتنا لا تعدو صلة المهنة والزمالة فى العمل .

وقالت مارية فى رقة وعذوبة وقد بدت بقوامها الرشيق الرقيق وكأنها طفلة الى جانب جسده الضخم البدين :

— اننا نعمل معا فى لجنة واحدة .

أخذت مارج ترمقنى بنظرة فاحصة وهى تنفض لفافة التبغ على حافة المدفأة ثم قالت :

— لقد عادت مارية وطومسون من واشنجطون منذ أمد قريب ، فلقد انتدبتهما المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب ، وذلك بعد أن أبديا رأييهما فى التلقيح الصناعى للجنة الكونجرس المشتركة واللجنة الحكومية التنفيذية المختصة .

وقال طومسون مصححا ما قالت :

— هذا ما فعلته مارية . أما أنا ، فانى معنى بناحية أخرى من الموضوع.
وقلت أشكو لهم :
— ان كل ما سمعته اليوم من أحاديث كان حول شيء واحد فقط : التلقيح الصناعى ...

وتملكنى خوف من شيء قدرته فأشرت بأصبعى الى مارج ووصلت الحديث قائلا :

— اذا خطر ببالك ولو الى حين أننا مزمعون أن نملأ هذا المسكن بأطفال ذوى شعر أحمر معرضين جميعا للاصابة بعقد النقص وليس واحد منهم من صلبى فحرىّ بك أن تعاودى التفكير فى الأمر مرة أخرى فلست أقبل لك أن تكونى كأنثى الخنزير حقلا للتجارب وموضعا لاختبار قدرة السيد آدم على الانجاب .

ومال السيد طومسون برأسه الى الوراء وهو ينفجر ضحكا ثم قال لى:
— هوّن على نفسك يا ستيفن .
فقالت مارج فى مرارة :
— على أية حال فقد بات الجميع يدركون ان الطلبات تنهال على اللجنة كالمطر ، وان كنت راغبة فى أن يكون لى طفل من سلالة آدم فثمة آلاف قد سبقتنى الى طلب ذلك ، وثمة أزواج كثيرون قد نبذوا أنانيتهم وأطرحوا غيرتهم الحمقاء مؤثرين خير الجنس البشرى .

وعقدت مارية شعرها على جانب من رأسها ، ورمقتنى بعينيها السوداوين اللتين تشعان فكرا وحكمة وقالت : —

— لقد انتهيت توا من الحديث مع كبار رجال الدولة البارزين كى يكونوا على بينة من أمر التلقيح الصناعى وأنه لا نجاة للجنس البشرى الا به .

كانت تتكلم أشد ما تكون تؤدة وحرصا ، وكانت كلماتها تتهــادى الواحدة اثر الأخرى وكأنما تمضى فى خط ضيق رفيع ومضت تقول :

— ما من شك فى أن التلقيح الصناعى هو الآن الوسيلة الوحيدة التى تتيح انتاج قدر محدود من الذكور يستند اليه خلق الأجيال القادمة .

فقلت متعجبا :

— ولكن أما يخطر ببالك أنك بهذه الوســيلة التى تقولين عنها انها الوحيدة سوف تغمرين العالم كله بسلالة ذات شعر أحمر تشبه كل الشبه هومر آدم ؟

على هذا النحو صحت بها ، غير أنها بدت أكثر ما تكون هدوءا واتزانا على الرغم من حداثة سنها وأجابتنى قائلة :

— لم نجئك لهذا السبب وانما جئتك من أجل هومر آدم .

— ماذا وقع له ؟ أتراهم أبعدوه عن مارى ايلين ؟

فأجابت مارية فى صلابة وان ملأ جوانحها الحنق

— لقد كادوا أن يفعلوا ذلك ، ويبدو أن وقعه كان شديدا عليــه . ذلك الى أنهم يسمونه سوء العذاب منذ أن وصل الى واشنجطن .

وهنا اشترك طومسون فى الحديث قائلا :

— ان هذا الذى تدعونه فلپس سمايث انســان لا يطــاق . وما أن تسلمت المنطقة الوسطى آدم حتى أخذت تحقنه وتطعمه ضد الپاراتيفويد والتيفوس والحمى الصفراء والانفلونزا والكوليرا والجدرى وغيرها من أمراض مختلفة لا أعرفها أنا الطبيب حتى أحاطوه بصيدلية متنقلة .

فقلت :

— ان فلپس سمايث ليس غير ابن زانية .

وقالت مارية :

— ان أعضاء السلك العسكرى يعرضون آدم المسكين فى الولائم وكأنه من المخلوقات العجيبة !

قلت :

— ان الهدف الذى يرمى اليه فلپس سمايث هو أن يرقى الى رتبة أعلى ولعله واصل يوما الى رتبة قائد ان هو نجح فأرضى رؤساءه القواد . وان شئت أن تعرف الأمور على حقيقتها ، فعليك بواحد من مراسلى جنوب غرب الباسفيك اذ هم أعرف من غيرهم بما كان يحدث هناك .

ومد طومسون يديه جاعلا بينهما مسافة تبلغ ست بوصات وقال :

— ان آدم لا يزيد على هذا القدر ثم أنه قد بات ضحية حركة عصبية لا تفارقه .

وقالت مارية :

— لقد أضحت الأمور تنذر بخطر ، ففى حالنا هذه نجد أن كل ما تعنى به البشرية هو توفير الرفاهية لرجل فرد مرهف الحس واهن ضعيف . والويل كل الويل للتلقيح الصناعى اذا انحطت قواه البدنية أو قواه العقلية .

ومضت مارية تقول :

— ائذنوا لى أن أشرح لكم الأمر كما أراه فى عبارة أخرى : يخيل نى أن الوسائل المعمول بها الآن فى هذا التلقيح لم تخرج عن الطور البدائى ، ومن المؤكد أننا سنجد ملايين الخلايا تتحرك حركات ذاتية فى خلية واحدة من خلايا الذكر ، وأننا لم ننته بعد الى وسيلة نحقق بها عزل هذه الخلايا بعضها عن بعض ، على أن تتاح لكل خلية من تلك الخلايا ما ينشطها ويصلحها ويهيئها للعمل ويجعلها قادرة جنسيا الى أن تحين لكل منها فرصة لتحقيق الاخصاب . وما جاوز التلقيح الصناعى على حاله هذه طور التلقيح الجماعى ،

ونحن لا نزال نستخدم الملايين من الخلايا على حين أن واحدة منها فحسب هى التى تقوم بهذه المهمة .

قلت :

— ما أضيعه من جهد !

وقالت مارج :

— فى الحق انه جهد ضائع فى هذه المرحلة الحاسمة من التاريخ .

وتابعت مارية حديثها :

— اننا الآن نعمل جاهدين فى أن نجد وسيلة لعزل الخلايا ، غير أننا راغبون خلال هذا فى أن يأخذ الاخصاب الصناعى طريقه وشيكا ، فمن اليسير أن يصيب هومر آدم مكروه قبل أن يبدأ المشروع . وعلى أية حال فمن غير الممكن أن نفيد من قوة هومر آدم وطاقته الى أبعد مدى أو الى المدى الممكن الا على شريطة واحدة ، وهى أن يرد آدم الى حاله الطبيعية ويصبح هادىء النفس رابط الجأش انسانا طبيعيا ، واذا كان فى مقدورنا أن نفيد منه وهو على ماهو عليه الآن فى حاله تلك — وهذا ما أشك فيه — فان ثمرة ذلك ستكون جيلا متهدما متهالكا جسدا وروحا وأعصابا .

فقلت مستوضحا :

— ليس يعنينى ما سوف يطالعنا به المستقبل ولست أسأل الا عن صلتى بهذا الذى يقال كله .

وقال طومسون :

— لقد تحدثت الى هومر آدم فأحسست ثقته الكاملة بك واعجابه الذى لا حد له بشخصك . ان لك عليه فى الحق تأثيرا عميقا ، ترى أى شىء فعلته به ؟

— لا شيء غير اعطائه فرصة التغلب عليّ فى لعب الورق بين الحين والحين .

وافتر ثغر طومسون عن ابتسامة عريضة وقال :

— ما من شيء قط يشبع أنانية الانسان سوى ايمانه بأنه ماهر يجيد هذه اللعبة أو تلك .

وقالت مارية وهى تختم حديثها :

— وعلى أية حال فلو قر قرار الحكومة على أن تكل العناية بآدم الى المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب لا الى مجلس الأبحاث فلسوف تسند اليك رعاية آدم .

— رباه ! ترى هل قدر لى فى آخر العمر أن أغدو ممرضة لأبى الدولة المرتقب !

* * *

كان الصراع بين مجلس الأبحاث القومى ومؤسسة اعادة الاخصاب فى الواقع صراعا بين علماء الطبيعة وأساطين الطب ، صراعا بين صفوة العلماء فى ميدان الأحياء والجمادات .

ولقد رأى علماء الذرة أنهم فى حاجة ماسة الى آدم ، يجرون عليه أبحاثهم التى كانوا يأملون من ورائها أن يتبينوا الوسيلة التى يقضون بها على الأثر المدمر الذى خلفته تلك الأشعة الغامضة التى غزت العالم عقب انفجار المسيسبى المشئوم . من أجل ذلك غدوا يطالبون بآدم كما يطالبون بالسيكلوترونات وبالآلة الطاردة المركزية [1] . وكانت حجتهم هى : أنه لن

(١) هى آلة لها دورات سريعة تفصل بها المواد ذات الكثافات المختلفة وهى أشبه بقربة اللبن تفصل القشدة عن اللبن وهى تستخدم كذلك لتجفيف الخيوط والأقمشة والسكر .

يتاح لهم أن يكشفوا عن الترياق ذى الأثر فى تلك الأشعة الغامضة الرهيبة التى لم يعرف كيانها ولا نوعها حتى اليوم . كما أنهم لن يقووا على عزل الأشعة التى أتت على عناصر الأخصاب فى الذكور وأثرت فى خلايا الاناث دون أن يقعوا على نماذج يتعرفونها وتكون موضوع تجربتهم مرة بعد أخرى .

ومن ذا الذى يعطى مثل هذه النماذج وهذه الأشكال غير آدم ؟

أما الأطباء — صفوة علماء الطب وسادة مؤسسة اعادة الاخصاب — فقد لبثوا يؤكدون أن التلقيح الصناعى هو وحده الوسيلة الباقية التى هيأتها الطبيعة لبقاء العالم واستمرار الجنس البشرى . وعلى الرغم مما كانوا يعلقون من أمل على مجلس الأبحاث فى أن يوفق الى وسيلة ترد الى الذكور قواهم كاملة ، فانهم كانوا يرون أنهم فى غنى عن الأبحاث العلمية التى يمتد بها الزمن طويلا ، ثم هم يملكون فى الوقت عينه رجلا ، رجلا له القدرة الجنسية ، رجلا وحيدا وقف حياته على خدمة الوطن . بل هو الضمان الفريد المؤكد الذى يحول بين العالم وبين أن يفنى .

وكان قرار اللجنة الحكومية التنفيذية ثم قرار لجنة الكونجرس المشتركة وليد خوف أعضاء اللجنة من أن يقع العلماء الطبيعيون فى زلة أخرى تودى بحياة آدم فيعقب ذلك فناء محقق يشمل البشرية . ولم يناقش أحد الموضوع بصراحة مخافة أن يؤذى هذا عالما مثل الأستاذ بل أو يسىء الى سمعته فى الميدان العلمى . ومع أن هذا الخوف ظل سائدا فلم تعترنى الدهشة عندما خرجت صحف الصباح بعد بضعة أيام تحمل رؤوس صفحاتها الأولى العناوين الكبيرة التالية :

... رئيس الجمهورية يقر التلقيح الصناعى

... المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب تنتصر على مجلس الأبحاث.

••• تخصيص مبالغ كبيرة للعلماء لتمكينهم من أبحاثهم .

••• أمهات المستقبل يتطوعن فى طول البلاد وعرضها .

••• انجلترا تطلب العون .

* * *

امتلأت أعمدة الصحف بهذه العناوين الضخمة ، وما كدت أبلغ مقر الصحيفة حتى دعانى بوجى رئيس التحرير ووكل الىّ اعداد مقال جامع أذكر فيه أثر هذا القرار فى دول العالم على أن أقتل هذا الموضوع بحثا :

لم تعقب موسكو رسميا كعادتها ، الا أن صحيفة برافدا نشرت نبذة — أو على وجه أصح — مقالا متميزا فى صدر صفحتها الأولى عقبت فيها على القرار تقول :

لقد كان فى وسع الولايات المتحدة أن تقول كلمتها الأخيرة عن النتائج التى خلفتها كارثة المسيسبى العالمية غير أنها الى الآن لم تفعل شيئا كما لم تحاول الاتصال بالاتحاد السوفييتى اتصالا صريحا .

وكانت هذه العبارة « الاتصال الصريح » التى جاءت فى الصحيفة أكثر شىء لفت انتباهى فى التعقيب كله . ولقد هب نفر من ممثلى الأمة فى مجلس الشيوخ يتساءلون عما اذا كان هناك من يتصل بالشيوعيين سرا ، وعما اذا كان هناك اتصال جانبى يفعله البعض محاولين اقتسام هومر آدم بينهم وبين الشيوعيين . واذا صح هذا فما هى الخطوات التى نوقشت ؟ ولقد كان الأمل ألا يخرج هومر آدم عن الولايات المتحدة أو يبعث به الى مكان ما خارج حدودها .

وأجاب العضو صولت اجابة سديدة حين قال : ليس ثمة ما يدعو الى ارسال هومر الى الخارج مادام التلقيح الصناعى قد أصبح شيئا معروفا

وحسبنا ارسال نماذج من سائله المنوى . وقد عبر العضو صولت عن رأيه فى جلاء ووضوح وهو يستطرد قائلا :

ان ما نملكه من طاقة يتيح للأمم المحبة للسلام العون والمساعدة دون حاجة الى مغادرة هومر آدم واشنطن ، وان لروسيا كما لغيرها الحق فيما تطلبه من عون بل لعل هذا الحق لها وحدها دون غيرها .

تساءل فروجهام « نائب لويزيانا » :

هل العضو صولت أن يتكرم فيوافق على هذا الرأى ؟

وآجاب صولت : أجل أوافق .

واستأنف فروجهام : أليس صحيحا أننا قادرون اليوم على التخلص تخلصا لا رجعة فيه من الشيوعية اللعينة التى سممت العالم بأفكارها ونشرت فيه الفتن والقلاقل والاضطرابات وهددت شئون جمهوريتنا . ولنا أن نقول ان تحقيق هذا قد يتم فى مدى جيلين أثنين لو أننا قصرنا عوننا فى ميدان التلقيح الصناعى على الأمم التى تعطينا المواثيق والضمانات عن سياستها المستقبلة ونواياها الاقليمية والأيديولوجية .

وقال فيدمار « مندوب ولاية مساشوستس » :

لو أننا قصرنا عوننا على الأمم التى ترسم سياستها المستقبلة كان معنى ذلك أننا ننحى جانبا الولايات المتحدة الامريكية .

فأخذ الأعضاء يضحكون .

ولقد كانت انجلترا تأمل فى أن تشارك الولايات المتحدة فى التلقيح الصناعى ناظرة الى عدد السكان فى الدولتين وذلك لقاء أن تتيح انجلترا للولايات المتحدة الاطلاع على أية نتيجة يصل اليها العلماء الانجليز بعد ذلك فى هذا الميدان .

ومن الطبيعى أن الحكومة البريطانية كانت فى تصريحها ذاك ، تتحدث باسم الامبراطورية التى لا تغرب عنها الشمس كلها دون اشارة الى ايرلندا.

أما فى فرنسا فقد نشطت الصحف الفرنسية وراحت تنشر المقالات الطوال عن فرنسا وأثر الثقافة الفرنسية فى العالم أجمع ، كما راحت هذه الصحف تعلن أن بقاء الثقافة الفرنسية أمر جوهرى لا غنى عنه .

وكثير من أفاضل الألمان تكلموا عن فوائد احياء عبقرية ألمانيا فى الصناعة خلال الأجيال المتوالية .

وفى اليابان أخذت الصحافة تشير الى الروح الامريكية الرياضية التقليدية كاشفة عن الصلة بين أمريكا واليابان وبين الامريكيين واليابانيين، تلك الصلة الوثيقة التى تتجلى فى غرام الجميع بلعبة واحدة هى البيسبول .

وأخذت الأمم الصغيرة كلها تفصح عن نفسها وتزهى بشأنها وتعدد مزاياها وفضائلها . وفى أدب ولطف أثارت صحافة بوخارست نقطة أخرى وهى : اذا لم يكن للمجر نصيب من التلقيح الصناعى فسوف يكون هذا بمثابة الحل الأخير لمشكلة ترانسلفانيا [1] ، على الرغم من أن الجميع كانوا يؤمنون أن تلك المشكلة قد سويت تماما .

وفى ضوء هذا كله رحت أعمل ، وظلت البرقيات تتكدس فوق مكتبى، تجيئنى من أنحاء العالم كله مفصحة عن أهداف الدول كلها . ووقف بوجى أمامى ثم أشار الى يسألنى أن أتبعه الى مكتبه وهناك قال لى :

— لقد اتصل بى البيت الأبيض لساعته . وأظنك تعرف دانى وليامز سكرتير الرئيس ، هذا الرجل الذى كان يعمل فى صحيفتى ، لقد أنهى الى أن الاختيار قد وقع عليك أنت دون غيرك يا ستيف لتعنى بآدم .

(١) ترانسلفانيا اقليم جبلى يقع على حدود كل من المجر ورومانيا تسكنه مجموعتان من الدولتين مختلفتا المذهب الدينى والعواطف وقد ضمتها رومانيا اليها عقب الحرب العالمية الأولى ثم عقب الحرب العالمية الثانية . وما تزال المجر تطالب بضمها اليها كما كانت فى عهد الامبراطورية النمسوية المجرية .

— هذا ما كنت أخشاه .

— لقد نمى الى علمهم أنك وهومر آدم كنتما صـديقين متفاهمين فى تارى تون وأن آدم يحبك .

— أجل .

— ان المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب هى التى اختارتك ، وأنت الآن أحد موظفيها . ومن الطبيعى أننا سوف نمنحك اجازة طويلة الى أن تنتهى من مهمتك هذه .

— ولكن خبرنى : ألا أملك الحق فى أن أعلن عن رأيى ؟ أو ليس من حقى أن أرفض أو أن أقبل ؟

— لا أظنك تملك هذا الحق ، فقد ذكر لى دانى وليامز وهو يحدثنى أنك سوف تكون بهذا الاختيار دعامة من الدعائم التى سيقوم عليها صرح المدنية من جديد . وما أريد أن تكون بعيدا عنى ، ولكنى أرى فيما يبدو لى وكأنك قد انتخبت .

— ليس بضائرك يا بوجى أن يمضى ركب الحضارة أو يقف .

ودلك بوجى بابهاميه وراء أذنيه ثم أجاب قائلا :

— رباه لست أدرى ما أقول اذ أننى لم أنته الى رأى بعد .

وعدت الى بيتى وحزمت أمتعتى واذا بمارج تقول لى :

— أتظن أنهم يتعجلونك ؟

— أجـل .

وفى الحق أنى كنت أوثر فى قرارة نفسى البقاء مع مارج فى بيتى وقد شغلت بالتفكير فى هذه المهمة الشـاقة وفى الزمن الذى ستستغرقه الى أن أستطيع أن أعيد الهدوء الى نفس هومر آدم فيخلد الى السكينة ويستقبل

منشرح الصدر أجل خدمة للحضارة ، عندها أو بعدها سوف تسمح لى المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب بالعودة الى عملى وبيتى .

وقالت مارج آمرة محذرة :

— حذار من أن يسوء سلوكك هناك فان تلك المدينة مليئة بالحسان من النساء الماكرات وهن لا يتورعن عن اقتراف ما يحلو لهن .

وعاهدتها قائلا : اطمئنى فلسوف أسلك الطريق السوى .

— هذا خير لك وليس من المستبعد أن أفاجئك هناك فى وقت ما . (ثم أردفت معقبة) ورجائى اليك يا ستيفن أن تكون أمينا فى أداء عملك وأن يكون رائدك حسن القصد فان كل ما تفعله يترك أثره الكبير فى نفسى.

واتصلت عن طريق التليفون بالسيد آبل بمفرى مدير المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب أخبره بأننى فى طريقى اليه . ومن ثم قصدت الى المحطة تصحبنى مارج وهناك طبعت على فمى قبلة وداع طويلة وكأنى ذاهب الى شنغهاى .

وكان آخر ما قالته لى : انى واثقة من أنك ستؤدى واجبك على خير وجه ... أليس كذلك يا ستيف ؟

يا لهن من مخلوقات غريبة الأطوار ، هؤلاء النساء !

الفصل الخامس

لم يخامرنى شك ما فى هـذا الواجب الملقى على عاتقى ، وما رجوت مغنما يجرّه علىّ هذا العمل الجديد . أجل ما رجوت فائدة مواتية مادية أو غير مادية،ولقدكنت أعلم أننى لن ألقى علىعملى — وان أديته على خير وجه — جزاءا ولا شكوراً ، وقد يكون آدم فى الحق أحوج ما يكون الى طبيب نفسى منه الى صحفى فان حياته لم تكن غير قلق وهمّ دائمين . غير أنى أحسست الواجب الأدبى ازاء هومر آدم ، فلقد كنت أول من اتصل به وأول من دفع به الى الأمام فى طريق الحياة ، هذا الطريق الذى آثرته به الأقدار اذ كان الرجل المخصب الوحيد والأخير ، فلم يكن غريبا أن أحس أن علىّ أن أرشده الى الطريق وأن آخذ بيده الى ذلك المصير الغامض الذى ينتظره ، ثم لا يغرب عن بالك أنى كذلك كان يدفعنى الفضول وحب الاستطلاع .

ولقد أسأت الحكم على واشنطن لأنى لم أتنبأ فى الحقيقة بالأحداث الرهيبة التى أحاطت بى ، والآن حين أذكر هذه الأحداث أحس أننى كنت كطفل غرير زيّن له أن يخوض فى خضم نهر زاخر بالماء ليلهو ويلعب وما كاد يسلم قدميه الصغيرتين الى الماء حتى جرفه بتياره الشديد .

ودليلى على ذلك أنى حين أحسنت الظن بالمؤسسة القومية لاعادة الاخصاب وحسبت أعضاءها يبلغون اثنى عشر عضوا تضاف اليهم لجنة من علماء الطبيعة تعمل مارية أوستنهايمر وتومى طومسون مستشارين فيها اذا بى أجد الأمر على خلاف ذلك . وفى الحق لقد كانت تلك المؤسسة أشبه

بجهاز ضخم من أجهزة أداة حكومية ، فكانت تكبر وتنمو يوما بعد يوم، وبت أعتقد أن ليس ثمة فرق كبير بين تلك الخطوات الواسعة والوسائل المتعددة التى تتخذ عند انشاء مؤسسة حكومية أو التي تتخذ عند استغلال بئر جديدة للبترول . وغدوت أرى أن هذه المؤسسة التى خصها رئيس الجمهورية بميزانية لا تحد هى أشبه ما تكون بالكشف عن الذهب من جديد فى ولاية كاليفورنيا . ووصلت واشنطن فى الثانى عشر من ديسمبر غير أن هذا اليوم انمحى من ذاكرتى فلم أعد أذكره بالخير اثر تلك الصدمة المريرة التى صدمت بها بادىء الأمر . وكان مثلى فى ذلك مثل أولئك الرجال الذين لا يزالون يذكرون تلك الأيام التى مرت بهم فى أنزيو أو على شاطىء أوماها .

لم أكن أحسب ان انسانا ما سوف يكون فى انتظارى بالمحطة ، غير أنى ما كدت أعبر مدخلها حتى تلقانى شاب أنيق أنفه دقيق مدبب شبيه بالأنوف التى نعرفها فى وجوه المديرين ورجال المال والأعمال وخطا الىّ يسألنى قائلا :

— أأنت السيد سميث ؟

— نعم .

فمد الىّ يده يصافحنى وهو يقول :

— أنا كلتز . برسى كلتز . نائب مدير الادارة . وقد بعث بى المدير لأكون فى استقبالك .

وتبينت أن فمه يبدو حين يبتسم وكأنه فم سمكة كبيرة أخرجها لساعته صياد من جوف الماء فقلت شاكرا :

— يا له من عطف كبير .

وخطر فى ذهنى أن الرئيس لا يمكن أن يكون غير آبل بمفرى طبعا .

ومع ذلك فقد سألته : كيف عرفني وكيف بحث عنى ، فأجاب : بأن وكالة الأسوشيتدبرس قد أعدت وصفا لى ونشرت معه صورتى الفوتوغرافية ثم سألنى عما اذا كنت تناولت طعام غذائى ، وحين أخبرتهم انى لم أذق شيئا دعانى الى أن أذهب معه الى مطعم هارفى . وفى خارج المحطة وجدنا فى انتظارنا سيارة سيدان ، وقد كتب اسم مؤسسة اعادة الاخصاب على ورقة ألصقت بباب السيارة . ودخلنا المطعم وطلبنا شيئا من الشواء والقواقع وأخذ كلتز فى الحديث قائلا :

— أحسب الآن أن الفرصة سانحة لكى أحيطك علما بما يجرى. فنحن آخذون فى انشاء مؤسسة كافحنا طويلا من أجل انشائها ، وما من انسان الا يرى أن آبل بمفرى سوف يكون الرئيس المرتقب . ولقد بدأ هذا الكفاح حين أدعت اللجنة هذا الادعاء ، وها نحن اليوم يشرف علينا المكتب التنفيذى لرئيس الجمهورية . لذلك فليس أمامنا عقبات تتصل بالميزانية وان كنا سنواجه وقتا عصيبا فى الكونجرس للحصول على موافقته السنوية ، وأكبر الظن أن أجل شىء قمنا به وأحرزناه هو انتزاعنا آدم من مجلس الأبحاث القومى .

عندها لم أطق صبرا ونظرت اليه أسأله :

— قل لى بربك وقبل أن تأخذ فى حديث آخر : كيف حال هومر آدم، فانى أشد ما أكون شوقا الى لقائه وغاية ما أرجوه له أن يكون قد عاوده شىء من الهدوء .

فتطلع الىّ فى دهشة وكأنه يتطلع الى مخبول ثم أخرج قلما من جيبه الداخلى وأخذ يرسم خطوطا فوق غطاء المائدة مهملا سؤالى ومضى يقول:

— هنا فى أعلى القمة يحتل المدير مكانه .

ثم مضى يرسم بقلمه مربعا صغيرا كتب فيه عددا من الأسماء ووصل حديثه قائلا :

— والى جانب المدير توجد هيئة من المستشارين المختصين وبديهى أن العبء فى تقرير السياسة العليا يقع على عاتق تلك الهيئة .

وسألته :

— عن أية سياسة عليا تتحدث ؟ أليست المسألة كلها هى الظفر بآدم ثم البدء فى انجاب أطفال ؟ انى لا أفهم من الأمر شيئا غير هذا .

عندها هب كلتز مذعورا وهو يشير الى غطاء المائدة :

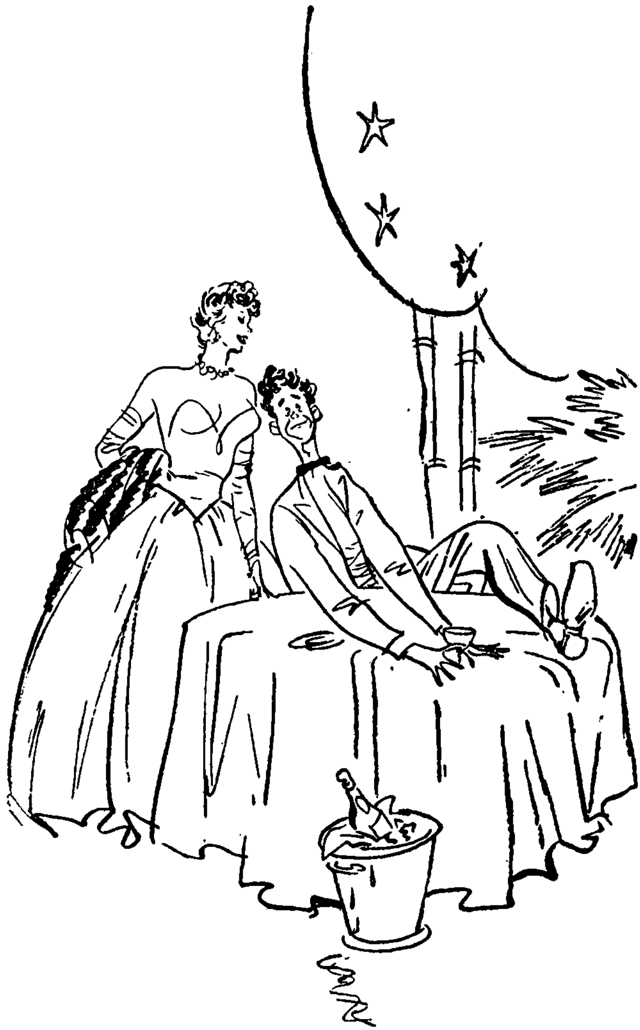
— رباه . كلا وألف مرة كلا . على رسلك حتى أخبرك أن مشكلة الانتاج لا تأتى هنا فى القمة . انها تجىء آخرا فى قسم العمليات .

وواصل كلتز الحديث قائلا :

— وها أنت ذا ترى تقرير السياسة العليا تلك السياسة التى تنتظم رئيس الجمهورية نفسه وجميع الوزراء وممثلى وزارة الدفاع والداخلية والبحرية ثم كبير أطباء الجيش ومدير مجلس الأبحاث القومى . وأقولها صريحة : ما كنا نحب أن يكون هذا الأخير عضوا فى هذه الهيئة ، ولقد حاولنا ابعاده عنا ولكنا لم نفلح .

وشع من عين كلتز نور غريب وأخذ يرسم فى دقة وسرعة كسرعة البرق مربعات عدة تربط بينها خطوط أفقية ثم استطرد قائلا : لا عليك فان من بين أعضائها أيضا المدير ، وبعده هيئة تقرير السياسة العليا لمؤسسة اعادة الاخصاب . وفى الوسط نجد المدير ثم تجدنى . تجدنى هنا الى اليمين . ان من واجبى المفروض علىّ الاشراف على الادارات التالية :

وهنا بدأ يكتب فى سطور متتالية : الادارة — الميزانية — المبانى — المواصلات — النقل .



واستأنف حديثه :

— ولا صلة لى بالسياسة أو التخطيط ، وليس لى عمل الا ادارة دفة الأمور ودفعها الى الحركة والسير بها قدما الى الأمام .

ومضى كلتز يحرك قلمه فوق غطاء المائدة فى سرعة السيل الجارف قائلا :

— ومن هذا الخط الذى يصل بين المدير وبين هيئة تقرير السياسة العليا يتفرع قسم ضباط الاتصال الذين يمثلون المصالح والهيئات الأخرى. ولقد مرت بنا أوقات عصيبة حين كنا نبحث لهم جميعا عن أحياء ومناطق لائقة . وبعد المدير تأتى لجنة اعداد الخطط .

— أتقول : لجنة اعداد الخطط ؟

— أجل ، فان السياسة العامة كما ترى تأخذ طريقها من غير شك من الهيئة العليا الى المدير ، وبعد ذلك الى لجنة التخطيط التى تتألف من رؤساء الأقسام والفروع ، وتقوم هذه اللجنة باصدار النشرات التوجيهية ثم تبعث بها لتنفذ . والى جانب لجنة التخطيط نجد هنا اللجنة الاستشارية التى تضم كبار علماء الطبيعة والأحياء ومن اليهم من جميع أنحاء البلاد . وعلى الرغم من أن هؤلاء ليسوا من بين موظفى الحكومة ، فهم على استعداد تام لمعاونتنا حين نطلب اليهم ذلك .

لم يكن كلتز قد مد يده بعد الى طبق القواقع ولا التفت الى خادم المطعم حين اختطف الطبق من أمامه . ومضى فى حديثه :

— بعد لجنة التخطيط يأتى نائب المدير ، وعنه تنبثق مجموعة ضباط الاتصال الذين يعملون فى اعداد الخطط ، ويشكلون أحد فروع الكونجرس . ثم ان لهيئتنا الاستشارية المختصة بالمشاكل العالمية صلتها

المباشرة بوزارة الخارجية ، وهى تبعث بمقترحاتها الى لجنة التخطيط ، أفهمت الآن كيف تسير الأمور فى مجراها وكيف تنساب فى طريقها ؟

— نعم فهمت .

وأحسست وأنا أرقب كلتز وهو يرسم كأنى طفل استهواه فنان عابر قد افترش جانبا من الطريق وراح يرسم بفرشته لوحة لمعركة بانكير هيل.

وتابع كلتز حديثه : وبعد نائب المدير يأتى مساعدو المدير فى مختلف الفروع : فرع الأبحاث — فرع التحليل — فرع الاحصاء — فرع الشئون العامة — ثم فرع العمليات بطبيعة الحال . وتلى هذه الفروع جملة من الأقسام سأرمز اليها بمربعات صغيرة ، فأكبر الظن أنها لا تعنيك الآن .

وسألته قائلا : ترى أين مكانى بين هذه الفروع والأقسام والمربعات ؟

— لقد وقع اختيارنا حقا على جابلمان ليكون مساعدا لمدير الشئون العامة . أتعرفه ؟ ألم تلقه من قبل ؟

— لا . لا أذكر انى سعدت بمعرفته من قبل .

وهنا قال كلتز وقد عرته الدهشة : كيف لا تعرفه ؟ انه صحفى من الطراز الأول . أعتقد أنه بدأ حياته للدعاية بمؤسسة ادارة الأعمال ثم تركها بعد ذلك الى ادارة الشباب القومى ، وأظن أنه أمضى شطرا من حياته محررا بادارة النجدة القومية ثم استعان به مكتب الحقائق والأرقام وانضم بعد ذلك الى أحدى المؤسسات الاقتصادية وانى لعلى يقين من أنه كان يعمل بعد ذلك فى الحكومة حين وقعنا عليه هناك . انه كما قلت لك صحفى من الطراز الأول : خبرة طويلة وكفاية منقطعة النظير . وهو الآن يشرف على فرع من الفروع الهامة فى المؤسسة بجدارة يغبط عليها .

قلت : وأنا

فقال وهو يمط حروفه على عادته :

— ان شئتها صريحة فانك فى الحق تثير مشكلة وأية مشكلة . ان الوظيفة التى كانت قد خصصت لك هى مساعد المدير للشئون العامة . وها أنت ترى انه قد تم التعيين بها ، وعلى الرغم من ذلك فلا ضير من أن تكون مساعدا خاصا للمدير . وعلى هذا فلنضعك هنا ...

عندها مد خيطا من هذا الخيط الذى يصل بين المدير وبين لجنة اعداد الخطط ثم رسم مربعا صغيرا كتب فى داخله كلمة سميث ومضى يقول :

— فى الواقع انى لم أعرف بعد ما اذا كنت ستعمل مع هيئة تقرير السياسة أو مع هيئة اعداد الخطط أو مع قسم العمليات ، لهذا آثرت أن أضعك هنا .

— وهل سيكون هومر معى فى هذا المربع ؟

وبدأ الضيق يغشى ملامح كلتز وبدأ وكأنه لا يستسيغ طعامه الذى لم يكن قد ذاق منه لقمة .

— لا ، ان آدم لن يكون معك . انه هنا فى الطرف الأسفل من قسم العمليات ، أما أنت فتكاد تكون فى القمة .

وامتدت يده الى مربع مهمل فى أسفل قسم العمليات لتكتب فيه كلمة واحدة « آدم » .

وأحسست دافعا قويا يحفزنى الى أن أفرغ من قطعة الشواء تاركا كلتز يشحذ ذهنه فى المراجعة والضبط لأعود الى نيويورك بالقطار التالى ، غير أنى عدلت عن هذا لأقول له :

— استمع الى يا عزيزى ! ان السبب الوحيد الذى من أجله جئت الى هذه المدينة هو رعاية آدم . فاذا كان مقررا ألا تكلوا هذا الى شخصى

الضعيف فلتخبرنى الآن لأعود الى بيتى . فما جئت هنا برغبتى ، وانما استجابة لهومر آدم نفسه ، ثم تنفيذا لأمر صدر من البيت الأبيض .

وحين ذكرت البيت الأبيض أحس كلتز بغصة وقال فى لهجة مغايرة : آه انى آسف وما كنت أعرف ذلك .

وقد عرفت الآن كلتز على حقيقته ، انه لا مثيل له بين الموظفين : ينظر الى الناس على أنهم غير متكافئين ولا متجانسين . يراهم جميعا أعلى أو أدنى منه ، لاوسط بين هؤلاء وهؤلاء . يشمخ برأسه ليلصق أنفه بمن هم أسمى منه وأعلى ، ويدوس بقدمه رؤوس من هم أدنى منه وأقل . ولقد امتلأت نفسه بفكرة لا يتحول عنها فقد رأى أنه اذا سار على هذا الدرب وسلك ذلك النهج وبقى على وضعه هذا — ضمن معاشا ثابتا بعد ثلاثين عاما فى الخدمة يحال بعدها الى الاستيداع ليقضى بقية عمره فى اللهو والصيد .

وقلت له :

— لا بأس فقد عرفت الآن عملى .

— انى لم أعرض لشئون آدم فثمة صعوبات تتعلق بها فى الأوساط الادارية التوجيهية . فانه عندما أحيل آدم الى المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب كان الجيش لا يزال صاحب السلطة واذا هم يعلنون بعد ذلك ان ارادة الرئيس قد شاءت أن يكون للمؤسسة القومية لاعادة الاخصاب حق استخدام آدم ، على أن تظل المحافظة على أمنه وسلامته بيد الجيش ، ومن ثم تم الاتفاق مع الجيش على تشكيل لجنة .

وصحت فى وجهه مشدوها :

— لجنة أخرى ؟

— أجل لقد أقمنا لجنة للاشراف على شئون آدم الخاصة دون أن

تكون لها صلة باخصابه . وكان على هذه اللجنة تنيجة لهذا أن تعرض ما عنّ لها من توصيات ومقترحات على قسم العمليــات » ولقـــد مثلت المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب فى هذه اللجنة . وكان فلپس سمايث ..

وقطعت عليه الحديث قائلا :

— يا له من لقيط !

فنهض كلتز واقفا وقال : انه يمثل الجيش فى اللجنة . ولقد اتفقت أنا وفلبس سمايث على أن تكون فى اللجنة معنا .

وكاشفته برأيي فى هذه التنظيمات كلها فى كلمات قصــيرة وبأسلوب تقليدى قاطع ، غير أن كلتز قال :

— أنى أرى أن يتولى بمفرى التفكير فى الأمر وأن ينتهى الى قرار . ولقد بصّرته أن من الخير أن يفصح لى عن الحقيقــة دون مواربة ودون ابطــاء .

* * *

كانت المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب قد استقرت فى مبــانى عدة بالقرب من ملتقى الطريق الثالث والعشرين وطريق « د » فى الشمال الغربى من واشنطن . وكان لها فروع فى مساكن موقتة أخرى تطل على متنزه قريب تركتها لها البحرية .

وتحس فى مبنى الادارة من الداخل ضجيجا وصخبا عاليا نتيجة تنقــل الفتيات من مكتب الى مكتب ونتيجة غمغمة الآلات الكاتبة ورنين أجراس التليفونات ولغط المتناقشــين فى قاعات الاجتماعات والمؤتمرات وكانت تفوح من الجدران رائحة الطلاء الحديث كما كانت تشيع فى المكان روح التجديد والتغيير .

وما أقرب الشبه بين مؤسسة حكومية شامخة حديثة الانشاء تتوسط

قلب العاصمة وبين نبات استوائى ينمو صغيرا يانعا خصبا مشرقا اشراقة البستان الفينان المورق ثم ما أشبهها فى الوقت نفسه بنبات الفطر فى ضعفه ورخاوته واصفراره وذبوله اذا ما عصفت به رياح هوجاء من زوابع الكونجرس أو تعرض لهزات ادارة الميزانية .

وكانت المكاتب المتصلة بادارة آبل بمفرى هادئة تعزلها عن الضوضاء جدران مانعة للصوت وكان أثاثها ينبىء عن حسن ذوق صاحبها المتصل بالجماهير اتصالا طويلا . ولقد بقى اسم بمفرى يصدر به دليل الكونجرس زمنا غير قصير حتى بعد أن كاد الأمر أن ينتهى بالمؤسسات والمكاتب التى كان يرأسها الى الافلاس . ولم تعد غير مجموعة من الحروف الأولى الكبيرة الجوفاء لاسم من الأسماء لا تحمل فى ثناياها معنى من المعانى ، وذلك بعد أن انسيها الناس وأصبحت فى طى الكتمان .

وحين جاء بمفرى الى واشنطن كان يحمل راية الحزب الجمهورى الحر واذا به يتحول فى الوقت المناسب الى ديموقراطى محافظ ، على الرغم من أنه كان منذ نشأته بيروقراطيا . وان دلّ ذلك على شيء فعلى أنه كان يستمتع بمعرفة الآلاف من الناس ، وأنه كان يعوزه الاحتفاظ بالولاء الدائم والاخلاص الباقى ، كما كان يعوزه التمسك بالعقائد والمواثيق وما كدّر عليه صفحة حياته أعداء ، ولا أشرقت سماؤها بسنا الأصدقاء هذا اذا استثنينا زوجته .

وحين أختير بمفرى ليكون مديرا للمؤسسة القومية لاعادة الاخصاب فى اليوم الذى تلا عيد الميلاد أخذ اسمه يظهر ، ولقد حفز الى هذا الاختيار ما عرف عنه من أنه انسان مسالم محايد ليس له مركز أو وظيفة مرموقة ، هذا الى أنه رب أسرة كبيرة قوامها زوجة وستة أطفال . وحين تم هذا الاختيار لم يكن قد كتب لآدم الظهور أو بعبارة أخرى لم تكن المؤسسة

قد استحوذت عليه واستأثرت به ، وكانت الأبحاث التى تدور حول اعادة الاخصاب لا تزال فى مراحلها الأولى ، ذات طابع نظـرى لم تعـد طور التجربة ، كما لم تنح منحاها العملى . ومجمل القول أن السيد بمفرى أصبح اليـوم ذا مركز مرموق يشار اليه بالبنـان . فشتان ما بين ماضيه المغمور وبين ما هو عليه الآن فى عمله الخطير الذى يلفت اليـه أنظـار الجماهير ويشغلهم به ، وعلى الرغم من هذا فلقد ظل بمفرى قلقا مهموما .

هذا عن مكنون نفسه ونوازعه الخفية . اما عن ظاهره ومظهره ، فلقد كان يبدو دوما هادئا مرحا يتورد خدّاه وكأنهما تفاحتان وتلف رقبته ياقة أرستقراطية محكمة تحمل طابع هيربرت هوفر . وأخيرا أقبل علىّ السيد بمفرى هذا يحيينى ويرحب بى قائلا :

— انها لفرصة طيبة تلك التى أتاحت لنا لقاءك هنا وأنه لجميـل منك سعيك الينا لنعرفك وما أسعدنا الحظ بهذا التعارف من قبل وأجمل من هذا أن يكون اتيانك لعوننا ومسـاعدتنا ، وسيبذل بيرس مافى وسـعه لكسبك الينا والاستئثار بك لصالحنا . ما قولك يا بيرس ؟

ولم أترك الفرصة لبيرس ليتكلم فسبقته وقلت :

— أخشى أن تكون قد التبست عليكم المهمة التى من أجلها جئت . وما مجيئى هنا الا لأبث الثقة فى نفس هومر وأعيد اليـه هدوءه . وغاية ما أعلم ان هذا هو ما يبغيه البيت الأبيض أيضا وما يطلب منى أداءه .

ولقد أدركت انى حينما كنت ألفظ بكلمة البيت الأبيض كان كلتز يقفز من مكانه فرحا مذهولا ، من أجل هذا رأيت أن أعيدها وأن أكررها أمامه عدة مرات .

وأجاب بمفرى قائلا :

— بالطبع انى أوافق بكل ما أوتيت من قوة ولا يسعنى الا الرضـا

والتسليم بما استقر عليه الأمر . ألم تشرح اليه يا بيرس ما اعتزمنا عمله ؟

فقال كلتز :

— أجل لقد حدثته فى اجمال ووضوح عن التوجيهات والتوصيات والارشادات وعن اللجنة الأخيرة التى انتهينا من تشكيلها ومكانه منها ومهمتها .

وصحت قائلا :

— لا صلة لى باللجان وانى لأمقتها مقتا شديدا .

فقال بمفرى وهو يحاول أن يهدىء بيديه ثائرتى :

— أليس من الخير يا ستيف أن تكون هناك لجنة أخرى حتى لو كان فى وسعك أن تقوم بالعمل وحدك وتنجز كل ما يتصل به ؟ ان حماية آدم أمر حيوى دقيق حساس ولهذا فانه يتطلب دراية وبراعة وحسن تصريف للأمور ، ثم أليس من الخير أن تحمل وزارة الدفاع شيئا من العبء لو وقع مكروه أو شاعت شائعة ؟

وقلت : لا

فتخاذلت قواه ، غير أنه قال :

ان مرد هذا كله الى الرئيس وقد اختارك لهذا العمل خاصة ، ولسوف أطلب اليه أن يزيدنا ايضاحا عما جاء عنك بمذكرته التفسيرية ، وقد لا يكون هناك ما يدعو لهذا الاتصال ، فلقد أصبحت المسألة فى غير حاجة الى مزيد من الايضاح وعلى أية حال فسأطلب من فلبس سمايث أن يحضر ليكون على بيّنة من الأمر ، اذ هو يقوم مقام ضابط الاتصال بين الجيش واللجنة .

قلت : أعرف ذلك .

ولم يجد جديد على فلبس سمايث منذ أن عرفته فى « تارى تاون »

فما زالت الشارات تحتل مكانها من صدره ، وقد كان فى الواقع على علم تام بكل ما يجرى . وعرفت من حديثه أنه بحث المسألة مع قائده وأنهما قد انتهيا الى رأى .

وبعد أن ذكر بمفرى أن اللجنة قد فرغت من أعمالها قال فى اسلوب الرجل السياسى الذى يعلن عن تغيير سياسة بلاده تجاه دولة معادية :

— ان وزارة الدفاع تأبى أن تهمل فى اتخاذ وسائل الامن حرصا على سلامة هومر آدم . فلو أنه أصيب بمكروه أوغدت حياته فى خطر لتعرض مستقبل الامة جمعاء لخطر شديد .

وقاطعته قائلا :

— أتعنى أن الامة ستخسر مستقبلها وأن العالم سوف يضل السبيل، ولهذا فقد شاءت ارادة الرئيس أن يعهد الىَّ أنا ولا يعهد اليك بالاشراف على آدم . وقد كان واجبا على ألا أحيطك علما بهذا غير أنى لم أقو على مغالبة ارادتى فلم أكتم عنك شيئا .

وحدق فلبس سمايث فى وجهى ، دون أن يصدم كما كنت أتوهم ، وأخذ يقضم طرف شفته فى حركة لا ارادية وهو جالس وراء مكتبه ومضى فى حديثه يقول :

— ان وزارة الدفاع لا تزال عند رأيها فى أن يصدر المسئولون أمرا مكتوبا يتخلون فيه عن المحافظة على سلامة آدم وحمايته وأن يصدر هذا الأمر وشيكا فقد عزمنا على أن نسحب الحراس وجنود الامن من شورهام فى السادسة من مساء اليوم .

قلت :

— أتعنى بهذا أنكم قد أسرتم آدم وعزلتموه فى مكان ما ؟

ولكن بمفرى لم يعرنى انتباها وسأل فلبس سمايث :

— هل فى عزم وزارة الدفاع أن تتخذ قرارا معينا وتعلنه على الجميع؟

— بالطبع .

— ولكن هذا سوف يثير كثيرا من التساؤل والجدل ؟

— لن تكون هذه غلطة الجيش .

وانطوى بمفرى على نفسه وكأنه كرة من المطاط أفرغ قدر كبير من هوائها واسترخى وقال فى حسرة :

— سأبعث بالامر الى مكتبك أيها العقيد حين أجد الفرصة لتوقع عليه .

قال فلپس سمايث : شكرا لك .

ثم غادر المكان وظل وقع حذائه يرن فى أذنى وهو يمضى عجلا ، ولم يلبث كلتز أن التفت الى بمفرى وقال :

— خليق بنا أن نبحث عن « نات » لأن هذا معناه بداية المتاعب .

ثم اتضح أن نات هو جابلمان مساعد مدير العلاقات العامة ،وكان شابا أسمر اللون شاحب الوجه طويل الشعر طولا يجاوز المألوف يعوزه التصفيف والترتيب وكانت أظافره أشبه بشعره طولا ولونا . وحين وقعت عيناه علىّ ظل يحملق فىّ بنظرات مليئة بالتفكير والتدبر والتقدير وأخذ يصغى الى تعقيب بمفرى على ما كان ثم قال :

— كان واجبا علىّ أن أعرف هذا كله فى حينه . والا فما هى مهمة رجل العلاقات العامة ؟ !

قال بمفرى :

— آسف يانات ، غير أن الحوادث مضت فى سرعة مذهلة .

وسأل نات :

— أخالك لم تكتب بعد تلك المذكرة لفلپس سمايث .

— كلا لأنه كان قد خرج فى التو .

وبدت عينا جابلمان تشعان بالحياة من خلف نظارته وقال :

— حسنا سنعمل على عجل وسوف أعلن الصحف بالتخلى عن آدم وشيكا . احتفظ بهذه المذكرة الى أن أستعد للأمر . وسننشر قصتنا أولا .

وسأل بمفرى : وما هى قصتنا يا نات ؟

— انها يسيرة غاية اليسر أجملها فيما يلى :

أعلن آبل بمفرى مدير المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب أن وزارة الدفاع قد وكلت اليهـا الاشراف التـام على السيد آدم استجابة لطلب الرئيس ... ثم أضـاف : ألا ترى ان هـذا يلقى بالأمر على عاتق وزارة الدفاع وسوف لا يقوون على الخروج على أمر رئيس الجمهورية اذ هـو القائد العام والرئيس الأعلى للجيش . وتقول بعد ذلك ان السيد آدم لم يكن يستمتع فى هذه الظروف بقسط وافر من الحرية الشخصيـة وكان لابد له من أن يحصل على جميع الحقوق والحـريات المكفولة لسـائر الامريكيين . وسوف يدعم هذا مركزنا عند حزب الأحـرار ثم تقول أن فلپس سمايث قد أصبح مساعدا خاصا للسيد بمفرى ، وقد وكل اليـه الاشراف على سلامة آدم ، وبعد فان سميث وآدم صديقان .. ألستما صديقين ؟

قلت : ما أظن أننا كنا صديقين .

فقال : على أية حال فأنتما صديقان اذ سوف يشير هذا الى أننا نضع شئون آدم نصب أعيننا .

وتبينت أن جابلمان كان كما ينبىء مظهره ليّن الملمس ماكرا ، ولعله أفاد من خبرته الصحفية حين كان وكيلا للصحافة الحكومية ، وان لم تتجاوز هذه الخبرة طبع الرسوم البيانية الحربية . واستطرد يقـول :

— قد يحسن أن نلمح الى أهمية تلك الصداقة أيضا كي نلقي اللوم الشديد على وزارة الدفاع ، ونحملها تبعة تلك المعاملة التي عاني منها آدم متاعب جمة من جراء ذلك النظام السابق العنيف الذي وضعته له هذه الوزارة .

قال كلتز : لا ينبغي ان أقول ذلك .

فأجاب بمفري : ولكن هـذا التصرف قـد يكون مدعاة لانتشـار الشائعات ، وقد يثير الذعر ، وينشر الفزع ، وينبغي علينا أن نطلع على الرسائل الواردة من رجال الأعمال (اقصد أشهر رجال الأعمال) والتي تنوه بقدر آدم وعظم منزلته ؛ ألا تدري ماقد يحدث لو أصـاب آدم مكروه ؟ ان شركات التأمين سوف تعلن افلاسها ويصبح أثر ذلك على السوق المالي امرا لا يمكن ادراكه او التنبؤ به .

وقال جابلمان موافقا : لم أفكر في هذه المسألة بعد ، وسوف نبدأ العمل على الفور .

ورغب كلتز في أن ألقي نظرة على مكتبي الـذي أعد لي أعـدادا كاملا ، وعلى مساعدتي ، غير أنني رفضت ذلك مصرا على أن أبدأ برؤية آدم دون أبطاء . واخبرني بمفري أنه قد هيىء لي مكان بين مرافقي آدم وحاشيته وفهمت من شرحه ووصفه ان عددا كبيرا من رجال البحرية سوف يصاحبه .

كان كل ما قصه على بمفري صحيحا ، فقد وجدت الجيش لا يزال مرابطا هناك ودوريات الأمن لم تنسحب عندما وصلت الى شورهام ، ورأيت عربة مصفحة وعربتين من حاملات الأسلحة عليها خمسون مدفعا رشاشا لوضعها بعد ذلك في مواقع استراتيجية عند مدخل الفندق ، ووضح لي أن آدم يشغل الطابق الخامس بأكمله من الفندق ولقد عانيت بعض المشاق في

الصعود اليه حيث كان رجال البوليس الحربى منبثين فى كل الردهات وعند المصاعد ، وعندما علم الضابط المنوط بالحراسة رغبتى فى مقابلة آدم وافق اخيرا على أن اصعد اليه على الفور قبل أن يتم الجيش رسميا عملياته الحربية الخاصة بآدم فى الساعة السادسة .

وفى ردهة فندق شورهام الضخمة المخصصة لكبار زائرى أمريكا مثل دوق وندسور أو مهراجات الهند ورؤساء جمهوريات الموز سمعت صوتا فى الداخل مختنقا وكأنه نقرة خفيفة على طبلة ينبعث من مذياع مثبت فى الجدار .

لمحت غير بعيد خصلة من الشعر الأحمر تتدلى من فوق متكأ أحد المقاعد الوثيرة وكان يسيرا على أن أعرف أن هذه الخصلة لآدم . وقد بدا حائرا متداعيا وكأنه فى سبات عميق أو فى غيبوبة . كان شبيها « بأب » فارع الطول ، طويل الساقين يجلس مسترخيا تشع عيناه ويفغر فمه وتتهدل شفتاه ، غير أنه ما كاد يرانى حتى نهض واقفا على قدميه ومد لى يده .

اعترف أنى أصبت بصدمة حين رأيته فقد بدا لى وكأنه هيكل من الهياكل العظمية التى استوت على قدميها بعد أن أمضت سبع سنوات فى معسكر اعتقال داخاو [1] . ثم قال :

— وأخيرا وصلت يا ستيف ! رباه ما أسعدنى حقا أن أرى وجه انسان ....

ولقد جاهدت فى أن أخفى دهشتى من تعاسة مظهره وقلت له :

— خذ الأمور فى يسر يا هومر ، ولتثق أن كل شىء سيتغير من الآن .

— آه لقد حرمت متعة الشراب فما عادوا يسمحون لى بغير مزيج

(١) معسكر اعتقال داخاو Dachau, فى ألمانيا : معسكر اعتقال أقامه النازى لليهود وأعداء نظام النازى ورويت قصص كثيرة عن ألوان العذاب

واحد من الشراب قوامه البيض والجعة الساخنة فلا أحس له طعما أو مذاقا وتكاد شجاعتى تخوننى ولا أجد أثرا لعزم أو قوة فى نفسى .

فقلت له :

— سوف تنال من الآن فصاعدا كل ما تريد مهما كان ، وعلى أية صورة كان .

— أحقا ما تقول ؟

وكان مشحونا بالانفعال ، رأيت يديه ترتجفان وعينيه تغرورقان بالدموع فرفعت سماعة التليفون واتصلت بقاعة الخدمات وطلبت له شيئا من الروم اذ كان آدم فى حاجة ماسة الى أن يستنيم كى ينسى همومه ويستشعر بعض الهدوء . وأخذ هومر يروى قصته فقال : يؤلمنى أن أراهم يسلكون معى هذا المسلك الخشن كل الخشونة ، القاسى كل القسوة وكأنى لست آدميا بل كلبا مدللا يقودوننى الى هنا والى هناك كما يشاءون . وهم لا يبيحون لى أن أترك هذا الطابق الا حين يأخذوننى لأعرض على جماعة من الناس لا صلة لى بواحد منهم . وهم حريصون على أن أرتدى ملابسى كاملة وأن أبدو فى أبهى شكل وأجمل مظهر ؛ على حين يأخذ هؤلاء المتطفلون ينظرون الىّ فى فضول عجيب كما لو كنت مسخا . أليس هذا بغريب ؟ أو ليسوا من الشواذ ؟ أو ألست بشرا يا ستيف ؟ انى انسان طبيعى تماما .

فقلت مصدقا : سوف أرى رأيى .

ومضى يقول : لقد كانوا يبحثون أمرى على مسمع ومرأى منى وكأنى جواد يراهنون عليه قبل السباق — ترى الى أى مدى سأبقى قادرا على الانتاج — وهل سيحقنوننى بمادة تستسترون والمقويات المثيرات وما الى ذلك ، يا له من شىء يثير الحيرة والارتباك ، وقد أصبحت خاضعا لهم كذلك

فى طعامى فلم أعـد أتذوق الا ما يرغبون فيه وما يقدمونه هم الىّ : هل خطر ببالك أن شيئا مثل هذا يحدث لى ؟

— كلا ، لم يخطر ببالى شىء من ذلك أبدا .

وجاء الخادم بالشراب وقدمت له قدرا كبيرا منـه ومضيت أشجعه . وحين فشلت فى أن أكون العالم النفسـانى الذى تهيأ لعلاجه وجدت أنى أستطيع فى يسر أن أعينه على الخلاص مما ملأ صدره من هم ووجدت هذا لونا من العلاج .

وأستطرد آدم يقول :

— ليتهم علموا أنى لا أدخر وسعا فى مد يد المعونة اليهم ، فان هـذا واجبى غير أنهم لا يملكون أن يباعدوا بينى وبين أسرتى .

واغرورقت عيناه ثانية بالدموع وكأنه طفـل آذاه النـاس عن قصد وسوء نية دون ذنب اقترفته يداه . ومضى يتابع شكواه قائلا :

— معذرة يا ستيف فما أدرى هل يجدر بى أن أتحـدث عن نفسي ، فما أقول غير أشياء تتصل بى وقد لا تعنيك .

فقلت له أستحثه :

تحدث كما تشاء يا هومر وخفف عن نفسـك ما يثقلك فانى أصغى اليك بكل جوارحى .

— أود من أعمـاق نفسى أن أرى زوجتى مارى الين ... فهى المرأة الوحيدة فى حياتى .

وأومأت برأسى أوافقه دون أن أبتسم .

— وصب هومر كأسا أخرى يستحث بها شجاعته على الكلام فى صـبر وأناة وقال :

— حين أقول أننى لم أعرف فى حياتى كلهـا امرأة غير مارى الين فأنا

أعنى هذا بكل دقة ، وأعنى أنها المرأة الوحيدة التى عاشرتها . فقد كنت أحسبنى دوما غريب الهيئـة يثير منظرى عادة الهزء والسخرية . وكانت الفتيات يهزأن بى فى صباى لنحولى وضمور جسمي وطولى المفرط وهذا التباين الواسع فى مظهرى ، ولهذا لم أجد القدرة أو الجرأة على أن أغازل فتاة . وهكذا خلت صفحة حياتى من الغزل والحب .

وأخذت أدرك ما يكمن فى كلامه كله من معان . لقد شاءت الطبيعة أن تختار رجلا خجولا يتميز بحيائه وعفته الجنسية وكأنه ما حرّم على نفسه معاشرة النساء تحريما باتا الا ليكون أبا لأبناء بلده .

قد يكون مغريا ومرضيا للأنانية نفر من الرجال أن يستأثروا بتملك نساء البلاد جميعا ، مع ما قد تمليه الضرورة من أن يحمل أكثرهن . غير أن هذا شيء يثير الفزع ، وهذا الفزع هو ما دفع بهومر الى الأنهيار النفسى ، وكان أشد وقعا عليه من تقييد حريته ومن حياته كالسجين فى شورهام بين مظاهر الرفاهية والنعيم ، أو كعارض الأزياء حين يخطو متنقلا بين ردهات واشنطون تتتبعه الأعين .

وقلت أستحثه : قل يا هومر ، أمض فى حديثك .

هذا كل ما عندى . وأجمل منه ان صـدرى يفيض بحنين الى مارى الين هذه الأيام خاصة ، أريدها يا ستيف ولا بد لى من أن أراها .

وقلت أناجى نفسى : لو أن أم هومر كانت لا تزال فى قيد الحياة لوجد فى كنفها كل ما يتوق اليه من حنان وحب ، وجهدت فى أن أعيد الى ذاكرتى ما قرأت من عقدة أوديب وكيف تنحدر الى الأبناء والأزواج مؤثرة فيهم وقلت أخاطبه :

— اذن فهم لم يبيحوا لك أن ترى مارى الين ؟

— تبا لهم ... لا . فلكم توسلت اليهم أن يخلّوا بينى وبين أن أذهب

الى تارى تاون يوما أو بعض يوم أو أن يخلوا بينها وبين المجىء الىّ على أن ترعى السيدة برندنج الطفلة خير رعاية خـــلال تغيب زوجتى . ولكن العقيد فلپس سمايث والسيد كلوتز رفضا ذاك تماما .

وأخذت أتساءل : « ماذا دهى هؤلاء القوم ؟ » .

وأدركت كنه سذاجتى وسلامة طويتى حينذاك .

وقلت له أمنّيه :

لا تدع اليأس يأخذ طريقه الى نفســك ، وهوّن عليك فسأهيىء الوسائل التى تحقق لك رغباتك .

ولمحته يبتسم للمرة الأولى ابتسامة عريضة واسعة فقلت له مشيرا :

— هيا فلنشرب مرة أخرى ثم لنفكر فى الغداء هناك . وهلم بنا نهبط الى الردهة الزرقاء فانى راغب فى تعرف المكان .

— ما أسعدنى بهذا !

وانقضّ على « جراد البحر » يأكله بشهية بالغة وكأنه قد أشرف على الموت جوعا وأكل كثيرا من الجمبرى وتبلع بثلاث قطع من الفطائر التهمها التهام الذئب ، ولقد خليته يأكل فلم أشغله بالحديث وأرخيت العنان لخيالى يصور لى من جديد تلك السنوات العشر من حياته الأولى فى هيانس فى ولاية نبراسكا ، فتخيلته صبيا نحيلا طويلا سقيم العظام ، يعبث به من هم دونه طولا من الصبيان ومن هم أكبر منه سنا ، فيفر الى أمه لتحميـــه ، ثم تخيلته شابا يافعا حديثا تشاكسه فتيات فى كليته الأمريكية وهو فى الفصل الثانى ولم يكن يدرك انها مداعبة تمليها الرغبة فى صداقة بريئة ولا شىء غيرها ، ثم تخيلته وحيدا ينكب على دراسة علم طبقات الأرض والجيولوجيا يعمل بجد وقد حصر همه وتفكيره فى عمله . وأخيرا رأيته الرجل الناضج الذى دفن كل الصلات البشرية فى أعماق اللاشعور فكان زواجه بحثا عن

أم أخرى يفزع اليها ويجد الطمأنينة تحت جناحيها كلما واجهته حقـائق الحياة الرهيبة .

كانت هذه هى حال الرجل الوحيد الذى أختير ليعمر الأرض بالناس بعد العقم ، ولم أكن أثق أن فى مقدورى أن أتيح له فرصة يلقى فيها مارى الين . وقد يكون مثيرا أن نهيىء له رؤيتها يوما أو بعض يوم غير أنه كان من المحقق انه لن يقيم معها دوما ، وكان ذلك يقتضينا أن نجد حلا آخر .

— ألا تدرى يا هومر انك حين كشفت لى عن مكنون صدرك احتللت فى نفسى مكانا خاصا ، وكذلك حين آثرتنى بشىء عن حياتك الخاصة ؛ واخالك ادركت ما ارتكبت من خطأ فانك معبود النساء حقا وصدقا .

فأجاب وملء لهجته التأكد واليقين : كلا

— بل أظن ذلك .

— ولم تظن ذلك ؟

— لانك شاب فارع الطول ونجوم السينما جميعا ممشوقو القد فارعو الطول ، اليك جارى كوبر مثلا .

— أجل : غير أنهم ليسوا مثلى على هذه النحافة المفرطة .

— خذ مثلا الممثل فرانك سيناترا ، فانك لا بأس بك بالقياس اليه غاية ما هناك أن عظامك يعوزها مزيد من اللحم .

وفكر هومر هنيهة ثم قال :

— كم كنت جميل الهيئة فى استراليا حيث كنت أستمتع بالهواء النقى والرياضة الباعثة للنشاط ، وكثيرا ما كنت أشتهى الطعـام ، وانى الآن لا أقرب الرياضة من قريب أو بعيد فى هذا المكان البغيض والسجن اللعين.

وقلت له أعده :

— سأبذل جهدى فى تدبير ذلك كله ، هيا اذهب واحلق ذقنك والبس

قميصا نظيفا فسوف أصحبك الى الخارج وسوف نبتعد عن هذا السجن لأسرى عنك ولتستمتع بالحياة لحظات كما تحب وتهوى فى هــذا الجــو البديع .

وتبينت فى الردّهة الزرقاء وبعد عشر ثوان من دخولنا اليها أن رعايتى لهومر ليست شيئا يسيرا فما هو بكبش من الكباش السهلة القياد فينسى شأنه اذا ما انضم الى القطيع . ان الانسان ليحس الاشمئزاز لبقائه مغمورا بين الناس لا يؤبه له على أية صورة كان هذا الانســان . ثم ان هومر لم يكن بالرجل القمىء ، فقامته تمتــد نحــوا من ست أقدام ونصف قدم ، وشعره أحمر براق يحكى اشارة المرور حين تعلن وقف الســير ، وقده يحكى سارية العلم سمكا ، زد على هذا ما كسبه من شهرة جعلته حديث المجتمع وجعلت وجهه معروفا لكل من طالع صحيفة يومية ، وهذا يكشف لك عما كنت سأقع فيه من متاعب حين يوكل الىّ أمره بعد أن غدا هومر آدم على تلك الحال من الشهرة التى جعلت منه أعجوبة الدنيا الثامنة .

وحين دخلنا ملهى « القاعة الزرقاء » لنحجز مائدة ، عرف بيير ، كبير الخدم ، آدم وخف كلاهما الى الآخر يحييه ولقد كادا يرقصان . وتقــدم بيير الى مائدة على حافة حلبة الرقص ونزع من فوقها بطاقة الحجز وهرول يجيئنا بما طلبنا من شراب وتطلع بارنى قائد الأوركسترا الينا ومد رقبته فاذا هو يخطىء الضرب على الطبلة فيختل النغم ويشرد العازفون غير أن واحدا من الحاضرين لم يلحظ شيئا .

التأم شمل الفرقة الموسيقية وعاد العزف ثانية وتطلع الناس الينــا . ولو أن هومر كان نمرا أحمر جىء به من بلاد البنغال لما أثار النــاس الى هــذا الحد ، وما جعل كل راقصين يعرجان بنا ؛ والغريب أن النساء هن اللاتى كن يسعين الى الاقتراب منا .

وسكتت الموسيقى فلم تعد تعزف ، وخيم الصمت على المكان . والمألوف فى مثل هذه الملاهى الليلية ان الموسيقى حين تكف لا يكف الصخب بل يبقى كما هو يصحبه رنين الأكواب والأطباق وتدوى فيه المناقشات السياسية والتجارية وترن فيه الضحكات غير أن الموسيقى حين سكتت هذه المرة بقى السكون شاملا ثم بدأ الهمس فجأة وكأنه دوى النحل له جرس فى الأذن غريب ولقد تبينت أن مبعثه ثلثمائة سيدة كن يتكلمن فى وقت واحد .

وقال هومر فى دهشته :

— ما خطب هؤلاء القوم ؟

قلت وأنا أداوره :

— لا علم لى .

— انها لأسوأ حفلة شاى رأيتها وأنى لأكاد أجن حين أرى هؤلاء الناس يحملقون جميعا فى وجهى .

— هدىء من روعك واشرب كأسك .

واستجاب هومر وشرب كأسه .

ووقعت عيناى على أوسكرفينى فى الردهة ، هذا المغامر الأفاق الذى طلع فجأة من شرنقة الصحافة وغدا فراشة مرموقة ونجما لامعا فى سماء هوليود وحظى بلقب مستشار للشئون العامة وأصبح أجره الأسبوعى ألف دولار . والى جانب أوسكر وقفت غادة ذهبية البشرة تستر شيئا من جسدها بثوب مطرز بالذهب ولم يكن مظهر هذه السيدة لينسينى اسمها على الرغم من أن ذاكرتى لا تعى من الأسماء شيئا ، لقد ذكرت أسمها وانها تعمل راقصة بالملاهى الليلية . أصبحت تدعى الآن كاتى رايدل ولقد سماها أوسكر « بالاطار » فاشتهرت به وأقول انها غدت شهيرة لامعة لأن

كاتى رايدل كانت من كواكب هوليود ، ترى صــورتها فى كل مكان وان كانت لا تظهــر على الشاشة ، ولم تكن لها من الكفاية الفنية ما يجعلها تشترك فى فرقة من الفرق الأمريكية العامة . ولقد كان من اليســير على الشبان أن يتعرفوها دون تردد ولو من ظهرها ، وهذا فوق ما يمكن أن يقال عن كورنيل أو هايس نفسها .

وأشار الىّ فينى بيده محييا فرددت عليه التحيــة وفاجأنى هومر بقوله :

— ويلى من هؤلاء النساء ! انى لأحس القشعريرة تسرى فى جسدى خوفا منهن ورعبا .

وأدركت أن النساء كلهن قد صوبن أنظارهن الى هومر على حين كان الرجال فى شغل عنا وكانت روح الأنوثة الصــارخة قــد ملأتهن وبدت واضحة جلية للعيان .

وسألنى هومر قائلا : ما خطبهن ؟ .

— أخالهن يردن انجاب أطفال .

فاشرأب بعنقه وشخصت مقلتاه فى عينيه وكأنه طفل يتوق الى أن يمده أخوه الأكبر المجرب بذخيرة من النصح والارشاد عن أسرار الحياة وقال :

— أليس لهن ... أعنى ... هل الرجال كلهم ... أنت تعلم ... أليس من الممكن ... ؟ (ثم تلبث هنيهة يفكر ثم مضى يقول) : ان ما أعنيه هو وفى صراحة ... أنت حين ... أقول أنت حين تنام ... (ثم تلعثم مرة أخرى ... ثم عاد يقول) عندما تضاجع زوجتك ... ان ما أعنى ...

فقلت له :

— انى أفهم ما تريد ، ان الأمور تمضى هكذا يا هومر ، ان كل شىء

يجرى على وتيرته غير شىء واحد ... لاشىء يقع بعد ذلك ... لاشىء أبدا ... لا أطفال .

— حسنا ... وبعد فأى شىء يجعل هؤلاء النساء ... ؟

فقلت أزيده وضوحا :

— انه شىء غريزى وما غريزة الرجل غير احساسات جسدية تنتابه من حين الى حين ، وهى تختلف عند المرأة أو النســـاء جميعا ، ولا علم لى بدوافع الرغبة الجنسية أو الجماع . غير أن المسلم به أن النساء جلهن يردن بداءة انجاب أطفال ، والأطفال فى يقينى جزء لا يتجزأ من الغريزة الجنسية عند المرأة ، وهى عند الرجل ليست شيئا من ذلك أبدا ... أفهمت ؟

فقال هومر وهو يتنهد :

— نعم الآن فهمت .

وتطلعت فرأيت صديقى أوســكار فينى يصحب « الاطار » واذا هى تطالعنى بثدييها المكتنزين المستديرين وكأنهما كرتان ، وأخذت تصوبهما تجاه هومر ، ثم أقبلت علينا تتهادى ، وليس بوسع انسان مهذب فى مثـل هذه الحال الا أن يسعى الى التعرف اليها ، وساعتها أخذت أقدمهـا الى هومر . وحين أحسست ميلى الى الشراب كبحت جماح نفسى مذكرا اياها ان المقام يلزم الرجال باليقظة والانتباه وما أشك فى أن كيتى روب أو كاتى رايدل أو « الاطار » أو بأى اسم آخر تدعى به ، أقول ما من شك فى أنها على قسط كبير من الذكاء أو أنها ثقفت فأحسن تثقيفها ودربت وهذبت فأحسن تدريبها وتهذيبها ، ولقد ألهمتها أنوثتها المجتمعة فى ثدييها أن تبدو رائعة . وأخذت لساعتها تتكلم فى طلاقة عن علم الآثار . وليس بعيدا أن تكون قد قرأت شيئا فى الصحف عما كان هومر يميل اليه فى صدر شبابه

من أن يكون عالما من علماء الآثار . وهكذا وجدت هذه الماكرة وسيلتها لتخلق سببا يؤلف مع الأيام المقبلة بين قلبها وقلبه .

وقال هومر : أراك مغرمة بعلم الآثار ؟

وأجابته عجلة لا تتريث :

ما أشد ولعي بهذا العلم . أتراك سمعت عن الأستاذ روب بجامعة شيكاغو ؟

ولم يكن عجيبا منها أن تذكر هذا الرجل فلقد كان أباها .

— حقا . أليس هو الذى يقوم بحفريات عن حضارة الأزتيك ؟

— انه أبى وانى لكذلك مولعة بالآثار فى المكسيك ، رباه لأشد ما أذهلتنى تلك الآثار الرائعة التى وجدوها فى معبد هويتز لوپوشتلى .

وأجاب هومر بأنه شغوف بها هو الآخر .

وهكذا مضى الحديث بينهما . وما من شك فى أن ذلك الحوار الذى اتصل بينهما كان أغرب حديث وأعجبه أثير على مائدة العشاء فى ملهى ليلى . ولقد ملأ عقلى شكا ان هذا المخبر الماكر كان يتوق الى الوصول الى ذروة المجد فى واشنطن . وكان صديقى أوسكار فينى على وعى لا تخفى عليه خافية ، وما من شك فى ان ربط اسم هومر آدم باسم ممثلة من الممثلات شيء يحفز الى ملء أعمدة عدة من الصحف وما أكثر صحف الولايات المتحدة التى ترحب بمثل هذا .

وسرعان ما لاحت فرصة من تلك الفرص وتمثلت فى صورة . فلقد اقتربت منا احدى المصورات اللاتى تلقاهن مصادفة فى الأندية الليلية مثل « القاعة الزرقاء » وكانت ترتدى فستانا أزرق يتفق والزخرفة الداخلية للمكان وفى يدها آلة تصوير بمصباحها الكاشف تضطرب اضطرابا متصلا

وكأنها ممثلة حديثة العهد بالتمثيل قد بدت على خشبة المسرح للمرة الأولى . ولقد سألتنا أن ينضم بعضنا الى بعض وحين رفعت آلة التصوير لففت خصر كاتى بيدى دون أن يلحظ ذلك أحد غير فينى وومض المصباح الكاشف ومضة ورجعت الفتاة الى الوراء شيئا .



وقال فينى : ان عقلك ملىء بالشك والشر .

قلت : ما أقصد غير أن أحتاط .

وتطلع الينا هومر كما تطلعت الينا كاتى دون أن يفهما شيئا ثم اندفعا يتحدثان عن المكسيك ، على حين أخذت أنا وأوسكار نتحدث عما تعرضه المحال التجارية وأخذت أقدم الشراب مضطرا لهومر حتى يعود اليه شىء من الهدوء والاطمئنان جسما ونفسا فلقد كنت أرى أن عنـاءه المكبوت يمضى عنا شيئا فشيئا اذ كان كلما لعب الشراب بعقله زاد اعجـابه بالممثلة كاتى أو قل اعجابه بما تهوى وبغرامها بعلم طبقات الأرض . ولقـد رأيت

السيناتورة فاى سمرنوت تجلس طيلة هذا الوقت وبيننا وبينها مائدتان ، غير أنى لم أرها الا حين أخذت تسعى الينا وكأنها الحية الرقطاء لا تخرج من مكمنها الا حين تتهيأ للوثوب واللدغ .

وأكاد أجزم أنه ليس ثمة مواطن فى هذا البلد من أقصاه الى أقصاه طولا وعرضا لا يعرف عضو الكونجرس فاى سمرنوت ، فلقد كانت وهى فى التاسعة عشرة من عمرها أجمل فتـــاة فى نيويورك ، وحين أدركت الخامسة والعشرين كانت أكثر نساء لندن جاذبيـــة ، فلمـــا أشرفت على الثلاثين كانت أكثر مطلقات جزيرة رودس أناقة ، وأخيرا حين بلغت الخامسة والثلاثين تزوجت رجلا من كبار رجال المال ، وأمست بذلك أذكى نساء العالم وأغناهن وأجملهن أو قل كان هذا هو ما تعتقده هى على أقل تقدير . وما كاد زوجها الثرى يلقى حتفه حتى غسلت أصابعها الجميـــلة فى بحيرة السياسة العكرة . وما أن مر وقت قصير حتى أصبحت عضوا فى الكونجرس يشار اليها بالبنان . ولقد أخذت فاى سمرنوت تنظر الى هومر نظرة صريحة فاحصة ، ولكن هومر لم يصرف عينيه عن « الاطار » .

ونهضت فاى ومرت بنا ونحن على المائدة شامخة بذقنها فى تكلف علّها تستر تلك التجاعيد التى قد ارتسمت على عنقها وأغضت فى مرورها عن « الاطار » ، وكأن لم تكن جالســة مكانها ، وأومأت برأسها مشـــيرة وابتسمت لهومر من قبل أن تدنو منه دنوا يتيح لها أن تسمعنا ما تقول دون أن يسمعها جالس من الجالسين الى الموائد القريبة واذا هى حين تبلغ المكان الذى اختارته تقول :

— يا لها من غبية تلك الحمقاء !

عندها هبت « الاطار » من مقعدها وكأنها اللبؤة ، ولكن أوســكار خف اليها يجذبها فجلست . وكانت فاى قد بلغت الباب والذى أعرفه أنها

كانت تعانى ضيقا كبـيرا وحرجا شـديدا . وغدت يدا هومر المعروقتان تختلجان وأخذ وجهه يمتقع .

وتحدث اليه أوسكر قائلا :

— الا ما أجمله من عمل وأيسره هـذا الذى ستضطلع به ! انه نعم العمل حقا !

وأجابه :

— أراك تغبطنى على ذلك وتحسدنى من أجله .

ووقعت على قائمة الحساب وأخذت بيد هومر الى المصعد وصحبتـه الى غرفة نومه حيث عاونته على خلع ملابسه ودفعت به الى الفراش بعد أن وضعت فى فمه بضع أقراص من الاسبيرين وبعد أن هيأت له قدحين من كربونات الصودا .

رباه لقد برزت قدماه فجاوزتا الغطاء . ترى ما أنا فاعل لأحـول بين قدميه وبين أن تجاوزا الغطاء ؟! أجل ليس فى مقدورى أن أفعل شيئا .

الفصل السادس

وحين استيقظت صبيحة اليوم الثانى وجدت رائحـــة القهوة تشيع فى الحجرة فخيّل الىّ بادىء ذى بدء أننى فى منزلى وأن زوجتى قد أيقظتنى. لكنى لم أسمع قرقرة القهوة فى الاناء ، ولم يطرق أذنىّ صوت المذياع ، ولم تمسك زوجى بأذنى مداعبة وكان ذلك شأنها معى عندما يحين وقت ايقاظى . وظلت رائحة القهوة النفاذة تملأ أنفى . ففتحت عينى وهممت أن أنادى مارج ، ولكن سرعان ما تبينت أنى فى الجنـــاح المعـــد للسيد آدم وأن ثمة شيئا جديدا قد أضيف اليه . لن أكون منصفا ان وصفتهـــا على حالها التى بدت فيها لأول وهلة ولكنى سوف أصفهـــا على حالهـــا التى عرفتها عليها فيما بعد : انها جين زيتر ، وقد كانت فى الواقع فتاة غريبـــة لأنها لم تكن جميلة جمال « الاطار » أوفاى سمرنوت أو مارج . بل كان جمالها الكامن فى روحها والذى تفيض به نعومة بشرتها ويتمثل فى رشاقة قدها يفوق هذا الجمال الذى ينطق به مظهرها ولقد كانت مثالا للعاملات النشطات ، ومن عجب أنها كانت تبدو كأنها من الحمـــالات اللاتى اعتدن رفع الأحمال الثقيلة فى سرعة فائقة ، كان يروعك منها مع ذلك هدوء واتزان وعزوف عن الصخب ، همهـــا الأول والأخير هو عملهـــا . كانت ضئيـــلة الحجم بشكل عام ليس لها حظ من طول ، يروعك منها هذا الهزال الذى أصاب مواضع من جسدها . كان من حقها أن تبدو مليئة وما كانت ثيابها بالتى تنكر عليهـــا نظافتهـــا ، وكانت تضع على عينيهـــا منظـــارا سميكا فتتراءيان به وكأنهما أكثر سعة واستدارة وتبدو هى بهما كأنها مذعورة .

وهى على هذا لم تكن على موهبة ترقى بها الى مقام مساعدة لمســـاعد الرئيس » وما كانت غير موظفة صغيرة بين هذا العدد الحكومى الكبير ، وكان عملها لا يعدو دفع عجلة الأمور أشبه بالزيت للآلة ، فانه حين يجف هذا الزيت المساعد على الحـركة مع مرور الوقت يلزم استبداله وتغييره حتى لا يعلوه الصدأ وذلك دون حاجة لأن يعرف انســـان شيئا ما عن اصلاحه أو الاتيه اذ غاية ما هنالك أن يسير دولاب العمل فى دقة ونظام .

وحينما نظرت اليها دهشا أتساءل عن سر وجود أنثى غريبة فى غرفتى سعت الىّ حاملة قدحا من القهوة وهى تقول :

— أعتقد أنك تتساءل من أكون ؟ أنا جين زيتر مســاعدتك . ولقـد وجدت المكتب مليئـــا بالأوراق والملفات ، الشىء الذى يحول بين السيد سميث وبين دخوله . فآثرت أن أنقل المكتب اليك .



وقلت لها :

— ما أجمله من شعور أن ينتقل المكتب الىّ » (وزدت مضمرا) ان الشىء الذى أحس معه الراحة دوما أن يكون المكتب أمامى وقدح القهوة

فى يدى (ومضيت أقول) : غير أنى لا أرى أن هناك ما يدعو لأن يكون لى مكتب خاص ، فانى كماترين لاأمر لى ولا نهى فى المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب ، وما أنا الا أحد كبار الممرضين .

ونظرت جين الى منامتى الحمراء بعينين مرتاعتين وقالت :

— لكن ترى اذا مضت الحال على هـذا المنوال ولم يكن لك مكتب خاص ، أيكون فى مقدورك أن تجيب على البريد اليومى والبرقيات وأن تملى مذكراتك ؟

وقلت فى حزم :

— لم أمل مذكرة ما أبدا .

— ان واجبك يلزمك أن تملى مذكرات ، فالنـاس الذين يراسلونك ينتظرون ردك ، وهاك بريد اليوم يمتلىء به مظروف كبير وقـد أحضرته معى فقد يعنّ لك أن ترد على ما جاء فيه ، ولا يغب عن بالك أيها السيد سميث أنك فى مركز لا يستهان به . ثم ان عملك مساعدا خاصا للمدير العام يتيح لك أن تحصل على نسخة من كل التقارير الهامة التى ترد الينا من المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب ، هذا الى المذكرات المتبـادلة بين المؤسسة وبين المكاتب الفرعية ثم بين هذه المكاتب بعضها بعضا ، حتى تلك الرسائل التى لها صفة السرية .

وعرفت من ملامح وجهها ومن نبرات حديثها أنها جادة فيما تقول ، وأردت أن أسايرها حتى لا تستولى عليها الظنون والأوهام فتخالنى أشبه كلتز من قريب أو من بعيد .

فقلت لها وأنا أستوى قاعدا فى فراشى :

— أستمعى الىّ يا آنسة زيتر . لن أكتب مذكرة ما على أية حال والى

أى انسان ما ولا فى أى موضوع ، جل أو هان . هذا عهد أقطعه على نفسى وانه لقسم لو تعلمين عظيم .

— آه ! أيها السيد سميث ....

— لن أفعل هذا أبدا . والله على ما أقول شهيد .

— أرجو ألا يغيب عن بالك أيها السيد سميث انك اذا لم تجب على المذكرات أو على الأقل لم توقع عليها فستبقى الأوراق مكدسة ، وانك لترى أن الواجب يملى أن تمضى الأعمال فى نظام ، ولتفرض أن السيد كلتز أرسل اليك مذكرة ترى ماذا أنت فاعل ؟

— حاشا لله أن أفعل شيئا .

قالت جين فى اصرار :

— ترى لو أن السيد كلتز أرسل الى السيد جيبلمان مذكرة ليقطع فيها برأى أو لينفذها ثم بعث منها صورة اليك أو الى أعضاء لجنة التخطيط للعلم وللتوقيع فاذا أنت لم تقض فى هذه المذكرة أو تلك برأى فستبقى حيث هى لا غناء فيها . عندها سوف يعسر على الكتبة أن يضعوها مكانها اللائق بها فى السجلات والأرشيف .

— أو تظل المذكرات حبيسة هنا فى هذا المكان ؟

— أجل الى الأبد . وسوف يلاحقك قسم المتابعة ، يكتب اليك يلفت نظرك ويطلب منك الرد والعمل . عندها سوف تتأزم الأمور . ورجائى اليك أيها السيد سميث أن تفكر فى حل لهذه المشكلة فانك أن لم تفعل فسيظن ولاة الأمور أنى متوانية لا كفاية لى فى هذا العمل . وقد يكتبون عنى مالا يليق ولا يشرف ، ومثل هذا طبعا يكون عقبة كأداء فى سبيل رقيى وتقديرى .

وبدت هادئة رزينة تثير العطف عليها والرثاء لها مع أنها فتاة لطيفة ودود مؤنسة ، فقلت لها :

— فلنتفق على أن توقعى الأوراق والمذكرات التى ترد الى المكتب بالأحرف الأولى من اسمى ، وليكن هذا واجبك .

— ولكن ألن تقرأ شيئا منها ؟

— لا . أبدا

— بل ان عليك حقا أن تطالع التوجيهات فهى جديرة بأن تقرأ ، وهذا لعمرى ما يفعله كل موظف مسئول اذ هى من السرية بمكان .

— أبدا .

فقالت وهى تهز رأسها مستنكرة ساخطة :

— يا للعجب ! ان أمر مؤسسة اعادة الاخصاب القومية لعجيب ، وانك لكذلك أيها السيد سميث رجل عجيب حقا . وما ألوم غير نفسى اذ تركت عملى فى وزارة الداخلية ، هذا على الرغم من أنى أحصل على ستمائة دولار فوق مرتبى لقاء عملى فى المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب التى كنت أرقب أن يكون العمل بها أكثر تنوعا وأكثر تقدما وأكثر تسلية وما خطر ببالى قط أنه سيكون على هذه الصورة الجامدة المملة .

وتنطلعت حين ثانية الى منامتى الحمراء وقالت بعد تدبر :

— هل أصابك مس من جنون أيها السيد سميث ؟ أخشى أن تسبب لنا مشاكل ؟ على أنى على ذلك لن أخيّب آمالك وسأبقى الى جانبك .

عندئذ ذكرت هومر ، وملت برأسى أنظر الى حجرة نومه التى كانت فى نهاية الردهة وسألت نفسى هل أتخمته شرابا فأخذ يعانى القىء . وبدت حين وكأنها كانت ترانى على وشك أن أسأل عن هومر وأحواله فاذا هى تبادرنى قائلة :

— لقد خرج منذ ساعة واحـــدة وما كنت أعرف اذا كان الخروج مباحا له أم لا . وحين سألته عن ذلك قال لى بلغة الواثق : ان له الحق فى أن يفعل ما يشاء . وما لبث أن انصرف فقلت وقد تولتنى الدهشة « الى أين ذهب ؟ »

لقد أخبرنى أن شخصا اتصل به بالتليفون وضرب له موعدا ليناقشه فى علم الآثار . غير أنه لم يذكر لى شيئا عن وجهته ، كما لم يذكر لى اسم من دعاه للقائه وكل ما قاله لى : انه مغادر الفندق ليلقى شخصا يحدثه عن الآثار . وكان يبدو منشرح الصدر يكاد يرقص طربا لهذا الموعد ، فرجل من أجله شعره وسواه .

— آه ، لقد اختطفته « الاطار » !

— الاطار ؟ !

وانحدرت من الفراش وأنا اقول :

— اديرى وجهك أو ادخلى الحجرة المجاورة فعلينا أن ندبر لما حدث ..

ولقد بدا لى أنها لم توجس منى خيفة فلقد أدارت وجهها ولم تتكلف شيئا .

وارتديت ثيابى عجلا وكنت أحس فى قرارة نفسى بالاطمئنان فلقد عددت تعلق هومر « بالاطار » شيئا مشجعا فانه ينبىء بأن هومر قد عرف طريق الشـــفاء وأنه بدأ يطرح جانبا ذلك اليأس الذى يلازمه ، كما أخذ ينفض عن نفسه غبار الكسل ويخرج من تشـــاؤمه . وانى على ذلك كنت أرى ألا حرج عليه فى أن يخرج مع « الاطار » وفى أن تصحبه مادمنا نأمن العواقب الوخيمة .

وعلى أية حال فقد كان واجبا علىّ أن أحول بين أدعياء الصحـــافة فى هوليود وبين أن يستخدموا اسم آدم فى الدعاية « للاطار » ، وأدركت

ألا ضير فى أن يهرب آدم مع « الاطار » ينشد الراحة والمتعة على أن نأمن النشر والدعاية لنأمن التعويق والتخلف ونأمن ألا يفلت الأمر من أيدينا .

واتصلت بنادى الصحافة وسألت عن أوسكار فينى وطلبت اليه راجيا أن يكلمنى بالتليفون ، وحين تم ذلك قلت له :

— ان طفلتك المدللة قد استأثرت بولدى هومر ، وانه لعمل غير نبيل.

— ربّاه .. ! الى هذا الحد انتهى بها الأمر معه .

لقد جهدت فى أن أتصل بها الصباح كله لأنى راحل الى نيويورك .

— ما أسوأ ما تعلم عنها وكأنك على علم بالمكان الذى ذهبت اليه « الاطار » .

— كلا . صدقنى يا ستيف حقا انى لا أعرفه .

ونمت لهجة حديثه عن الصدق فقلت له محذرا :

— لا تحاول يا أوسكار أن تخفى الحقيقة عنى أو أن تخدعنى وتنتصر لآدم ، فهذا أمر له خطره . فلا تزد الامور تعقيدا ، فأنت تبغى الدعاية فحسب .

وبقى لحظة حائرا قبل أن يجيب ثم قال :

— سأصارحك بكل شىء دون مواربة : قد طلبت الىّ كاتى أن تصل حبلها بآدم لتجد السبيل الى أوج المجد وبقيت تلحّ علىّ أياما عدة لأحقق لها هذه الأمنية . ولقد فكرت فى هذا ورأيت الخير فى ألا أجيبها الى ما طلبت . وحين رأيتك مع آدم أوحى الىّ هذا بأن أحقق لها ما فكرت فيه لا لشىء سوى أن كاتى منذ الآن ستجد أسمها لامعا على الشاشة بله الصحف ، ومن المحتمل أن يكون لهذا أثر عند النساء خاصة فهن لا يأنسن لها كثيرا لأسباب عدة بيّنة حين تبدو راغبة فى أن تستأثر بالرجل الفرد على ظهر الأرض وما من شك فى أن ذلك سيجعلها بمعزل عن الشعب .

وما أظنك الا رأيت كيف كانت حال الممثلة الهاوية بورجيا ، وكيف بذلت جهدها لتجتذبه اليها ، لقد طلبت الى « رايدل » الابتعاد عنه محذرة اياها بأن انتزاعها آدم لا يقل شأنا عن سلب خزانة الولايات المتحدة ، هذا الى أنه سوف يكون ذا أثر سيء الى دخل المسرح التى تعمل به فاستجابت لها ، واذا كانت قد خرجت معه كما تقول الآن فلسوف يكون هذا شيئا جديدا علىّ مثيرا لى . آلا تدرى أين ذهبا ؟

— لا علم لى بذلك على الاطلاق . (ثم مضيت أقول) : لا يسؤ فهمك بى ، فما أبالى أكان هومر يلقى كيتى أو كاتى ما بقيت المسألة لا تجد سبيلها الى الصحافة ، ثم ان هذا أمر يفيد هومر .

وقال أوسكار يسألنى :

— ألم تر فى حياتك قط نجمة حديثة حاملا ؟

وقلت أطمئنه :

— لا تقلق فان هومر حيّى لا يقترف ما يشين ولن يقع منه شىء من هذا .

— ان رايدل ليست مبرأة من الخطايا وقد يوسوس اليها الشيطان ، فالنساء فى هذه الأيام يصدرن عن حماقة وطيش . ولقد كانت المترددات على شاطىء البحر لا يحرصن فى الماضى على الحمل مخافة أن يشوّه جمال مظهرهن ، لما كان فى وسعهن أن يحملن من أزواجهن بغير عناء أبدا . أما اليوم ، وقد استحال الحمل عليهن ، فانهن يردن انجاب أطفال .

— سوف أحمل وحدى عاقبة ما يقع لهومر ، بل انى لأرى من واجبى أن أهيىء نفسى لتحمل النتائج فى أمانة . لقد أتاح لى عملى الصحفى الفرصة فى أن أرى الكثير من الناس فى الحياة وهم يحملون الأعباء الجسام .

لم يكن من العسير الاهتداء الى مكان آدم ، فهو كما قلت لم يعد ذلك الانسان الذى يغيب فى غمرة الناس فى يسر . ولقد ذكر لى حارس الفندق أن السيد آدم استقل سيارة وأنه سمعه يطلب الى سائقها أن يحمله الى مؤسسة سميثسونيان . عندها سألت جين عن السبب الذى دعا آدم الى أن يقصد الى هذا المكان فذكرت لها حديث علم الآثار الذى ربط بين آدم والاطار . وما أن وصلنا الى مؤسسة سميثسونيان حتى قصدنا دون ابطاء الى مبنى أمريكا الجنوبية الملحق بها . ولقد صدق حدسى اذ وجدت هومر والفتاة جالسين هناك على مقعد حجرى يكاد شعرها الأصفر ينسدل على كتفه وهما يتطلعان الى معبد أثرى منحوت فى الصخر وعلى الجدار القائم خلفهما قناع من الخشب ذو أنياب تنخلع لها قلوب اليافعين من الشباب .

وكان لكاتى من الذوق فى اختيار ثيابها ما يبرز قوامها البديع فى كل ما ترتديه وها هى ذى تبدو فى عينى وكأنها أكثر طالبات كليتها أناقة . وما أذكر على التحقيق أى شىء كانت ترتدى غير هذا الحزام العريض والتنورة التى تبرز بريقه فرأيت فيها ما أرى فى طالبات الجامعة تجمع بين مظهرهن وبين عنايتها الخاصة بدراسة علم الاثار .

وقصدت اليهما وحييتهما قائلا :

مرحبا بكما ، ان كنتما تبغيان العزلة فانى لآسف حين أشير عليكما بمكان غير هذا أكثر أمنا (وأشرت برأسى الى القناع) .

وقد ضاقا بما كان منى وانبرى هومر يقول لى محتجا :

لا أخالك تبغى الامعان فى التضييق علىّ يا ستيف كما فعل فيلبس سمايث . أليس كذلك ، وما أظنك قد نسيت أنك أبحت لى أن أفعل ما أشاء .

وقلت أسكن من روعه :

— حقا يا هومر وكل ما أرجوه منك هو أن تكاشفنى بما يقع هنا مكاشفة حقيقية ، ثم انك رحلت ، وبدأت جولتك دون أن أعرف لك مقرا أو مكانا ، وقد يسىء الناس فهم ما تفعل ، وقد يقتفى رجال الشرطة الحربية والشرطة السرية والمخابرات أثرك ، كما لن يرضى عملك هـذا آبل وسوف يثيره تهورك ويزعجه .

وقالت « الاطار » :

— لقد كانوا يقتفون أثرنا ، أقول ذلك وكلى ثقة .

— أواثقة أنت حقا ؟

قال هومر :

— الثقة كلها .

— ومن كان يقتفى أثركما ؟

— لا أدرى . لقد رأت كاتى شخصا ما فى بادىء الامر لم أتبينه أنا ، وهو الآن فى مكان ما بهذا المبنى .

— لتطمئن يا هومر فسأتولى أنا هذا الأمر عنك وما دمت لا تورط نفسك فى مشكلة فلا تخش أحدا ولا توجس خيفة فالناس لا يدخلون بينك وبين انشغالك البرىء ببعض الأحجار القديمة وصناديق الجثث المحنطة .

وبدأ القلق يساور جين زيتر وقالت :

ان رأيك هذا لصحيح غير أنه على من وكلت اليه مهمة المخبر والدليل ستكون عاقبة ما يقع لنا .

ورأيت جين وكاتى تنظر احداهما فى وجه الاخرى وكأنهما زوج من

القطط البرية ، ولقد تذكرت أنى لم أقدم أحداهما الى الاخرى وسألت سؤالا عابرا :

— وما الجديد اليوم فى الآثار القديمة ؟

وأجابت « الاطار » فى فتور وهدوء :

— لقد كنا نناقش أسطورة « تزكاتلى بوكا » وأن لم يعد العصر الحاضر يجيز اطلاق اسم الاسطورة عليها بعد أن أيدت الادلة وبرهنت الحقائق على وقوعها فعلا .

قلت :

— ما من شك فى أنها أسطورة شائقة .

قالت الاطار :

— انها لكذلك حقا فى نظر هومر التعس الذى يرى أنه قد فرض عليه أن يعيد تمثيل دور تزكاتلى بوكا .

عندها انفجرت شفتا هومر عن ابتسامة كئيبة على حين ظلت عيناه تفيضان شجنا وقال : نعم ... نعم ان هذا صحيح .

ثم أطرق هنيهة وأخذ بعدها يقص علينا تلك الأسطورة :

— كان من بين الطقوس الدينية الغريبة لشعب الأزتيك فى تمجيد الرب تزكاتلى بوكا اله الاخصاب والايجاد أن يختار كل عام شابا يمثل هذا الرب ، وكانوا يخلون بين الشاب وبين الاستمتاع بالملاذ على اختلافها وبمظاهر الأبهة والجاه والرخاء عاما كاملا يلبسونه فيه أفخر الثياب ويقفون على خدمته خدم الملك المختصين به ويجعلون من حوله حاشيته ويركع الجمهور بين يديه اذا رآه ويتملك أربع عذارى فاتنات تتسمى كل منهن باسم آلهة ولو دعا اليه غيرهن لهرعن اليه زرافات ووحدانا . وعلى هذا النحو تمضى الحياة عاما غير منقوص ، وحين يبلغ العام نهايته يساق الفتى

الى قمه أعلى هرم عندهم ثم يلقى به عاريا فوق صخرة الأضحية الشبيهة بتلك الصخرة الماثلة أمامه . بعد هذا ينهض أحد الرهبان فى ثياب حمراء فيشق صدر هذا الفتى بسكين وينتزع قلبه ثم يرفع هذا القلب عاليا على رآس السكين صوب الشمس وبعدها تلقى الجثة الى سفح الهرم . أو أتدرى بعد هذا ما هم فاعلون به ؟ انهم يأكلونه .

قلت :

لا تقلق كثيرا يا هومر لهذا الشطر الأخير من الأسـطورة فهم اذا فعلوا بك مثل ما كان ذاك الشعب يفعل بأولئك الشبان فسوف لا يجدون غير بضعة عظام لا تكفى لغير حساء واحد ، ولكن صدقنى انهم لن ينالوا منك شريحة واحدة من اللحم .

وانثنت « الاطار » الى آدم تقول :

— ولكنى أومن أن هومر يحمل ما يغنى وانكم لجاهدون فى تسمينه كى تفيدوا منه ، انكم جميعا بلا استثناء تفعلون به ذلك ، انكم تريدونه لحاجة فى نفوسكم .

قلت : أتؤمنين بالتلقيح الصناعى يا آنسة رايدل ؟

قالت : أومن به نظـريا فحسب ، فعلى الجنس البشرى أن يبقى . (ثم نظرت « الاطار » الى جين زيتر ومضت تقول) : ما أرى القوم يرعون شعور آدم أدنى رعاية ، على أنى لا أجد أحيانا ما يدعو الى استمرار هذا الوضع ، كما لا أخال القوم ينظرون الى الأمر فى جملته النظرة الفاحصـة الواجبة .

وقلت لها قول المؤمن بما تقول :

— هذا صحيح وما أشك فى أن هومر يضيق كثـيرا ، وبوسعك أن

ترشدينى الى وسيلة أخرى غير التلقيح الصناعى نصل بها الى غرضنا ، اذا أردنا للجنس البشرى البقاء والاستمرار .

— أجل أجزم أن هذا فى وسعى .

عندئذ رجوتها فى أن ترجىء المناقشة الى وقت آخر ، وتواعدنا أنا وهى وهومر على أن نلتقى مع العشاء . وتركتهما تصحبنى جين زيتر لأهيىء لهما فرصة يغرقان فيها فى تأملاتهما وفيما رأياه فى أمريكا الجنوبية القريبة منا .

وفى عصر ذلك اليوم أفلحت جين زيتر فى اقناعى بأن أذهب الى مكتبى حيث وقعت على بعض المذكرات . وقد كان هذا المكتب حقا جديرا بى ، بوصفى مساعدا خاصا للمدير العام للمؤسسة القومية لاعادة الاخصاب ، والشيء الذى دهشت له كل الدهشة أنى وجدت الرسائل والبرقيات تنهال على مكتبى كالسيل خلال تلك الساعات القليلة التى قضيتها فى واشنطن، وبينما انهمكت جين فى أداء واجبها وتنسيق أوراق المكتب والسجلات ، أخذت أنا أقرأ شيئا مما جاءنا من هذه الرسائل .

وكانت بين الرسائل رسالة من السناتور فروجهام يهنئنى فيها بمنصبى ويفصح لى عن أمله فى أن يسدى الىّ بعض العون فيما لو عرض على المجلس مشروع قانون بمواصلة العمل فى الخطة التى وضعتها المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب ، ولقد أراد بهذا أن يشير الى أن مشروع اعادة الاخصاب لا يمكن أن يبقى متصلا الى الأبد باعتماد رئيس الجمهورية له وحده . (ومضى يقول) : « ان كثيرات من مرشحاته من النساء قد كتبن له عن أملهن فى أن يحملن بالوسائل الصناعية عن طريق السيد آدم » . ثم أفصح لى عن شعوره بضرورة النظر الى ما سوف تحتاج اليه دائرته من

لقاح ، وذلك عند البدء فى تنفيـذ المشروع وتعرف أى المنـاطق أولى بالسبق من الأخرى .

ولقد تلقيت بالبريد المسجل رسالة أخرى طويلة منمقة العبـارة بعث بها رئيس مجلس التأمين القومى » وبدأها بقوله : « ان البلاد على شفا الخراب فالناس منصرفون عن التأمين بعد أن فقدوا أملهم فى انجاب ذرية تخلفهم » . وأوجس خيفة من بقاء تلك الحال على ذلك المنوال وما سيتبع هذا الكساد من فصل آلاف من العمال والموظفين من شركات التأمين ، ثم من افلاس الشركات كلها ، وما سنجده من تضخم مالى وكساد عام »

وستكون الطامة الكبرى عندما تنشأ أزمة مالية تهدد اقتصاد البـلاد ، عندها ستكون اللعنة قد حقت علينا . وفى رأيه أن الحل البين لهذه المشكلة أن يكون لنا رأى سديد نعمل على تحقيقـه فلا يسمح للناس كافة بأن يكون لهم أطفال من آدم على السـواء » وانما يقتصر فى ذلك على الذين يشاركون فى التأمين على مسـتقبل أولادهم من صلب آدم ومن يحملون عقود تأمين ، وعلى كل أسرة سبق لها أن طلبت الحصـول على نطفة من نطف آدم أن تحصل على عقد من شركات التأمين على أية صـورة كانت نتيجة هذا اللقاح . وبهذا وحده نملك القـدرة على تجنب تلك الأزمـة المحققة .

وأرسلت الغرفة التجـارية الأمريكية برقيـة تستحث مؤسسة اعادة الاخصاب لتصدر نشرة رسمية فيها الضمانات المقررة التى تبعث فى نفوس الناس روح التفاؤل والاطمئنان على صحة آدم وعلى سلامته ورغده » فحين تشيع الشائعات عن مرض آدم أو عن حـدوث الخلافات فى المؤسسـة القومية لاعادة الاخصاب أو أنه ليست لآدم الكفاية فى الاخصاب الصناعى »

حين يشيع هذا كله تتضاءل الضمانات المالية وتهبط وتنهار ، ومن رأى الغرفة التجارية أن على كل انسان أن يعيش متفائلا .

ولقد أرسلت اللجنة التأسيسية للصناعة كما أرسل اتحاد العمال الأمريكي مذكرات تكشف عن ثقتهما فى أن الاتحاد النسائى سوف يحتفظ لأعضائه بحقهن حين يحين الوقت الملائم لتنفيذ مشروع التلقيح الصناعى . وهو ان لم يفعل هيأ السبيل لخطر مؤكد ملموس فى أن يغدو أفراد العالم من الرأسماليين وحدهم .

كما جاءت رسالة من الجمعية اليونانية تؤكد ان السكان قد هبط عددهم هبوطا شديدا وذلك لكثرة ضحايا الحرب وذكرت الرسالة فى ايجاز تلك الخدمات الجليلة التى أسهم بها اليونان من أجل الانسانية ، والتمست أن يكون لها السبق عند النظر فى حقوق الأمم الصغيرة .

ولقد طلب هذا الطلب ذاته البولنديون والجامعة الاسلامية والأرمن وجمعية بنات الثورة الامريكية .

يندر — على وجه الاجمال — أن تكون هناك جماعة ، فى ركن من أركان العالم مهما كانت صفتها أو هيئة من الهيئات التى كان لها ممثلون فى واشنطن خاصة ، لم تدل بالحجة بعد الحجة لتستأثر لنفسها وقبل غيرها برعاية المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب .

ووسط هذه الدوامة وجدت أننى قد أصبحت هدفا لهؤلاء المتسكعين فى الردهات وقاعات الانتظار الذين يتسقطون الأخبار . أجل ، لقد أصبحت هدفا متنقلا بين هؤلاء وهؤلاء من جماعات وجماهير لا حصر لها — أقول لقد خلتنى بعد اعلانى بوظيفتى الجديدة هدفا مسلوب الوعى والارادة من تلكم الأهداف التى يتدرب عليها المبتدئون فى فن الرماية . على أنى مع ادراكى حقيقة أمرى آثرت الرضوخ والاستسلام ، الى أن تنتهى هذه

المهمة التي هي غرس نبت آدم في كل مكان مهما حملت في سبيل ذلك من همّ أو نصب .

وفي عصر ذلك اليوم أفلحت جين زيتر في اقناعي بأن نذهب الى مكتبي، واندفعت أمامي تشق الطريق وسط أكوام من الأوراق الحمراء والخضراء والزرقاء ، وحين جلسنا الى المكتب أخذنا نعد التقارير وعلى حين فجأة التفتت جين الى وصاحت بي :

— انها ترمي الى شيء ليس في مقدوري أن أبلغ كنهه ولا أن أتبينه .

— من هي ؟

— تلك الفتاة « الاطار » ، يا لها من ماهرة ماكرة !

فقلت قول المؤمن بما تقول :

في الحق انها لبارعة ، غير أن أغراضها كلها واضحة وضوح الشمس في رائعة النهار : انها تنشد هومر آدم . ومَنْ من النساء لا تنشده ولا تهواه ؟ انه حلم كل أنثى ، وان النساء جميعا لأنانيات . وهل أدل على ذلك من تلك المجموعة الكبيرة من الرسائل التي جاءتني منهن ، وما عليك من ضير في أن تتركيه « للاطار » ، انها تخرج للقائه منفردة دون أن تكتب لنا شيئا يكشف عن غرضها من ذلك ، هي وحدها دون غيرها من نساء العالم تعد نفسها صاحبة الحق في الاستئثار به ، وأن لها الحظوة الأولى في قلبه وهذا ما يحفزها الى انتزاعه معتمدة على ما للمبادأة والمبادرة والصحبة والملازمة من قوة .

وهزت جين رأسها منكرة وقالت :

— كلا ! لست معك على رأيك ، قد تكون مخطئا ، وفوق ذلك فانني أشك في كل ما تفعله ، واني لأومن بأنها صنيعة للشيوعية ولا عجب فهوليوود تكتظ بالشيوعيين والشيوعيات ، أليس كذلك ؟ ماذا ترى ؟

— لست أدرى على التحقيق ، على أنى أومن كما تؤمنين أن واشنطن تعج بالشيوعيين ، وقد تكونين أنت شيوعية على الرغم من أنى أعرفك حق المعرفة .

— ولكن « الاطار » هذه ممثلة ، وما من شك فى أنها تجيد تمثيل دورها المسند اليها فى مؤامرة محبوكة الأطراف ، فلقد دأبت على أن تستدرج آدم الى الردهة الزرقاء ثم تبدأ هجومها ، انها تعرف ناحية الضعف فيه ، ألا وهى علم الآثار ، انها خطة كاملة .

— لا تدعى هذا يقلق بالك . فان لهومر زوجة جميلة فى تارى تاون . ليتك سمعته بالأمس حين كان يتوسل الى أن أمكنه من رؤيتها !

وقالت وكأنها تتنبأ بما سيحدث :

— لن تراه بعد يتوسل اليك .

ومضت أيام وتحققت فراسة جين فلم يعد هومر يذكر مارى الين وأخذ يوما بعد يوم يصطحب « الاطار » الى حدائق الازتيك فى الجناح الخاص بأمريكا الجنوبية ، ويقضيان ساعات طويلة بين أكداس الكتب فى مكتبة الكونجرس وفى الطابق الارضى الذى يحوى السجلات والمحفوظات وفى قاعات المطالعة المعتمة بمكتبة المجموعة الأسبانية . وفى الحق لقد كانت تلك الصحبة تبدو شيئا مألوفا لا يعدو أن يكون زمالة ثقافية ، وكنت أراها أنا شيئا غير ذلك . وعلى أية حال فقد لذت بالصمت ولم أشأ أن أعوق هذه الصحبة فلقد رأيت هومر يخطو الى ما فية الخير له نفسا وروحا ، ولم يعد يغشى وجهه هذا الاصفرار الذى يغشى وجوه الموتى ، وزاد وزنه أرطالا ثمانية خلال أسبوع واحد وما كان لك أن تتبين هذه الزيادة فى شكل آدم العام وهى موزعة بين طوله وعرضه .

وعلى حين كانت صحبتهما خلال النهار تدور حول البحث عن مناهل

الثقافة الأزتيكية ، فلقد كانت هناك أمور أخرى يشغلان بها صحبتهما فى المساء ؛ فلقد كانا يخرجان معا كل ليلة وكان هومر يفضى الىّ بصراحة أين يقضيان سهرتهما التى لم تكن تخرج عن نطاق ملهى « فوت لايت » وهو ملهى صغير فى شارع « كونتكت » طلباته طيبة وزهيدة الثمن ، قد هيأ لزواره الفرصة للرقص والاستمتاع بالأوركسترا . ولقد رضيت هذا مخافة أن تجره « الاطار » الى دور اللهو الكبيرة المعروفة فيلتفت الناس اليهما وتخوض الصحافة فى حديثهما .

عاد هومر ليلة بادى الهم والقلق ، فلم أحاول أن أستدرجه ليذكر لى شيئا بل تركته لنفسه يخبرنى اذا ما عنّ له ذلك وأخذنا تلعب الورق . ولعب هومر دورين وبقيت حاله كما هى مروعة مفزعة ثم جلس جلوس من نالته ضربة على رأسه أفقدته وعيه ثم نهض يصب لنفسه كأسا من الشراب والتفت الىّ يقول :

— ستعود كاتى غدا الى هوليوود .

فقلت وأنا أسرى عنه :

— هذا شىء يثير الأسى ولقد كانت تملؤك عزاء وسلوى .

وأخذ هومر يداعب شعره بأصابعه وكانت يده وهى تختلج تنبىء بالحيرة والفزع .

ثم قال بعد أن ازدرد شريحتين من اللحم :

— أفى مقدور الرجل أن يجمع بين حب امرأتين معا فى وقت واحد يا عزيزى ستيف ؟

— كثيرا ما وقع ذلك .

— أعتقد أننى أحب كاتى .

وكان العرف يقتضينى أن أهنئه اذ كان ذلك هو الرد على كل من

يصرح بحبه لامرأة ، غير أنى لم أملك أن أفعل هذا مع هومر وحده ، لم أملك أبدا أن أهنئه فالأوضاع المحيطة به عجيبة ، وانى لعلى علم تام بها ، فلم أجد غير الصمت المطلق ألوذ به ومضى هومر يتحدث :

— أجل انى أحب كاتى كما أنى أحب مارى ايلين أو لعل هذا هو الواجب علىّ نحوها فهى لم تزل زوجتى . ولقد كنت أخالنى الى اليوم أحبها وحدها ، ولكنى أجد حبى لمارى ايلين يخالف حبى لكاتى .

قلت له : حقا ؟

— أجل ! ما أظننى تزوجت مارى الين الا لأن كلينا كان يحس الوحدة والوحشة . كنا وحيدين نهيم فى عالم ينعم فيه كل انسان بأليفه ولكنى لا أحس هذا مع كاتى ، لقد خلق كل منا للآخر وليس هو علم الآثار وحده الذى يربط بيننا .

— ما أندر أن يكون علم الآثار طريقا للحب !

وأخذ هومر يذرع الغرفة جيئة وذهابا ثم قال :

— ليس علم الآثار وحده (وأضاف) بل كل شىء فى الوجود : لقد خلق كل منا للآخر .

— ولكن حدثنى كيف طالعتك هذه الفكرة ؟

— صرحت لى كاتى بذلك فاننا لم نذهب الليلة الى ملهى «فوت لايت» بل ذهبنا الى غرفة كاتى بفندقها .

فقلت له :

— استأذنك لحظة .

ودخلت الى الحمام وخبطت رأسى فى الجدار ، وبعدها عدت ورجوت هومر أن يحكى لى القصة فى تفصيل وصدق ، فتلعثم قليلا وارتج عليه

بعض الشيء وجعل يطقطق أصابعه وعلت وجهه حمرة الخجل واذا هو يقول أخيرا ان ما بينهما قد جاوز المعقول وان له العذر فى ذلك .

— حدثنى يا هومر . هل نالتك قسرا عنك ؟ أتراها فعلت ذلك بك ؟

— حسنا ، ليس هذا بالضبط . انى فى شك من أمرى فما وقع لى شيء مثل هذا من قبل ، لقد مضت لحظة كنا نتحدث فيها عن أسطورة التلتك [1] ثم اذا بنا فى اللحظة التى أعقبتها عريانين .

فثرت وعنفته بكلمات قاسية كتلك الكلمات التى تجرى على لسان الأمهات لبناتهن وعلى لسان الآباء لأبنائهم وعلى لسان الأزواج لزوجاتهم وقلت له :

— ان هذا لهو الخبل بعينه فيما يبدو لى يا هومر .

وأجاب هومر مهموما :

—قد يكون ذلك لست أدرى ، فانى مبلبل الفكر .

وأخذت بذراع هومر أقوده الى مقعد مريح ، وجلست أمامه واضعا يدى على كتفيه ، وأخذت أحملق فى عينيه وكأنى اخصائى يقيس البصر وقلت له :

— ما اخالك سترتاح الى ما سأقوله لك يا هومر ، غير أنى أرى لزاما علىّ أن أكشف لك عن كل شيء ، وأن أصارحك بتفصيل الأمر كله .

— فلتعجل اذن .

---

(١) Toltec شعب يرد ذكره مرارا فى أسطورة الأزتيك على أنه كان يسود منطقة وادى المكسيك ، واليه ترجع الآثار الباقية فى تولا ، على أن أهم آثارهم توجد فى سان خوان ديتوتيهواكان ، على ثلاثين ميلا شمال شرقى مدينة مكسيكو . وقد بلغوا أوج ازدهارهم حوالى سنة ٩٠٠ بعد الميلاد وبدأ اضمحلالهم حوالى سنة ١١٠٠ بعد الميلاد .

— آن لك يا هومر أن تعرف أنك من الرجال القلائل الذين آثرتهم العناية الالهية ليحملوا أعظم تضحية عرفها الجنس البشرى ، انك لرجل عظيم حقا ، وليس ثمة انسان يقوى على أن يلوم فيك مشاعرك المضطرمة بين جوانحك ، وانه القدر الذى شاء أن يجعل منك ضحية عظمى ، مثلك فى ذلك مثل الاله الأزتيكى ما أسمه ؟

— تزكاتلى بوكا

— استمع الى يا هومر ! فما عرف تاريخ البشرية منذ بدء الخليقة رجلا ضحى هذه التضحية التى خلقت أنت لها ، ان عليك الآن أن تعرف واجبك الأول ، وأن تؤدى رسالتك كاملة من أجل البشرية ولك بعد هذا أن تفكر فى زوجتك وفى ابنتك ثم لك بعد هذا كله أن تفكر فى كاتى . وفى يقينى أنك فى غير حاجة الى أن تدرك العواقب الوخيمة التى تعرض لنا فيما اذا عرف الجمهور صلتك بكاتى .

— أعلم هذا ، أعلمه حق العلم وأقدره التقدير كله ، غير أن كاتى لا تقوى على أن تقدر موقفى حق قدره فهى تدعونى الى الفرار معها .

— الفرار ! الى أين ؟

— انها لم تخبرنى بذلك . ولقد قلت لها اننى لا أملك أن أفر وليس فى وسعى أن أقدم على هذه الخطوة ، فعلىّ واجبات عدة ، ولكنها طلبت الىّ أن أعاود التفكير فى الأمر وهى تقول انها مؤمنة بأن كلا منا قد خلق ليعيش الى جانب الآخر . ليعيش معه الى آخر العمر . وقالت انها ستدعنى أفكر وأنها سوف تنتظر منى الجواب .

— وماذا قلت لها ؟

— أى شىء عندى أقوله ؟ لقد قلت اننى سوف أفكر .

وملكت أنفاسى من جديد أو اقول تمالكتها ، والتفت الى هومر أقول له فى رفق :

— فى الحق أنك سديد الفكرة . انك كنت نبيلا فيما فعلت ، ولقد محوت صفحة عار كنت ستكون كاتبها فى صفحات التاريخ أو من بين من يكتبونها .

وفى تلك الليلة جلست ساهرا وحيدا أفكر فى تلك المشكلة تفكيرا هادئا رزينا جادا ، ومر ببالى أن ثمة رجالا آخرين غير هومر لو كانوا فى مكانه لضربوا للعالم المثل السىء فى الحمق والطيش ، ولانحرفوا عن جادة الصواب والعقل وشرعوا يجددون خصوبتهم على هواهم كما يحلو لهم . غير أن هومر كان مهذبا ، وكان يحمل روحا اجتماعية شعبية تنطوى على محبة الناس جميعا ، ثم انى لم أفهم حق الفهم مسلك « الاطار » ، وهى التى عرفت بذكائها الخارق ، كيف انها عاجزة عن التخلى عن التفكير فى الحياة مع هومر . ثم أتراها قادرة على أن تحقق ذلك ويفران معا خارج البلاد ؟ ان التفكير فى ذلك يقلقنى .

ولقد تبينت أن خير شىء أفعله للمحافظة على هومر ولكى يحتفظ هومر بهدوئه واتزانه ولكى ينسى كاتى — هو أن أطلب الى مارى الين أن تحضر الى واشنطن غير أنى خشيت أن يودى الألم بحياة هومر فيذوب كما تذوب الشمعة ويسلمه صمته وكبت مشاعره الى هوس عقلى .

وكان أول شىء فعلته حين أصبح الصباح أن دخلت الى مخدع هومر وفوجئت بأن أراه مرتديا ملابسه كلها الشىء الذى حدا بى الى أن أسأله :

— الى أين ؟

— سأودع كاتى ، سأودعها قبل رحيلها فهى ستطير ظهرا الى لوس أنجلوس .

— أتراك قد أخذت بجانب من جوانب الحكمة فى عملك هذا ؟ ما أظن ذلك ولأى شىء تسرف على نفسك فى العذاب ؟ ثق أن ذهابك سيكلفك الكثير وسيحملك ألما شديدا ما أغناك عنه ، لقد انتهيت الى قرار أيها الرجل فلا تعذب نفسك .

وجلس هومر على حافة الفراش تقترب ساقاه العاريتان الطويلتان الشبيهتان بقضيبين رفيعين من الخشب — من ذقنه وقد ألقى رأسه بين يديه وأخذ يقول :

— أريد أن أراها هذه المرة ولن أسعى لرؤيتها مرة أخرى .

وأحسست بى ميلا للاستجابة لرغبة هومر وان انتهى بنا الأمر الى أوخم العواقب ، وفكرت فى أن أذهب معه الى المطار لوداع كاتى ، غير أنى عدت الى نفسى ، وأخذت أتخيل صورا مختلفة فتخيلت مارج فى قلقها واضطرابها وشغفها بأن تعرف النتائج السريعة والمرضية لهذه المهمة ، كما تخيلت سائر النساء فى العالم فى قلقهن وشغفهن ثم العواقب الوخيمة التى ستحل بالعلم وتهدد مصيره فيما لو هرب هومر مع كاتى ... فقلت له :

— أعندما يحين مقدم مارى الين الى واشنطن لتقيم معك حتى يأتى موعد تنفيذ مشروع الاخصاب الصناعى تأتى أنت هذا العمل الذى ينطوى على طيش وحماقة ؟ أتفهم ما أعنى ؟

— أجل أفهم .

— ألا ترغب فى أن ترى مارى الين ؟

— بلى . غير أنى حائر أشد الحيرة لا أدرى من أمرى شيئا .

— ليس غريبا أن تقع فى مثل هذه الحيرة وبلبلة الفكر ، فما أكثر

ما نتعرض جميعا لمثل هذه المحن بين الحين والحين ، ولقد تحملت الكثير في أمد قصير .

فتأوه هومر وقلت له أطمئنه :

— لعله مما يؤلم نفسك أن تودع كاتى ظهرا وتستقبل مارى الين ليلا، أليس ذلك كذلك ؟

— حقّ ما تقول غير أنى وعدت كاتى .

— لا تدع هذا يقلق بالك ، سأقوم أنا عنك بهذا وسأودع كاتى وسوف أشرح لها الأمر كله . ثق بى ياهومر وانى لواثق من تسوية المشكلة وسأحمل عنك هذا العبء .

قلت له وأنا أربت على كتفه وكأنى أستحثه على أن يفكر وأستحثه على أن يهدأ :

— لا تقلق ولسوف أمضى الآن الى المطار لأودعها وأكشف لها عن كل شىء .

فقال هومر :

— ليكن ذلك ولتتقبل شكرى يا ستيف . (وانتظر قليلا ثم أضاف) : أى شىء سأقوله لمارى الين ، يا ستيف ؟

— تقوله ؟ لا تقل لها شيئا ولا تنبس ببنت شفه ولا تبدر منك همسة أو اشارة أو حركة .

— أليس هذا من الظلم ؟ انه تصرف لا يتصف بالعدل .

— صدقنى يا هومر ان أنكر ما تنكر المرأة على نفسها سماعه عن شىء كهذا لهو الصدق . وحين تجىء تلك اللحظة التى تلزمك فيها بقول الحق فلتنكر كل شىء . هذا أمر وليس نصيحة . انه أمر .

— ولكن ؟

— اننى لا أبيح لك التردد فى هذا الموضوع ، ولا تقل « ولكن » فان شئت أن تعيش حياة هى التعاسة بعينهــا فاعترف لها بما كان ، وان عليك ما دمت مرتبطا بزوجتك مارى الين بهذا الرباط الشرعى أن تحرص على ألا ينقطع ، وأن يبقى حيا ما حييت ، ولا ملاذ لك غير أن تستمســك بالكذب . فلتكذب ولتكذب . اكذب الى أن تسقط أسنانك من الكذب .

وتطلع هومر الى وجهى مشدوها ، وأومأ برأسه ايماء الموافق ، وبدا وكأنه شبل من أشبال الكشافة يعانى صدمة شديدة بعد أن عنّفه قائده بكلمة نابية لاذعة .

وعلى أية حال فلقد أخذت الشكوك تراودنى والظنون تساورنى وأنا فى طريقى الى المطار القومى .

كان اليوم دافئا بديعا غير مألوف فى هذا الفصل ، يداعب الهــواء مدرج المطار ، ووقع بصرى على كاتى فى المطار تحمل معطفا من الفــراء على ذراعها . وثار الهواء فاذا بردائها يلتصق بجسدها ويشف عن مفاتنها ويبرز جمالها ، ويرسم خطوطا معبرة عن قوامها الممشوق الذى ما تكاد تقع عليه عيون الشباب والرجال حتى يخلب عقولهم ويسبى نفوسهم .

وحين رأتنى كاتى تطلعت الىّ وقابلت نظراتى بابتسامة :

— مرحبا يا ستيف ، أين هومر ؟

— لم يأت ولقد اتفقنا على ألا يلقاك الآن فلسوف تحضر زوجته

— هل أفضى اليك بما حدث بيننا ؟

— نعم

— بكل ما حدث ؟

— نعم

وغابت ابتسامتها وانطبقت شفتاها وفكاها وصوبت الى وجهى عينين

فى لون النحاس أو الذهب الداكن ، عينين قل من الرجال من كان يدرك جمالها ، ولقد ظلت تحدجنى بهما لا تحولهما عنى ثم قالت :

— أتذكر صورتى أيام شبابى حين كنت أرقص فى ملاهى نيويورك ؟

أذكر ذلك .

— لعلك خلتنى يومها فتاة حمقاء أفاقة ؟ لا ضـــير عليك يا ستيف ، فما من فتى أو فتاة الآن ويغلبهما الاندفاع والعنف والطيش حين يجيئان الى نيويورك للمرة الأولى فى حياتهما . غير أنى لم أقع فى ذلك ، ان ما أحسه فى صدرى ليس ولعا بهومر أو وجدا به فحسب بل حرى بك أن تعرف انه شىء فوق الشغف .

— من الواجب الا تجاوز هذه الصلة هذا الوجـــد وذلك الوله والشغف ، فثمة أمور يجب أن تذكريها وألا تغيب عنك : فهناك زوجتــه وابنته ثم الاخصاب الصناعى .

— أتذكرنى بهذا المشروع ثانية ؟ يا له من مشروع فاشل !

ورأيت فى عينيها نظرة غريبة ، واكتسى وجهها بتعبير لم أر له مثيــلا الآن فى وجوه المبشرين المتمسكين بأهداب الدين والانجيل وفى وجوه اتباع النازى وهم يصيحون فى لهفة الى زعيمهم هتلر وكذلك فى وجوه المجانين، لقد كان تعبيرا لا يدل الا على التعصب ولا يثير الا الرعب فى النفس .

وهنا أخذت مكبرات الصوت تعلن عن قرب قيام الطـــائرة وتدعو الركاب اليها ، فقلت لكاتى وأنا أودعها .

— رحلة سعيدة يا كاتى ، وانى لأصارحك بأن تكفى عن الاسترسال فى التفاؤل والاسراف فى الآمال .

— أهذا كل ما تظنه بى ؟ سوف يحكم الزمن بيننا صدقنى . ودعك

من كل هذا . فليس فى استطاعتك أن تتحدى القـــدر ، ومن تكون أنت أمام ارادة الله .

وتطلع الجميع الى الطائرة حين كانت كاتى تصعد اليها ولقــد عرفت ما كان يشغل فكرهم وهم ينظرون اليها ، اما عنى فقد أحسست قشعريرة تسرى فى جلدى ، قشعريرة من الروع والفزع .

قد يخطر لك انك تلم بالكثير من أسرار انسان ما ، ثم اذا بك تستشعر الخطأ ، واذ ذاك تؤمن بأنك لا تعلم شيئا مما يخبىء ومما يضمر . وهكذا آمنت حقا أن لكاتى روب نفسية معقدة وأنه من العسير علىّ وحدى أن أتبين حقيقة هذه الأنثى أو أن أستجلى خفاياها لأبلغ مكنون نفسها . وفى طريق عودتى الى فندق شورهام ، عرجت على مكتب المباحث العامة .

الفصل السابع



وفى اليوم التالى وصلت مارى الين جميلة كعهدنا بها ، ولقد كنت آنسيت جمالها الفتان وجسدها البض الذى يفيض صحة وحياة ، ولعل هومر كان هو الآخر قد أنسى ذلك الجمال ، فما كاد يراها حتى فاض وجهه بسرور خالص غير متكلف للقائها فى واشنطن .

ورحت أرقب الأمر عن كثب وكأنى احدى الوصيفات اللاتى يلازمن سيدة من سيدات المجتمع الراقى فى غـدوها ورواحها ، وكان أخشى ما أخشاه أن يكون آدم لا يزال على حنينه الى « الاطار » ولكن الأمور مضت قدما عـلى حال لم تخطر لى ببال ، فما زل لسـانه بكلمة نابية ولا صدرت عنه حركة فيها طيش أو نزق ، وكنت سعيدا حين رأيته مالكا زمام نفسه أكثر منه فى أى وقت مضى منذ أن جاء الى واشنطن .

وكانت مارى الين من الغـادات الفريدات اللاتى يتميزن بجمـال وبجاذبية ونضارة وحيوية . وكانت بادية البشر تكاد ترقص طربا لرؤية زوجها . وهكذا مضت الأمور أمامى وفق ما كنت أشتهى وأهوى ، وكدت أخال هومر آدم ومارى الين وقد اشتبكت يداهما عروسين فى شهر العسل . ولقد أحسست عندما رأيت هذا بالدهشة وبالحنين الى زوجى وبيتى . ومن أجل ذلك تركت الأمور فى بيت هومر الى جين زيتر لتتولى تدبيرها ، وأخذت الطائرة فى يوم أحـد قاصـدا نيويورك متعللا بأنى أريد لقاء طومسون وأوستنهايمر لأعرض عليهما تقريرا عن آدم ومدى ماحققه من تقدم .

كم جعلنى حنينى الى زوجى ومنزلى أحس واشنطن بعيدة عنى بعدا شاسعا . فما أن بلغت منزلى ورأيت مارج فى زينتها وشـعرها المصفف الرائع ورائحة العطر المحبب الى تفـوح من أعطافها حتى قلت مداعبا :

— أى شىء تؤثرين يا مارج ؟ انقضى الليلة هنا فى المنزل أم نخرج ؟ أراك تؤثرين الخروج .

— لا . بل سنبقى هنا فى البيت .

وخطت الى وقبلتنى قبلة اختبار وهى تقول :

— ما فكرت فى الخروج ، وما رغبت فى ذلك ، ولقد عقدت العزم على أن أبقى معك هنا . ثم أن مارية وطومسون سيحضران الينا ولسوف نستمتع وقتا بلعب البريدج والمناقشة والحديث .

وانثنت مارج تقبلنى ثانية ، لقد كانت قبلة غريبة خلتها معها ترتشف أنفاسى ارتشافا وتنشد شيئا اجهله فنظرت اليها مذهولا وأنا أسألها

— ما خطبك يا مارج ؟

— ليس ثمة شىء .

— أتدهش حين أقبلك ، حين أقبل زوجى ؟

— لا ، فما جئت الى هنا الا لأظفر بقبلة منك .

عندئذ تطلعت الى مارج وهى تهز رأسها هزة ذات مغزى ثم قالت :

— ولكن خبرنى أما لهوت فى واشنطن قليلا ؟

— لهوت ؟ يالها من مهزلة .

قالت وهى تزيل الأثر الذى تركته شفتاها على وجهى :

— أخالك أمضيت وقتا طيبا مع .... « الاطار » ؟

فقلت لها :

— « الاطار » ؟ .. ما حملك على أن تظنى بى الظنون ؟

— ليس ثمة شىء ولكنى رأيت لك صورة فى احدى الصحف والى جانبك « الاطار » واشار العنوان القصير فى الصحيفة الى حديث عن آدم بين المساعد الخاص لمدير المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب — استيفن ديكاتور الصحفى السابق — وبين « الاطار » فى ناد ليلى للطبقة الراقية . ولما كنت تبدو فى الصورة وذراعك حول « الاطار » فقد ظننتك تستمتع بأوقات مرحة .

هكذا كان جزائى على ما بذلت فى سبيل خدمة عامة لا يجدى فى مثلها أن تتصف بالجد والرزانة ، وأنت حين تحاول أن تلقى بالمعاذير وأن تظهر براءتك تتراءى فى أعين الناس مذنبا . وقلت :

— هذه عاقبة قراءتك لصحيفة مثل « جورنال أمريكان » لا تتحرى الصدق .

فقالت مارج :

— ما من شك فى أنها فاتنة ، وما من شك فى أن وظيفتك الرسمية قد راقتها ، وما أدرى لأى شىء حملت نفسك العناء وجئت تزورنى فى

نيويورك ، اللهم الا اذا كانت هناك أمور هامة سوف تتبادل فيها الرأى مع مارية وطومسون .

— حقا فلدى مسائل هامة سأبادلهما الرأى فيها وهذا وحده هو ما حفزنى الى المجىء الى نيويورك ، وما أدرى حقا كيف أستطيع أن أقضى الليلة .

ولم أجد مناصا من أن أقص عليها ما كان بين آدم وبين « الاطار » فانثنت تقبلنى ثالثة غير أنها فى هذه المرة لم تكن تنشد شيئا وقالت :

— ما من شك فى أنك تلقى عناء فى اقصاء النساء عنه ، ترى لو أن هذه الفتاة استحوذت على آدم واستأثرت به فأى مصير ينتظرنا جميعا ؟

— لكنها لم تهيمن على آدم أو تستأثر به فزوجته تعيش واياه تحت سقف واحد تظلهما السعادة والرضى .

— ليس يجدى هذا شيئا .

وعن لى أن أعرف رأى مارج فى التلقيح الصناعى ، فسألتها عما اذا كانت راغبة فى أن يكون لها طفل عن طريق التلقيح الصناعى . وحين لمحت رضاها أحسست غصة لا أشك فى أن كل زوج واجدها حين يستشعر ميل زوجته على التلقيح الصناعى ، وبينما كنت أرانى أنفر من هذا بعقلى ويمجه ذوقى فلقد كنت أراه فى نفس الوقت شيئا محتوما لا مفر منه وما هو بأقل شأنا أو حيوية من رغبة هومر الملحة فى الفرار مع « الاطار » او من اثارة مارج لعزمى فى ان تنجب أطفالا ، فان كل هذه أشياء ضرورية وطبيعية ، .

ولقد رأيت مارية وطومسون يجلسان متلاصقين يحلقان فى سماء أخيلة جميلة ، وأحلام ذات ألوان وظلال ، عيناه لا تتحولان عنها ، وقد انبعث منهما وميض زهو وخيلاء وحب ووفاء . من أجل ذلك تلاصقا ،

وأسندت مارية رأسها الى كتفه ، وقد تجد شيئا من العسر حين نحاول أن نكشف عن معنى الحب ومغزاه عندما يربط بين قلبى طبيب وطبيبة أو بين قلبى طبيب وممرضة كما قد يكون عسيرا أن تدرك كيف يجمع هذا الحب بين فؤادين وبين علم التشريح الذى يعملان فيه معا ، ولعل هـذا اللون من الحب النادر لا يدع لنا مجالا غير أن نؤمن به ونقبله دون أن نمعن فى تعرف أسبابه . وعلى أية حال فهما هانئان بالحب والعمل معـا لا يفترقان .

وقد تحدثنا كما تقتضى الحال فى التلقيح الصناعى وفى لاعبى البريدج وقلبنا الحديث على وجوهه ، والحديث ذو شجون ، وبقى تومى أكثر الوقت لا يشاركنا فى هذا الحديث ولا يتكلم الا لماما فلقد كان يفكّر فى هدوء ولو أنك راقبته وأصخت اليه السمع مرهفا أذنيك لاستمعت الى خلجات عقله وومضات فكرة وكأنه ساعة قديمة آل الينا ارثها من أحـد أجدادنا وهى على قدمها وأناتها وتمهلها دقيقة كل الدقة .

وفجأة قال : ما أظن العـالم سيمضى هكذا عقيما الى ما لا نهاية ، بل سوف تتاح له الفرصة فى أن يتغير ويخصب وينتج .

فقالت مارج : أتعنى أن آدم سيكون وسيلة الى ذلك

— ربما ، اذ أنه الأول الذى سيشعل هذا المشعل وبعد ذلك ......

— وبعد ذلك ؟ أثمة شيء بعد ذلك ؟

تمهل تومى قليلا ثم قال : حسنا سأقص عليكم الخبر . لا أظنكم تجهلون أنى أقضى الوقت كله فى اجراء تجارب على البويضات المنوية فلست أومن أنها ماتت حقا ، وانى لأكاد أقطع بأنها شلّت فحسب أو خدرت لحين ما ، ولست أسيغ أبدا قول من قال انها ماتت فلقد أبصرت أنا نفسى احداها وهى تتلوى .

قالت مارية : ان الأنسان اذا ما أطال النظر بالمجهر خيل اليه أن كل ما يقع عليه بصره يتلوى .

— لا يا مارية فانى مؤمن بما أقول ولقد رأيت احداها تتلوى حقا .

وأخذ تومى يتطلع الى قدحه وكانت به بويضه تتلوى ثم مضى يقول : استمعوا الىّ فسأقص عليكم نبأ ذلك كله . لقد كنت أعمل كل يوم ثمانى عشرة ساعة من أجل تلك الفكرة التى ساورتنى ، وكم تطلب منى ذلك جهدا كبيرا ! واذا صح أن البويضة المنوية للرجل لم تمت كان واجبنا العناية بها الى أن يعود اليها نشاطها وتعود الى ما كانت عليه ثانية . ولقد وفقت الى تركيب مزيج ....

عندها قطعت مارية عليه الحديث : كفاك وهما أيها الرجل أتحاول أن تنتحل حرفة جديدة أو تلزم نفسك بتوليد أجنة ؟ يالها من حرفة ممتعة .

ولم يأبه تومى لمقاطعتها ومضى فى حديثه يقول : لقد وفقت حقا الى مزيج أكثره من الأعشاب البحرية الغنية باليود .

فقالت مارية : يا له من بحث ممتع ! وما أقعدك عن أن تجرب المزيد ؟

— لقد جربته ، الا أنى لا زلت فى حاجة الى مزيد من تجارب أجريها على الرجال المتزوجين .

— ما قولك يا ستيف ؟ ولتعلم أن كثرة من زملائى الأطباء بالمستشفى يجربون هذا المزيج كما أجربه .

فقلت : لا لست أنا . ابحث عن غيرى اذ لست من خنازير غينيا التى تجرون عليها تجاربكم .

وما من شك فى أن الفكرة كانت قد أستهوت مارج فلقد تطلعت الى تقول وهى تحتنى :

— ولم لا يا ستيف ؟ لا ضير من التجربة فلقد آن لك أن تسدى الى البشرية شيئا يفيدها ، وما أشد رغبتى فى أن تكون أبا لأطفالى !

— استمعى الى . ان علماء طبقات الأرض وعلماء الأحياء والغدد الصماء فى العالم لجادون جد تومى ليصلوا الى مثل هـذا المزيج الذى وصل اليه . وقد يدرك تومى كما قد يدرك بعضهم الهدف واذا وقع ذلك وغدا هذا العلاج حقيقة فلك وعدى بأن أتجرعه ولكنى الأن غير متهىء لأن أزحم معدتى بأعشاب البحر . ان فرصتك الوحيدة فى أن تكونى أمًّا ، هى أن يكون آدم أبا لأطفالك .

فقالت مارج : يالك من معوق ، انك تخون الجنس البشرى .

وخاطبها تومى قائلا : ان هو لم يستجب ، وعدل عن رأيه ورجع فلن أتوانى عن اعطائه زجاجة كاملة من عقارى هذا ، وانى لمؤمن بأنه لن يصيبه منه ضرر فما وقع ضرر لأحد من هؤلاء الذين سبقوا فجربوه . ومجمل ما أوصى به ليكون علاجا هو تناول قدر منه يبلغ أربعين قطرة فى اليوم وذلك خلال مدة التجربة ولقد تبينت من تتبع مرضاى فى المستشفى أنه ما من واحد منهم قد أصيب بضرر أو أعقبه ذلك سوءاً ، غير أنه لم يبد على واحد منهم أنه سوف ينجب أطفالا .

قالت مارج : ان زوجى لن يغير رأيه وأغلب الظن أنه لا يرغب فى أن ينجب أطفالا ، لا يرغب فى ذلك أبدا .

لم أحاول أن أناقش هذا فليست ثمة فائدة تذكر فى النقاش والمجادلة ، فزوجتى تتميز بذاكرة واعية حافظة تستطيع أن تعود بها الى الـوراء عشرات السنين لتقع على أدلة وبراهين قاطعة كانت قد أضحت نسـيا منسيا محاولة بذلك أن تغمرك بفيض من الأدلة تحملك على صدق ما تعتقد . وأفضيت الى تومى ومارية بما كان لى مع هومر ، وان كنت لم أشر الى

كاتى غير اشارة عابرة . وقد وعدنى تومى كما وعدتنى ماريه بأن يذهبا الى واشنطن لزيارته وتعرف حاله . وقد يكون من اليسير عليهما أن يقطعا برأى من قبل أن تتاح لهما الفرصة لفحصه فحصا كاملا شاملا دقيقا .

وفى التاسعة أخذنا نستمع الى معقب الاذاعة المعروف ونشل ، وكان يلهث وهو يذيع وكأنه قد صعد عشرين طابقا على قدميه قبــل وقوفه أمام الميكروفون وبدأ حديثه بقراءة برقية من لندن جاء فيها :

انتهى الى وزارة الخارجية البريطانية أن ثمة رجلين لم يصابا بعقم على حدود منغوليا ، وأن الروس قد وقعوا على هذين الرجلين منذ تسعة شهور ولكنهم آثروا أن يجعلوا هذا سرا ويبدو أنهما عاملان من عمــال المناجم كانا يعملان كما كان آدم فى جوف منجم من مناجم الرصاص العميقة حين وقع انفجار الميسيسبى .

قال تومى يعقب على هذا الخبر : ياله من نبأ عجيب !

وقالت ماريه : أنه لمما يعقل حقا .

قلت : لست أعتقد أن الأمر كذلك ، فما من دليل يقوم على صحته وما يجيز العقل أن تعرف وزارة الخارجية البريطانية شيئا مما يقع على حدود منغوليا . وان الظن ليكاد يوحى بأن مرجع هذا الخبر شائعات انتهت الى لندن وأتاحت وزارة الخارجية البريطانية لهذه الشائعات أن تنتشر حتى تعلم ما عند الروس لتتبين كنه هذا الخبر .

عندها سألت مارج : ترى ما سيكون أثر هذا الخبر ان صح على فكرة اعادة الاخصاب القومى ؟

— أعتقد أن هذا سوف يضرم جذوة التسابق العنيف بيننا وبين الروس

فى ميدان الانتاج البشرى ، اذ أن مجرد التفكير فى وجود روسى واحد قادر على الانجاب سوف يبلبل واشنطن ودوائرها المختلفة .

وقالت مارج :

انه لشىء يثير الفزع . فهؤلاء المغول ينسلون كما تنسل الفيران ، أليس كذلك ؟

فقال تومى : اذا نظرنا الى المسألة من وجوهها المختلفة وجدنا أنقدرة هذا المغولى الخشن تعدل ثلاثة أمثال قدرة آدم . ويستند حكمى هذا الى ما تبينته فيه .

فقالت مارية : يبدو لى أنك على حق ، غير أنى أحب أن أقول اننا اذا أفلحنا فى أن نرقى بوسائل الاخصاب الصناعى الى مرتبة الكمال بأن نستخدم حيوانا منويا واحدا فى كل حالة من حالات التلقيح ، وهذا هو مناط بحثى الآن كما تعلمون ، عندها نستطيع أن نقف على قدم المساواة مع الروس فى مجال المنافسة وهم على ذلك لا يقلون عنا شأنا ، وان صح أنهم يملكون رجلين لقاء رجلنا آدم وتعدادهم بطبيعة الحال كبير فهم فى هذه الحالة ، كما أخال ، قادرون على أن يزيدوا المواليد زيادة تفوق زيادتهم هنا .

ولقد أدليت بدلوى فى هذه المناقشة فقلت :

— ان كل ما قيل ويقال لا يعدو أن يكون نظريا بحتا ، وسيظل هذا الزعم فرضا من الفروض الى أن تؤيده حقائق ثابتة . فان صح هذا كله وأيده الدليل فما من شك فى أنه سيكون شيئا له خطره الكبير ونتائجه المرضية ، فستتاح الفرصة لكلا البلدين أن يخطوا معا فى طريق واحد ، تملى عليهما المعرفة المشتركة التعاون والتساند لانقاذ الجنس البشرى .

غير ان مارية رأت رأيا غير هذا ، فلقد كانت تعد تجاربها سرا عسكريا.

وهى لهذا تخال أن كل ما فى هذا المضمار من معلومات وتجارب يندرج تحت الأسرار الحربية ، وليس ببعيد أن تكون هذه نظرة روسيا الى هذه الأمور وتلك الأحوال .

واسترسلت أشرح الأسرار العسكرية على قدر ما يوحى به علمى فقلت لهم :

— ان الدول الكبرى تلتزم نظامين ، أو جهازين هما من الأهمية بمكان . أولهما جهاز المخابرات وثانيهما جهاز مكافحة التجسس أو المخابرات المضادة ، ولما كنا الآن قد أخذنا ننعم بسلام يسود العالم كله فمن الطبيعى أن يعود العاملون فى أجهزة المخابرات الى أعمالهم المألوفة المختلفة التى كانوا يؤدونها قبل الحرب .

وكان المعروف أن رجال المخابرات ينالون أموالا طائلة ومبالغ من المال هائلة لا يرجع عليهم فيها ، ومثل هذا تعرفه بلاد العالم كلها باسم المصروفات السرية يدفع منها رجل المخابرات ما يراه ضروريا ليحصل على ما يعنيه من المعلومات .

وقالت مارج : يا له من عمل مفيد يدرّ الربح !

— آه انها فى الحق وسيلة بارعة لابتزاز الأموال . بيد أن العرف الدولى يقرها . وعلى حين يسعى رجال المخابرات دائما الى أن يوغلوا فى البلاد الأخرى يسعى رجال مكافحة التجسس السعى كله فى أن يحولوا بين هؤلاء وبين أن يوغلوا فى بلادهم وفى أن يمنعوهم بكل ما يملكون من وسائل من الوقوف على أسرار البلاد حتى لا يسيئوا اليها .

وقالت ماريه معجبة : ما من شك فى أن رجالنا بارعون وأن لهم دربة على مكافحة التجسس وهم لا يفتأون يختلفون الى مكتبى بين الحين والحين تاركين فى معاملنا سلالا يطلبون الينا أن نودع فيها مسودات

مذكراتنا وأوراقنا المهملة وما يتخلف عن الكنس والتنظيف من بقايا هنا وهناك .

وسألت مارج : أهذا هو كل ما يعملون ؟ أو ليس لهم من عمل آخر ؟

فأجابت ماريه : كلا . فهم يطلبون الينا أحيانا التوقيع على بعض الأوراق .

وقلت شارحا : ان للبريطانيين وسيلة أخرى حكيمة سديدة يحكمون تنفيذها اذ الكثرة من رجال مخابراتهم تعمل أعمالا أخرى الى جانب أعمالهم السرية فى المخابرات — وهم بهذا التستر المحكم على أعمالهم فى المخابرات يسدون الى حكومة بلادهم أجل خدمة . وما من شك فى أن هذا التستر شىء نبيل ، وما من شك فى أننا لما نصل بعد فى بلادنا الى ذكائهم فيه وبراعتهم . فلقد يقصد رجل من رجال المخابرات الى استنبول على أنه مراسل لصحف عدة ، على حين يعلم نفر أن هذه ليست الا وسيلة من وسائل التستر فانهم يحرصون على أن تظل سرا مكتوما .

عندئذ دق جرس التليفون وكانت جين زيتر هى التى تحدثنى من واشنطن لتقول :

— ان القائمين على مشروع اعادة الاخصاب القومى يكادون يتميزون غيظا ، وكلهم قلقون ثائرون لتلك الأخبار التى انتهت اليهم عن المغول . ولقد اتصل بى جيبلمان كما اتصل بى بمفرى وهما يريدان أن تحضر وشيكا الى واشنطن . ولسوف يعقد مؤتمر فى العاشرة من صباح الغد يحضره مندوبو الحكومة ، وسيعقب ذلك اجتماع فى الحادية عشرة للجنة اعداد الخطط ، وعند منتصف النهار يذهب المدير العام بمفرى الى البيت الأبيض .

فسألت قائلا : — أصحيحة تلك الرواية التى ذاعت عن هؤلاء المغول الأجانب ؟

فقالت جين : انهم لا يعلمون ، ولكن سـواء أكانت صحيحة أم كاذبة فما من شك فى أنها سوف تحدث أثرا فى الكونجرس ، ولعل هذا ما يقلق بالهم .

قلت لها : — أخبريهم أنى سوف ألقى قبل حضورى ممثلى اللجنة الاستشارية لمناقشة المراحل جميعها وسأحضر معى حين أعود ما سوف توصى به اللجنة . ألا تقرين معى أن هذا يصح عذرا لتخلفى عن الاجتماع؟

— أرجو ذلك ، ولتعلم أن القوم ثائرون الثورة كلها .

وسألتنى عن موعد عودتى ، فأجبتها أنى سوف أعود بعد يومين ان لم يعقنى عائق أو يطرأ طارىء . فرضيت ذلك وقالت مؤكدة انها سوف تتصل بالسيد جيبلمان وبالسيد بمفرى لتكشف لهما عن أهمية لقائى بالمستشارين الطبّيين فى هذا الوقت .

ولقد قلت لجين انها حبيبة الى قلبى ، وان فؤادى أسير هواها ؛ ووعدتها بقبلة حين ألقاها ، قلت ذلك عمدا لأنى تبينت أن مارج كانت تتسمع الى محادثتى مع جين زيتر .

وقالت مارج وأنا على وشك أن أضع السماعه لأختم حديثى مع جين : لن تستطيع يا ستيف أن تحرك غيرتى ، لن تستطيع ذلك أبدا فليست جين الا مساعدة أمينة . وهى على هذا لن تثيرنى ولن تثير القلق فى نفسى ؛ وان وصفتها لى وصفا دقيقا الا أنى على الرغم مما كان لست مطمئنة البال ولا مرتاحة الخاطر لتلك الفتاة الأخرى التى جاءتك من هوليود .

ومضت ماريه وتومى فى الساعة الواحدة صباحا ، فألقيت غرفة نومى فى تلك الساعة أكثر روعة وأشد اغراء فدلفت اليها .

وحين استيقظت فى صباح اليوم التالى كانت حبات المطر تتساقط فى عنف وترتطم بنوافذ البيت ، وكانت مارج الى جانبى تداعبنى وتدغدغ أذنى فبقيت مسترخيا وآثرت أن أقضى نهارى مستجما فى فراشى ، وأن أتجنب عناء الخروج فى ذلك الطقس المتقلب القارص وأن أنسى كل شيء فى واشنطن بما فى ذلك مشروع اعادة الاخصاب القومى ، ومشروع التلقيح الصناعى ، حتى المغوليين اللذين أفلتا من العقم .

لقد أمضينا الشطر الأكبر من حياتنا ضحايا حملة من الدعاية الطائشة المذمومة التى استهدفت اثارتنا وبث الخوف فى نفوسنا ، ففى الوقت الذى هادنا فيه الناس وأخلدنا الى الراحة والدعة لم يتورع الناس عن الكيد لنا ، والوثوب علينا وكأنهم وحوش الغابة والأجمات الضارية وانى لأشيد بعبقرية ذلك الحكيم الذى ابتدع هذا التقليد الساحر القائل : « نم مبكرا وانهض مبكرا تعش سعيداً غنيا عاقلا » وهى ليس الا قولة دعى أطلقها على سبيل الدعاية وما تزال هذه القولة المأثورة تلازمنا من الطفولة الى الكهولة ، فتتضاعف بهذا قوتنا كما يؤكد تكرارها وترديدها أثرها فى النفس . ولقد أدرك ذلك جوبلز وزير الدعاية النازية وكم من مرة سمعت هذه الحكمة تنتظم هذه الادعاءات الثلاثة ، وكم حملنا على الايمان بها معسول لفظها فاستنمنا مغررا بنا . ولوعدنا نحللها وننعم النظر فى معانيها الخفية لوجدناها حقا أشبه بالمؤامرة والخداع والتنطع ، لاسيما اذا أنعمنا الفكر فى هذا الادعاء الثالث وهو الثراء . فمن يا ترى هذا الذى يذهب الى عمله فى موعده المحدد : أهو الموظف الصغير أم المدير الكبير ؟ وأخذ النعاس يداعب أجفانى وأنا مستلق فى فراشى أدير فى رأسى هذا القول الرنان ، وأقلبه على وجوهه المختلفة لأدرك مدى النجاح الذى كان يسيرا على صاحبه ومؤلفه أن يحققه لو كان فى قيد الحياة ، وكيف كان سيقف عاجزا

حائرا أمام هذه الأشياء الخداعة التى يعانى الناس من نفقاتها ويسرفون فى شرائها مثل السجائر وأنواع الصابون الفاخر ، ومقويات الشعر والمشروبات الغازية .

ومضى النهار وشطر من الليل الذى أوشك أن ينتصف وكنت لا أزال أتابع برامج التليفزيون ، وما كان أشد دهشتى حين فوجئت بالسيدة فاى سمرنوت ، عضو الكونجرس المحترمة ، تطالعنى بوجهها فقالت لى مارج : انظر ألا تراها فى ثوب رائع ؟ لقد أبصرت مثله يوما فى أحد المحال المعروفة ، ولكنه كان يختلف عنه فى لونه فصحت بها : صه فانى أوشك ألا أسمع ما تقول العضو نوت .

فقالت مارج : أواه ! الى متى ستظل تستمع الى هذا الهراء فلتغلقه عليها ، انها لتثرثر فى السياسة بمجلس الشيوخ ، أليس وجهها جذابا مشرقا فى الصورة . ما قولك ؟ أليس هذا صحيحا ؟ .

وعدت أنصت فسمعتها تتحدث عن المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب فحصرت انتباهى لأستمع أكثر مما أشاهد . ولقد كانت فاى تترقب الفرصة منذ شهور لتهاجم سياسة الحكومة وتتحين لها الوقت المناسب .

وأحسست قشعريرة تسرى فى بدنى وأنا أقدر النتائج والعواقب الوخيمة ، وأكبر الظن أنها كانت على وشك أن تبدأ كلامها بقاعة الكونجرس . وأكاد أقطع بأن أول ما ستذكره هو هذا الفشل الذى منى به مشروع اعادة الاخصاب القومى والذى غدا فضيحة عامة .

واستمعت اليها تقول : اننى أتحدث فى أشد لحظة من لحظات تاريخ وطننا العظيم حرجا . لا أشك فى أنكم قد سمعتم نبأ هذين الرجلين على حدود منغوليا . وما أحاول أن أنكر على الشيوعيين حقهم فى الوجود والنسل ، ولكنى أريد لكم أن تتصوروا هذا العالم وقد أصبح مغولا كله.

وصمتت لحظة وهى تبتسم لتتيح للصورة التى صورتها أن ترسخ فى أذهان المستمعين ثم وصلت حديثها قائلة :

— ان ثروتنا الحيوية الوحيدة هى السيد آدم . حدثونى أى شىء فعلته الحكومة لتفيد منه . يظهر أن الادارة الحكومية لا تزال تجهل أن الموت يحصد الناس يوما بعد يوم دون أن يولد مولود جديد ، لا سيما فى الولايات المتحدة ، فما نعلم شيئا عما يقع هناك فى روسيا . ان مشروع اعادة الاخصاب لم يفشل فحسب فى أن يضيف الى عدد الشعب مولودا جديدا على الرغم مما رصد له من مبالغ طائلة ، بل انه كذلك لم يكشف عن سياسة فى المستقبل ولا عن خطة للافادة من السيد آدم . والشىء الذى زاد الطين بله هو اباحة الحكومة للسيد آدم أن يخالط مجموعة من النساء . فلقد رأيت أنا نفسى السيد آدم يشرب الخمر فى صحبة ممثلة معروفة بفضائحها المنكرة ، ولقد علمت كذلك من أوثق المصادر العسكرية أن هناك امرأة تعيش الآن فى كنف آدم .

وأضافت قائلة انها لتأسف غاية الأسف حين تجد نفسها مرغمة بفعل الظروف على الكشف عن أمثال هذه المخازى الفاضحة التى يندى لها الجبين . ولقد أعطت لنفسها العذر حين قالت انها ما كانت تحب أن تدس بأنفها فى حياة الناس الخاصة وأن تنحدر الى ما انحدرت اليه من خوضها فيما يحدث فى الخفاء لولا ما للأمر من خطر يمس الشطر الثانى من كيان هذه الأمة الا وهو نساؤها وجنسها اللطيف .

وأخذت تتساءل قائلة : ترى هل يقدّر لهذا الأمل المتصل الذى يخالج نفوس الجميع فى الظفر بأمومة أبدية سعيدة أن يقضى عليه زمرة من الساسة المتهاونين الذين يمسكون بيدهم زمام الادارة الحكومية ومقاليد الأمور؟

حينئذ ثارت مارج قائلة : رباه أليس ثمة جريمة كبرى ترتكب فى حق الوطن ؟

— كلا بل أراه شيئا يثير الدهشة فاهدئى حتى يعرف الجمهور أن هذه السيدة التى تعيش مع آدم هى زوجته وما أسرع ما سيعلم الجمهور ذلك .

— ولكن هذا لن يغير من الأمور شيئا .

— لا تبالى يا مارج .

ولكن فاى مضت تقول : ان المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب ليست الا اداة جوفاء خادعة مضللة ، ان هى الا فضيحة كبرى تبدد أموال الشعب ودافعى الضرائب وتبعثرها متعللة بآدم .

ثم أخذت تذكر التفاصيل فعرجت على « الاطار » تقول : ان اسمها الحق « كاى روب » على حين نرى اسمها فى الاعلانات كاتى رايدل .

وقالت مارج : اخالها تشبه القطة واخال الغيرة الحمقاء تنهش قلبها وانى على ذلك لن أعطيها صوتى فى الانتخابات .

فقلت أزيدها بيانا : ان رجال دائرتها يربون على نسائها ولو كان الأمر غير ذلك ما استطاعت أن تفوز بالمركز الأول .

وأخذت فاى تذيع الأسرار والمخازى فى نادى فوت لايت وقد تبينت من حديثها ان رقابة جديدة كانت تحوط السيد آدم وتعد عليه حركاته .

وحين ذكرت فاى السلطات العسكرية أخذت أشك فى فيلبس سمايث وتحولت عدسة التليفزيون الى قاعة مجلس الشيوخ الامريكى تنقل الينا صورة حية لما يقع هناك . وقال المذيع : ان قاعة المجلس التى بدت شبه خالية حين أخذت العضو نوت فى الحديث غدت تضيق بمن فيها على سعتها ، ويسير عليكم أن تروا ما يجرى أمامكم على وجهه الحقيقى .

ولقد استطعت حقا أن أتبين أعضاء المجلس وهم واقفون فى نهاية القاعة وهو ما يوحى باقتراب يوم مشهود يذكرنا بالأيام التى كانت تشهدها قديما قمة الكابيتول .

وبعدها قال المذيع ان نوت قد تركت المنصة للعضو فروجهام . وسرعان ما طالعنا فروجهام بوجهه على شاشة التليفزيون وقد استرخى فكه كما يسترخى فك كلب من كلاب الصيد أنهكه الجرى وهو يتعقب فريسة فى احدى مغامرات القنص . ولقد بدأ حديثه بقوله ان ما سمعه من زميلته نوت من أسرار وحقائق رهيبة تكشف عن بواطن الأمور قد أثار حفيظته ، غير أن هذا لم يدهشه أبدا لأنه كان يرقب هذا من قبل .

ثم أضاف : ان هذه لطمة كبرى لنظامنا الديموقراطى الرأسمالى وان الانسان ليعجز عن تصور تلك الخسارة الفادحة التى ستمنى بها مشروعات البلاد وأعمال الناس الخاصة والأشياء جميعها وكيف لنا أن نضرب لأبنائنا طلبة المدارس المثل برئيسهم ليحذوا حذوه فى مستقبل أيامهم . أنىّ لنا أن نفعل ذلك وقد أخذت المدارس تخلو من تلاميذها . واختتم حديثه مقترحا على المجلس أن يشكل لجنة تناقش الموضوع برمته ، وان يعيد المجلس النظر فى مشروع اعادة الاخصاب القومى على أن يعهد المجلس الى العضو نوت برياسة هذه اللجنة .

وعادت العضو نوت تظهر على الشاشة ثانية وقد اعتلت المنصة وأخذت تقول :

— لقد أرتكبنا هفوة كبيرة وأخطأنا خطأ جسيما حين تسلمنا آدم من السلطة العسكرية ، وانى لموقنة بأن ثمة أصابع أجنبية بين أعضاء المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب .

وكانت العضو نوت قد قاربت انهاء حديثها عندما أطفأت التليفزيون ووثبت من الفراش فسألتنى مارج : الى أين ؟

— أشيرى علىّ الى أين نذهب . فلقد برمت بهذه المهمة الملقاة على عاتقى وعزمت على أن أستقيل وأن نذهب الى ساحل فلوريدا لنروح عن أنفسنا .

قالت مارج : ما أخالك فاعلا هذا يا ستيف وتترك لنفر من رجال السياسة أن يلاحقوك فى عملك ليبعدوك عنه فان ثمة آخرين يعتمدون عليك ، أذكر آدم وأذكر مارية وأذكر طومسون ، فما اخالك ترضى أن تفر والمعركة على أشدها تاركا آدم وحده فى ورطته .

وارتديت سروالى واذا بالتليفون يدق فأجابت مارج ، والتفتت الىّ تقول : أنه هو السيد جيبلمان يريد أن يتحدث اليك .

فقالت لها : أخبرية أنى لست هنا فى البيت وأنى قد قضيت نحبى من نوبة قلبيه مباغته قاضية .

فقالت مارج وان صوتها ليقطر شهدا يسرى فى سلك التليفون : أن زوجى ستيفن يريدنى على أن أخبرك أيها السيد جيبلمان بأنه ليس هنا وأنه قد انتقل لساعته الى العالم الاخر بعد نوبة قلبية مباغته .

وأمسكت بالتليفون أقول : انى أنا سميث الذى يخاطبك وما عدت معكم ولقد تخليت عن عملى وأعفيت نفسى من مهمتى .

فقال جيبلمان : آه لقد سمعت بالقصة طبعا .... حسنا ! غير أنه لا يليق بك أبدا أن تتخلى عن واجبك الآن ونحن نواجه خطرا شديدا يتركنا بين الحياة والموت ألا تدرى أنك بهذا ترتكب الحماقة الكبرى . وأنك بطيشك هذا تقضى على العمل كله ، وتعرض أداته للتفكك

والانحلال ، فياله من خداع ووهم ، انه يتحتم علينا أن ننشر بيانا صحفيا سريعا . بالله قل لى : من هذه المرأة التى تعيش مع آدم ؟

(يتنهد قائلا) :

— أتقول أنها زوجته (وكان يسيرا علىّ أن أسمع جيبلمان وهو قائلا) :

— ليس هذا بالشىء الذى يسوء . ولكن ما هى قصة تلك المرأة الحمراء الشقراء التى يحكى لونها لون الطماطم ؟

— تلك « الاطار » ؟

وقلت غير ملتزم الصدق : ان حبهما شريف عذرى طاهر وان هواية علم الاثار هى التى تجمع بينهما .

— هذا ان صح فلن نذكر عنه شيئا ولن نشير اليه ، وغاية ما سنفعله أننا سوف نذيع بيانا موجزا نقول فيه ان السيد آدم يعيش الآن مع زوجته . وسوف يخلق هذا فى قلوب الناس عطفا عليه وعلينا ويترك نوت ترغى وتزبد وتعوى عواء الكلبة ولكن ماذا تعرف عن « الاطار » ؟

فقلت له : ليس ثمة ما يدعوك الى أن تشغل بالك بها لأن المسرح الذى تعمل به لا يرغب فى أن تكون لها صلة بما يقع فهو يدرك أن ذلك سوف يكون له اثر على دخله وايراده .

— حسنا ليس هنا حقا ما يدعو الى القلق فسوف يتكشف كل شىء فى مدى يومين .

— أظن ذلك .

— سنواجه الأمر بصدر رحب ، وعليك أن تعود الى عملك دون ابطاء .

وفجأة ذكرت آدم وذكرت مارى الين وجين زيتر وأخذت اسائل

نفسى ترى أى شىء يجرى الآن فى جناح آدم بالفندق وهل انتهت مارى الين من سلخ وجه هومر وكالت له اللوم كيلا او أنه قد آثر السلام فاعترف لها مختارا — ثم ما هو هذا الأثر الذى تركته ثورةنوت على أعصابه ؟

وقلت للسيد جيبلمان : لا ضير ! وانى لعلى استعداد أن أذهب الآن الى مطار لاجورديا وآخذ أول طائرة الى واشنطن .

فقالت مارج : شكرا للسماء فلقد كنت موقنة بأنك لن تتخلى أبدا عن واجبك .

— لا ، ان الأمر ليس كما يبدو لك على الوجه الذين ترين ، وهل أنا الا فضولى يحب الاستطلاع .

وأخذت مارج تعاوننى فى احكام رباط عنقى وهى تقول : حاول أيها الحبيب أن تجرب مزيج الطبيب طومسون فانه لن يضيرك أبداً وأعود فأكرر لك رغبتى فى أن يكون لنا طفل تكون أنت أباه .

فقلت لها : هذا هراء . فثمة أنواع عديدة من زيت الثعبان تبلغ الألف ولقد جربها رجال كثيرون لا يقع لهم حصر فى أنحاء العالم كله ، وكم من مقادير كبيرة استنفدوها وما عادت عليهم بفائدة ما وذهبت كلها دون جدوى . ان فرصتك الوحيدة هى كما قلت لك آدم . فليكن هو وحده والد أطفالك اللهم الا أن تكون قصة المغووليين صحيحة ويرضى الروس أن تتقاسمهما معا ، غير أن عليك فى هذه الحالة أن تذكرى كم امرأة فى العالم ، تبغى أن يكون لها طفل . عند هذه سوف تدركين أن فرصتك ضعيفة ضئيلة بعيدة كل البعد .

ولم يرقها حديثى فصاحت : استمع الى . لابد أن يكون لى طفل ولسوف يكون لى طفل . أستمع الى ، سيكون لى طفل ، لا بد من ذلك .

الفصل الثامن

جلس الى جوارى فى الطائرة المتجهة الى واشنطن سيد يدعى سيمور فورمان يسكن مزرعة بمقاطعة هارتفورد وأخذنا معا فى حديث تناول شتى الشئون . ولقد سألنى عما اذا كنت على علم بآخر الأنباء ، وأجبته بأنى على علم بها فقال : ان الأحوال لا تدعو الى الارتياح والأنباء مزعجة . ولقد أقسم بعزمه على الاستقالة من عمله وتحدث عما ينتويه بعد ذلك من قضاء وقته فى الراحة والاستمتاع بصيد السمك اذ لا جدوى من العمل . ولقد كان من أعز أمانيه أن يعمل ليدخر ما يقيم به بيتا له ، فمواد البناء موفورة والمهندسون على استعداد لتصميم بيوت أنيقة زهيدة التكاليف يوحى بها خيالهم الخلاق المبدع غير أن النفوس قد صدفت عن بناء البيوت .

ومضى يزيد رأيه وضوحا ويقول ان الناس لا يشيدون البيوت لأنفسهم وانما يشيدونها لأولادهم من بعدهم وما داموا لا ينجبون أطفالا فليس ثمة ما يغريهم بالبناء ، فلِمَ يبنون وهم لا يتناسلون بعد أن أجدبوا وأصيبوا بالعقم ؟ ثم أخذ يتحدث عن التلقيح الصناعى فقال انه لا يدرى لماذا لم تأخذ الحكومة بعد فى الافادة من آدم ؟

وهنا أجبته : استمع الى يا صاحبى . اذا تصورت آدم هذا بئرا من آبار البترول فعليك أن تعرف كيف نفيد منه والا تعجل حتى لا تنضب البئر وتنهار ثروتنا . ان بقاء الجنس البشرى رهن بالمحافظة على نسله ، ومستقبله مضمون باتصال توالده وتكاثره . وهذا شىء من الخطورة

بمكان وخاصة اذا نظرنا جادين الى أن البحث كان يستهدف الافادة من كل ما يملك السيد آدم من طاقة مطرحين تلك الوسائل الفاشلة المبعثرة للجهود ، والتى لا غناء فيها والتى أرادت مؤسسة الاخصاب الصناعى أن تفرضها .

عاود فورمان الحديث عن رأيه السابق مؤكدا اقتناعه به ، وسلامة ما ذهب اليه . ومضى يقول ان الذى يزيد الطين بلة هو أن الاستثمار الزراعى وتشييد البيوت قد أصبحا شيئين لا يعتد بهما ولا يعتمد عليهما لما لحقهما من هزة واضطراب ؛ وأنه لو كان يستثمر أمواله فى تجارة السيارات أو بيع الغسالات الكهربائية أو الأدوية والعقاقير أو الخردوات لاختلف الحال وعاد اليه ذلك بالربح الوفير ، فثمة أعمال حرة وألوان من التجارة لم يمسَّها تغيير ، فاقبال الناس عليها هو هو ومكاسبها هى هى .

وعلى أية حال فلقد غدا المرء يأبى أن يستثمر أمواله ومدخراته فى اقتناء المساكن فهو يدرك الادراك كله أنها سوف تبقى خاوية مهجورة لا تأوى اليها غير الهوام والجرذان أو بعض العجائز الغانيات اللائى أشرفن على العقد الثامن ممن لا يزلن يصارعن الشيخوخة وتصارعهن . أجل لقد غدا استثمار العقار لا جدوى منه فى الحاضر أو فى المستقبل .

قلت له : ان المشكلة أيها السيد فورمان تنحصر فى نقطة واحدة ، وهى أننا اذا ما أخفقنا فى أن نسوس السيد آدم بحكمة وسياسة عم الاضطراب العالم وسادته الفوضى .

فأجاب غاضبا يزمجر : لا بأس وانه لمن الواجب على ولاة الأمور فى واشنجتن أن يرعوا الأمر بكفاية حتى لا تخسر الحكومة الكثير وتفقد تأييد الجماعات والهيئات — كبر شأنها أو قل — فى الانتخابات القادمة .

فقلت متسائلا : وأى فرق بين الحالين ؟ أعنى اذا نالت الحكومة تأييدا أو لم تنل ما دام الجمهوريون لا يختلفون فى شىء عن الديموقراطيين ، فهؤلاء وهؤلاء مجدبون عقيمون ، ولا مناص من أن يهيئوا أنفسهم للبدء فى الافادة من الاخصاب الصناعى ، ذلك هو الحل الوحيد .

وتطلع الى فورمان محملقا وكأنه يرانى للمرة الأولى ثم قال : هل أنت من موظفى الحكومة ؟

— أجل ولوقت معلوم .

— أتعرف أحدا فى مؤسسة اعادة الاخصاب القومية ؟

— نعم .

اذا كنت حقا تعرف عضوا عاملا فى مشروع التلقيح الصناعى فمن الخير لك أن تخبره أن الشعب قد سئم هذا كله . أو تصدق أن ابنتى الشابة التى تخرجت فى الجامعة هذا العام قد أصابها مس من الجنون ، ولقد زلزل فكرها ألا جدوى من حياتها وأنها لن تصلح أماً فى مستقبل أيامها .

وخلال الدقائق السبعين التى قطعناها الى أن وصلنا واشنطن عرفت شيئا جديدا ، شيئا لم أكن أعرفه ، ولم أكن أتخيله : هو أنه لم يعد انسان يقبل على الزواج بعد أن أذيع نبأ العقم العالمى فراح الناس كلهم رجالا ونساء يعيشون معا دون أن يربطهم رباط الزواج ؛ كما عرفت أن صناعة لعب الأطفال فى مقاطعة ماسوشتس يهددها التوقف والافلاس ، وأنه قد أصبح محرما على مخرجى الأفلام فى هوليوود أن يشيروا الى موضوع ما يعرض للأمومة أو للأطفال لأن فى هذا وذلك ما يؤلم نفس النظارة حين يرونه على الشاشة . وقد تخلت « فانى برايس » عن برامج الأطفال فى الاذاعة لتشارك الناس شعورهم العام وأخذ المعلمون يقيمون الجمعيات والنقابات ليبحثوا مشاكلهم الحاضرة ويؤمنوا مستقبلهم الغامض ، وما ادخرت جامعة هارفارد

وسعا وهى تنفق الملايين من الدولارات فى سبيل اصطفاء أهم المعارف الانسانية فى شتى نواحيها وتهيئتها فى لفافات تعيش على الزمن مخافة أن يخفق مشروع التلقيح الصناعى ، ويحق على الجنس البشرى الانقراض كما رأى داروين ثم يأخذ الانسان فى التطور من جديد من الأنواع الدنيا . ان العمـل الوحيد الذى أخذ يزدهر ويبشر بمستقبل طيب هو دفن الموتى .

وكان أول ما لفت نظرى واسترعى انتباهى فى واشنطن هـو عنوان ضخم يتصدر ثمانية أعمدة بالحروف الكبيرة يقول : آدم يعيش مـع زوجتـه .

ولقد أدركت فى الحال ان للخبر مغزى يؤكد أن جيبلمان قد استطاع بدهائه وفطنته أن يقوم بعمل مضاد يرد به على هجوم فاى نوت عضو الشيوخ حين حملت تلك الحملة الشعواء بالمجلس . غير ان الخوف أخذ يساورنى فأسرعت أحث الخطى الى جناح آدم فى فندق شورهام .

وحين طرقت الباب فتحت لى جين بعد أن أطلت برأسـها من ثقب صغير وبعد أن أزاحت رتاجا وسلسلة . فبادرتها أسألها :

— ماذا حدث ؟

— أسرع . فلقد امتلأ الجناح بالصحفيين والمصورين ، انهم كثرة كثيرة وكأنهم الفيالق من الجنود .

— وهل أذنتم لهم بالدخول ؟

— أجل . دون شك لأنى لم أشأ أن يحطموا الباب ، غير أنهم لما يلقوا أحدا بعد ، فلقد أنبأتهم أنه غير مباح لواحد منـا هنا آن يصرح بشىء ذى صفة رسمية غيرك وغير السيد جيبلمان ، فاجتزأوا بالتقاط بعض الصـور .

— أى نوع من الصور ؟

— صور لآدم ومارى الين تنطق بما بينهما من محبة ووئام .

— وماذا يفعلان الآن ؟

— انهما معا فى المطبخ ؛ هى تغسل الأطباق وهو يجففها ؛ ولقد كانا من قبل ذلك لا يفعلان شيئا غير الاستمتاع بالقراءة . فبينما كان آدم يجلس فى كرسيه يقرأ ، كانت مارى الين تجلس على طرف الكرسى تنصت له . كما كانا يقضيان الوقت فى لعب الورق أو يأخذان فى أعمال منزلية هادئة .

وقبلت جين فى أنفها ، ولم يكن أنف جين على التحقيق هو الجزء من وجهها الجدير بالتقدير ولكنه بدا فى عينى جميلا حين ذاك ، وقد كنت أعلم أن الصور اللطيفة المأخوذة للأسرة والمعبرة عن طيب عشرة ووفاق هى أقوى دليل على بطلان تلك الاشاعات المغرضة التى تتناول حياة الأسر .

وقلت لجين : يا لك من فتاة ذكية ان ما فعلته لجدير بأن تعلمه ادارة الخدمات المدنية وأن يصلها فى مذكرة مستفيضة مكتوبة فى لغة مهذبة راقية تفصح عن حسن تصرفك وما من شك فى أنك تعرفين أنك سوف تحصلين على مرتبة أعلى فى حياتك الوظيفية نتيجة هذا العمل العظيم .

فقالت جين : انه لفضل كبير منك .

— وماذا كان أثر ما فعله آدم فى مارى الين ؟ وأى شىء فعلته به ؟

— ان الأمور تجرى بينهما على نهج طيب يبعث على التفاؤل ، ولقد حدثتنى مارى الين أنها حملت ما كان لآدم على محمل طيب ، وأنها لم تجد فى تلك العلاقة أكثر من هذه الصلة العلمية بين عاشقين لعلم الآثار . ليس ثمة اذن ما يدعو الى القلق وبرهان ذلك أنهما الآن معا فى المطبخ يشربان ويأتنسان .

فخطوت الى المطبخ، وهو حجرة صغيرة مكتظة بأدوات الطهى وبعض الآنية من أكواب وأطباق غير فضية . ووجدتهما معا وبين أيديهما كأسان يرتشفانهما تظلهما السعادة بجناحيها . وعلى حين كان يجلس هومر فى استرخاء وكأنه سلك مسترخ غير مشدود يقبض على كوبة مستمسكا بها خشية أن تسقط من يده ، كانت مارى الين على النقيض منه ، يتألق وجهها بهجة ويفيض بشرا وقد لبست رداء من القطن منشى زاهيا رائعا بدت به جميلة جديرة بأن تجمل صورتها غلاف احدى المجلات الأسبوعية فتكون بين يدى القراء المثل الأعلى لأسعد زوجة ماهرة تعتز بمكنسة بيتها الكهربائية .

وقال هومر يحيينى ووجهه مطرق الى الأرض : مرحبا بك يا ستيف .

وقالت مارى تخاطبنى : مرحبا بك يا ستيف فقد جئت فى الوقت الذى نحتاجك فيه . ولقد كنت قبل مجيئك أطلب من هومر ألا يشغل باله بما حدث ، وألا يعنى بكل ما يقع له من مضايقات هينة كانت أو جليلة ، وما شأنه فى ذلك غير شأن عظماء الرجال الذين تعترض حياتهم الحافلة أشباه هذه المضايقات والمتاعب ، وليتخذ من الرئيس العظيم لنكولن مثلا ، فكم سبه الناس وكم انتقصوا من قدره . وما أقرب الشبه بين لنكولن وهومر ! فهو هدف لتلك المثالب التى ضايقوا بها لينكولن . ألست معى فى الرأى يا ستيف ؟

— حقا ، وان هذا لأهون ما يكون .

— هلا أخبرته برأيك وطلبت اليه ألا يجعل لهذه المتاعب سبيلا الى نفسه وأن يطمئن باطنا وظاهرا . الا أنها السياسة قاتلها الله ، أليس كذلك يا ستيف .

— أجل هو ذلك بالتأكيد .

وأخذت أفكر وأنا أتطلع اليها أسائل نفسى عما يدور فى رأسها وفيما نوحى به عيناها المرحتان الواسعتان . ورفع هومر الىّ رأسه يحاول الكلام غير أنه تلبث قليلا ، واذا به بدلا من أن يمضى فى كلامه يعكف على شرابه .

وأدركت بؤسه وأحسست أنه يعانى عقدة نفسية تحتدم فى كيانه نشأت مع تلك الشائعات التى راجت حوله فى الأيام القليلة الماضية . ولقد تألم حين أحس أنه مذنب فيما فعل واعترف به فنطقت أساريره بخوف شديد وأخيرا قال :

— يا الهى ! ليتنى كنت رجلا مثل سائر الرجال !

فقلت أشجعه : لا . ان كل الرجال يتمنون لو كانوا مكانك ، وانهم عالمون بما أنت فيه .

وقالت مارى الين : بودى أن أخلو بك وأتحدث اليك يا ستيف حديثا قصيرا على انفراد ، أترفض هذا يا هومر ؟

فأجاب هومر — كلا ، حقا كلا .

ثم أسرع بالخروج من المطبخ فى نشاط لم أعهده فيه من قبل .

ولم ترغب مارى الين فى أن تمضى مباشرة الى الحديث عما تريد ، وقضت برهة تضع الثلج فى كوبها ، وأشعلت سيجارة وأخذت ترمقنى بنظرات متتابعة ثابتة من عينيها الرماديتين ثوانى معدودة ، وسرعان ما فهمت ما تريد وتبينت ما توحى به هذه النظرات ولقد تعودت رؤيتها فى عينى زوجتى مارج مرات عدة ولقد علمت ان الأمر جد خطير .

وقالت مارى : انه لمن حسن حظ مؤسسة اعادة الاخصاب انى حضرت الى واشنطن صدفة ، فى الوقت الذى انفجرت فيه القنبلة فى مجلس

الشيوخ وفاحت منها رائحة الفضيحة ، أتراها وقعت كما تخيلتها صدفة ؛ أم كانت وفق خطة سابقة قد أحكم تدبيرها ؟

— أتخالين أنى مكيافيلى الصغير أحوك المؤامرات ، وأرسم خطوط السياسة فى مكر ودهاء ؟

— انى لا آكاد أملك نفسى من فرط دهشتى بل ان دهشتى لتكاد تتبدد أو تبدو هينة ان أنا لم أقطع بأنك قد حملت هومر على أن يلف حبله بحبل تلك الفتاة وأن يهرب معها تاركا تبعاته ازاء بيته وأسرته وهو بهذا يصبح ضحية سهلة حينما تزج به الى حتفه .

ورأيت أن أنفذ الى أعماقها لأتبين مدى علمها بالأمر فقلت لها : —

— أى شىء تخالينه وقع على وجه التحقيق بين هومر وكاتى رايدل ؟

فأجابت فى هدوء : بوسعى أن أخبرك بما وقع تماما ، فلقد غررت به وراودته عن نفسها ، وقد يكون ذلك قد وقع مرة واحدة فحسب ، واخاله كان وفق خطة محكمة .

— من قال لك ذلك ؟ أهو هومر نفسه ؟

— كلا بالتأكيد ؛ ولو أنه شاء أن يفعل ذلك لحلت بينه وبين أن يفعل ؛ ولو أنه صارحنى بذلك لتخليت عنه لساعتى ؛ وهذا هو ما عقدت العزم على ألا أفعله ..

ولقد أدركت انها كانت تعنى ما تقول حقا وصدقا ؛ وانها مخلصة فيما تحس وتشعر ثم وصلت حديثها قائلة :

— مسكين هومر ، انه لصافى النفس ، مخبره ومظهره فى شفافية الزجاج . يا له من زوج أمين وديع ؛ فيه حنان وعطف لا أستطيع معهما الا العطف عليه ، وان حاول أن يكذب على . ولقد عرفت قصته كلها وألممت بتفصيلها منذ الليلة الأولى التى جئت فيها الى واشنطن ، فلقد حدثنى

عن كاتى ، كما حدثنى عن علم الآثار . وأفصح لى عن غبطته الكبيرة حين وجد انسانا يشاركه ميوله وأهواءه ، ثم أخذ يسألنى عما اذا كان ما أفضى به الى وما كشف به عن مكنون نفسه قد أثار فىّ ضيقا وحرك فى ألما .

— أو تعلمين حقيقة ما يحس به ؟

— لقد عرفت على وجه التأكيد منه شعوره ، اذ النساء يملكن حاسة قوية يدركن بها أمثال هذه العلاقات التى تربط بين رجل وامرأة ، وان كن فى الكثير من الأحيان لا يصارحن أنفسهن بما يقع بين أزواجهن وبين غيرهن من النساء ، متعللات بأن ذلك يجرهن الى ظنون وأوهام تعرضهن للشبهات ، وقد يرمين انسانا بالباطل ،وكثيرا ما تكتم الزوجة بينها وبين نفسها خيانة زوجها ، وتخاف المغبة ان هى طالعته بالحقيقة المرة موهمة نفسها بأنه لم يقع شىء ، وكم من زوجة تفعل ذلك حتى تمر العاصفة لتستأنف عيشها فى سلام . فى الحق أن شيمة النساء الضعف ، غير أنى لست مثلهن .

— حقا .. انك لقوية الايمان ولست مثلهن ضعفا يا مارى . وقطبت وجهها ، فبرزت عروقه وتميزت ، غير أن عينيها اغرورقتا بالدمع ، وغشيتهما سحابة كثيفة من الحزن وأخذت تقول :

— ألا تؤمن معى بصدق حبى لهومر واخلاصى له . انك أدرى الناس بهذا الحب — أحبه يا ستيف وسأظل أحبه ولن أبتعد عنه أبدا ، ومن أجل ذلك سأصبر ولن أشكو ضعفا ، وسأواجه الحياة بحقائقها ما دام فىّ عزم على أن أرده الى بيته ، وما أنا غير امرأة طيبة بسيطة ساذجة لا تغرينى الفتنة ، ولا يأخذ بلبى الغرور والفتون مثل غيرى من النساء ، وسأظل دوما وفية لرجلى الأول والأخير هو رجل واحد أمين مخلص ، آدم الحبيب ، وأشهد الله أنى سأقاوم وأقاتل كالجندى دفاعا عنه .

— يا له من شعور رائع جميل منك يا مارى ، انك لجديرة بالشكر كله . وما أملك غير أن أشجعك وأحثك على الاستمساك به ؛ غير أنى أرجو أن تنعمى النظر فى هذا الموقف الشائك الذى نحن فيه كى تحسنى مواجهته بلباقة .

— أعرف أنك سوف تحدثنى عن الانسانية وعن واجبى نحو بلادى ، ولكنى لا أجد فى هذا كله ما يقنعنى أو يجدى معى شيئا ، انى لأمقت الفكرة القائلة بالافادة من هومر فى تلقيح عشرة ملايين من النساء ، كما أمقت صلته « بالاطار » .

— صدقينى يا مارى انك لضيقة الأفق ، وان تفكيرك لمحدود ؛ فالأمر يختلف الاختلاف كله عما تفهمين أو تخالين ؛ فلسوف تتاح لك أنت وهومر فرصة ذهبية لحياة زوجية طبيعية ترفرف عليها السعادة ، وذلك بعد أن تنهى اللجنة الاستشارية الطبية أبحاثها التى ترمى الى مجانبة الاسراف فى استخدام المادة المخصبة من اللقاح ، والموضوع الآن بين أيدى الأطباء وسيفرغون منه ولن يستأثروا بك أو بزوجك غير أيام معدودات من كل شهر .

— مهما كانت افتراضاتك وقوة اقناعك ، فما زلت أرفض ما تفعلونه على هذا النحو البغيض ، أو لست مولينى شأنا فى هذا الأمر ، وقدرا من العناية بى .

— اننى أطالع الأمر كله بنظرة عامة على أنى قد أخذت أفهم الآن ما تحسين حقا .

— لقد استبدت بى مشاعرى ولم أعد أملك معها فرصة للتفكير الهادىء ، وهأنذا أحس خوفا شديدا ، ولقد كنت مغلوبة على أمرى ولم أجد الشجاعة فى نفسى لأناقش موضوعا ما أو لأدافع عن حقى المكفول

لى اذ وجدت الأمر قد غدا فوق ما تحمله طاقتى وفوق ما يسمو اليه تفكيرى ، لا سيما عندما اختطف هومر من بين يدى فلم أقو على أن أتقدم خطوة واحدة الى الأمام لأسترده ، وبكيت ليلتها بكاء حارا ، وظللت أبكى الليالى كلها ، ولقد كدت أن أقضى نحبى فى الحال لولا تلك السيدة الفاضلة برنددج التى وقفت الى جانبى تشد أزرى وتستنهض همتى ، وتثبت ما تزعزع من ايمانى . وأخذت أفكر فى وسائل خيالية عنيفة لاختطاف هومر ، كما أخذت أفكر فى اللجوء الى المحكمة العليا ، أعرض عليها مظلمتى ، غير أنى وجدت أن هذا كله عبث ضائع ، لأنى سوف لن أحظى بعطف ما ، لا سيما عطف النساء جميعا اللائى سيرميننى بالغيرة والأنانية ، وما أولانى حقا أن أقرّ بأنى أنانية فى حبى له .

وأخذت أساءل نفسى عما اذا كانت مارى الين سوف تجعل من خطط المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب القومية شيئا معقدا كما سوف تعرقل مشروعاتها .

فسألتها : وماذا أنت مقترحة علىّ لأفعله ؟

فأجابت مارى الين : ليس فى مقدورى أن أبذل جهدا ما مفيدا من أجل الاخصاب الصناعى ، وما أنا براغبة فى الحياة ، وما أحب العيش بعد ذلك ، وأملى الذى لا أمل لى غيره هو أن يبقى هومر على حبه لى ، وان ما أخشاه على من سيدة واحدة فحسب يربو على ما أخشاه من مليون امرأة أخرى من نساء العالم أجمع .

— انى لموقن انك عاقلة أريبة يا مارى .

— خبرنى يا ستيف ، هل ستكون فى عونى ؟ ألست بفاعل ذلك ؟

فاستجبت اليها قائلا : سأفعل بكل تأكيد ، ولكن قبل كل شىء انى أعمل فى الحكومة وأنى أقوم على نحو خاص بمهمة مرسومة فى مشروع

التلقيح الصناعى ، وما يجوز لى أبدا أن أتخلى عنهم فى هذا الوقت بالذات ، غير أنى أعدك وعدا صادقا أن لك من الآن فصاعدا أن تعتمدى علىّ الاعتماد كله ، وسوف أجهد فى ألا أرخى العنان لهومر ليجرى على هواه ، وأقر لك أنى كنت اخالها فكرة صائبة فيما لو أجزنا له أن يبقى على صلة بالاطار صلة لا تعدو المعقول . وهو الآن يعانى الحرمان من متع عدة نتيجة تلك القيود التى فرضت عليه فرضا ، ولعلك تعلمين ذلك فوق ما أعلم ، من أجل هذا فانى موقن أن فى مقدور أية فتاة رائعة الحسن والجمال أن تظله برعايتها وعطفها وعنايتها ، وان هذا كله من شأنه أن يحطم كثيرا من تلك القيود ، وما أظن فكرة أخرى تعادل هذه الفكرة صوابا ، وانه الرأى يمليه المنطق فى آثاره وعواقبه .. فماذا ترين ؟

— وهل سأبقى هنا ؟

فوعدتها قائلا : بوسعك أن تبقى هنا طيلة تلك الفترة المحددة ، حسبما يراه الأطباء بعد فحص هومر .

والواقع اننى وعدتها بما لا أستطيع الوفاء به أو المحافظة عليه .

مضت أيام قليلة انقشعت بعدها العاصفة التى أثارتها زوابع فاى سمنرنوت وثوراتها المتتالية على الاطار ، وهذا السيل الجارف من اتهاماتها لها . غير أن الجو بقى مكفهرا بعد أن انعقدت فى الأفق شائعات تبعث على القلق .

وعادت هذه الشائعات تترى وتتحرك بها الألسن فاذا هى تنطلق وتذاع ، بين الناس فى مختلف الجهات . وذلك حين كتبت مجلة ايفننج ستار التى تصدر فى واشنطن على صفحاتها الأولى تقول : « أنها مع حرصها على ما فيه نفع الأسرة ، وعلى الزواج والاستقرار ومع بقائها كما كانت بالأمس حربا على الآثام والرذائل والأمراض ، ترى وقد تقاطر عليها فى

الأيام الأخيرة سيل من الرسائل التى تتناول موضوع آدم أن تنشر ما جاء بها فى ايجاز وتلخيص على قراءها الكثيرين وعلى الرأى العام .

ثم ذكرت المجلة كيف دأبت الحكومة خلال الحرب على أن تحافظ على المواد الاستراتيجية الهامة ثم تشير الى الخطوات السديدة التى خطتها لحماية موارد اليورانيوم الثمينة حرصا منها على ثروة البلاد عندما شرعت فى انتاج القنبلة الذرية وعقبت تقول : ان من الواجب أن نعد آدم نفسه — من بين أثمن المعادن بل أثمن من اليورانيوم ففى حين لا نملك الا آدم واحداً فان لدينا من اليورانيوم الكثير . وتساءلت فى لباقة : ترى هل الحكومة ساهرة على النهوض برسالتها فى اغناء الأجيال المقبلة ؟ أتراها قد حققت شيئا من ذلك ؟ ان السيد آدم وزوجته يقيمان معا . وبديهى أن هذا يلزمهما بأن يكونا معا فى فراش واحد . وانتهت الصحيفة الى القول بأن آدم ذخيرة حيوية وحيدة ذات طاقة محدودة . وان على الحكومة من أجل هذا أن ترعى حقوق الشعب ، بل حقوق الانسانية كلها قبل أن ترعى شئون الزواج والأسرة .

ونشرت صحيفة تايمز هيرالد نفس الحديث غير أنها ساقته فى أسلوب آخر فلقد كتبت فى اليوم التالى مقالا بعنوان كبير : هل هذه خيانة ؟

ومضت التايمز هيرالد تقول : ليس ثمة شىء أولى بعنايتنا الكبرى مما يحمل نذر الخطـــر من الكشف عن صلة هومر بكاتى أو بزوجته ، فالحالان معا تفضحان اهمال الحكومة فى أجلى صورة . وهذه هى الخيانة العظمى بعينها بل هو القضاء على المرافق العامة .

ومضت الصحيفة تشير الى حديث المغوليين اللذين لم تنف موسكو وجودهما والعثور عليهما . وأخذت الصحيفة تسأل عما اذا كان الروس قد بلغوا الدرجات العليا من التطور والرقى فى مشروع التلقيح الصناعى .

ان الظواهر لا تؤيد هذا الادعاء . فاذا كان ذلك حقا فأى السبيلين يؤثر الشيوعيون سلوكها : أيشنونها على الولايات المتحدة حربا مبيـــدة ، أم يقضون القضاء كله على السيد آدم ؟

قد يكون الرد الوجيه الحاسم على هذا السؤال هو وضع السيد آدم فى حراسة عسكرية مشددة ، وأن تأخذ الحكومة فى شن حرب وقائية على الروس قبل أن يفوت الأوان .

وفى اليوم التالى وكان يوم خميس ظهرت الصحف مكتظة برسائل وبرقيات الى رؤساء التحرير . وكانت الكثرة من هذه الرسائل لسيدات تفيض كلها احتجاجا صارخا على زوجة السيد آدم ، كما تضمنت تلك الرسائل والبرقيات الاحتجاج على نواب الأمة بالكونجرس الأمريكى . ومن البديهى أن هومر ومارى الين كانا على علم تام بما يجرى ، ولقـــد أثارهما هـــذا وأقلق بالهما ، فرأيت أن أصـــحبهما فى ذلك اليوم الى ماونت فيرنون علهما يستبدلان بجو المدينة الصاخب جو الريف الهادىء الجميـــل .

وكنت أرمى الى ابعادهما عن المذياع . ولقد قضينا يوما هادئا جميلا وحين عدنا تحدثت الىّ جين من المكتب قائلة :

— أين كنت ؟ لقد جهدت فى أن أتكلم اليك طيلة النهار . لقد غدا الجميع يوجهون اليك طعناتهم من الخلف ، وكأنك هدف لتدريب الرماة . انهم يلقون عليك التبعة كلها ويجعلونك المسئول الأول عما حدث .

— أنا !

فقالت جين تحذرنى — انهم يريدون أن ينتزعوا منك وظيفتك .

— اليهم وظيفتى وفى مقدورهم أن يستردوها .. و ..

ورنوت الى مارى الين وهى تقف الى جوارى وتكاد تمس كتفى ومضت حين تقول : —

« لقد أرسل اليك السيد بمفرى مذكرة عاجلة فيها : أن عليك أن تحضر اجتماع لجنة اعداد الخطط الذى سيعقد غدا فى العاشرة صباحا » .

— حسنا سأكون هناك .

حين انعقدت لجنة اعداد الخطط فى صبيحة اليوم التالى كان أعضاء اللجنة يبدون وكأن على رؤوسهم الطير . اذا نظرت اليهم خيل اليك انهم أعضاء فى مجلس ادارة مصرف قد فرّ صرّافه وهو يحمل كل ما فى الخزينة من أموال ، وراعتنى حين دخلت نظرتهم الىّ وكأنى ذلك الصراف الهارب .

يا للعجب ، ماذا دهى جيلمان وكلوتس (كلتز)فجعلهماينفران منى وكأنهما يخشيان دنسا أو يخافان أن يحسبا شريكىّ ؟ وها هو ذا بمفرى ينظر الىّ شذرا وكأنى متهم عنده بمحاولة الاعتداء على حياته . ثم أخذ يقول لى وقد بدا وجهه منتفخا تعلوه نقط أرجوانية : ما أسعدنا بوجودك بيننا آخر الأمر أيها السيد سميث ما أخالك فى حاجة لأن أخبرك أننا فى أزمة .

قال هـــذا وضباط الاتصال من وزارات الدفاع والداخلية والبحرية والصحة جلوس يشاهدون ومقاعدهم مسندة الى الجدار ، وهم أكثر ما يكونون أهبة واستعدادا للاصغاء وبدوا لى وكأنهم صبية صغار أخذوا يتطلعون الى معركة على الجانب الآخر من الطريق .

وجلس فى ركن من الأركان دانى وليامز سكرتير رئيس الجمهورية عابسا ، وقد كان يعمل معى فى الصحيفة ، واتسمت قسمات وجهه بالجد والصرامة . غير أنى ما كدت التفت اليه حتى غمز باحدى عينيه . ومضى بمفرى يقول : ما أكثر ما كنا نثق بك أيها السيد سميث ثقة لا حد لها ،

وها نحن الآن نرى أننا كنا مخدوعين — أتسمع هذا أيها السيد — أقول لقد أصبحنا نحس بالخديعة .

— ما زلت أرى بقاء هومر الى جانب زوجته بعض الوقت شيئا تمليه الضرورة ، لقد وكلتم اليّ أن أرده الى صحة كاملة ليكون على أهبة البدء فى المشروع ، وهذا هو ما قمت به دون أن أنتقص شيئا ، واذا قال واحد منكم أيها السادة أن فى مقدوره أن يضاعف العناية بهومر ، فانى على أهبة لأن أنزل عن منصبى وأقولها لكم صريحة أيها السادة : اننى عندها سوف أكون سعيدا ، وسعيدا جدا .

وفجأة بدا فى عينى برسى كلوتس ذلك البريق الطائش الذى عهدته فيه وصاح يقول : « لقد وقع ما كنت أنتظره ، ان هذه المهمة الضخمة لا يقوى على حملها جمع من الناس فما بالكم برجل واحد ، انى لأومن بأنكم معى على أن المهمة سوف تزداد ثقلا ، اننا فى حاجة الى تنسيق جديد ، جديد كل الجدة ، وقد أعددت لكم أيها السادة رسما مفصلا بهذا التنسيق الذى أراه . وقبل أن يتكلم أحد الحاضرين نهض واقفا وجذب خيطا ؛ فانبسطت خريطة كانت مطوية فوق الجدار طولها ستة أقدام وأخذ يقول : ان كل شىء سيبقى كما كان هناك فى رأس الخريطة الا هذا الجزء الذى فيه السيد آدم ؛ كما سوف تبقى فى قسم العمليات الهيئة المسئولة عن املاء السياسة الخاصة بالسيد آدم . غير أننا سنزيد أعضاء الهيئة ونضم اليهم مندوب الحكومة أيرضيك هذا أيها العقيد فيلبس سمايث ؟

وكان فيلبس سمايث حينئذ جالسا مسندا مقعده الى الوراء وقد شبك ذراعيه ، وما كاد يسمع اسمه حتى استوى فى مكانه وأخذ يقول :

— نعم ان وزارة الدفاع لتقر هذا . وتعليمات القائد تملى بأن أهم ما تعنى به وزارة الدفاع هو مبدأ السلامة . وما أنا فى حاجة الى أن أثبت

لكم انه لو كان أمر سلامة آدم موكولا الى وزارة الدفاع وحدها من الناحية الحربية ما توالت الكوارث تباعا .

وانبرى كلوتس يقول وهو يشير الى جملة مربعات تميزت فى أسفل الخريطة :

— اننى لم أترك صغيرة أو كبيرة الا حسبت لها حسابا . (ثم أضاف يقول) وان أول شيء سوف تتناوله يد التغيير والتبديل هو السيد سميث طبعا . وأظنه لا يمانع فى ذلك .

قلت : لست أمانع فى شيء .

قال كلوتس : حسنا ولسوف يبقى السيد سميث فى عمله مساعدا خاصا للمدير العام على أن يعاد تشكيل اختصاصه اذ أننا سوف نمده بجملة من المساعدين يتولون عنه العناية بالسيد آدم . فسوف يكون هناك من هو مسئول عن سلامته الشخصية ، كما سوف يكون هناك من يسهر على نظام معيشته ، ومن سيشرف على أوقات راحته ، على حين سوف يعنى رابع بصحته الى غير ذلك .

فقال بمفرى : أراك نابغة ، وما أحسن الرأى الذى ارتأيته .

فقال « برسى » فى زهو : انه مشروع يسير أعرضه لاعادة تنظيم المؤسسة

ونظر الى بمفرى جيبلمان وأخذ يسأل : أتخال هذا يوقف حملات النقد ؟

فأجاب جيبلمان : اخال ذلك ان انفصل آدم عن زوجته .

فقال بمفرى : ماذا ترى أيها السيد سميث ؟

قلت : هذا رأى سيء . فلو أنك قيدت حرية آدم ثانية فسوف يصيبه الاعياء بل لعله يطيش صوابه فانظروا أى مصير تنتظرون .

ولقد كان دانى وليمز قد بقى الى هذا الوقت صامتا ، ثم اذا هو يشارك

فى الحديث فيقول : ألا ترون أنه من الخير أن يصدر تشريع عاجل يلزم آدم بمدنا بالأطفال وهذا أولى من أن نضيع الوقت فى شرح ما تضمنه هذه الخريطة الغامضة .

وأجاب بمفرى قائلا : حقا حقا . هذا ما كنت على وشك أن أقوله لك اذ شعارنا يا سيدى هو الانتاج ثم الانتاج ومزيد من الانتاج .

فسألنى وليمز قائلا : استمع الى يا ستيف : أتؤمن ان آدم على حال تتيح له البدء فى الانتاج ؟

— أظن ذلك غير انى لا أود أن أدلى برأى قبل أن يتبينه الأطباء ويرون صلاحة .

قال بمفرى : هل ترى ان هذا السيل الجارف من النقد اللاذع والحملات الصحفية الشديدة اللهجة سيقف اذا ما بدأنا بتنفيذ التلقيح الصناعى ؟

فرد جيبلمان يقول : أوقن بذلك لا سيما اذا أبعدنا هومر عن زوجته .

قال وليمز : وهذا هو ما رآه فخامة الرئيس وهو يؤمن بأن من الواجب البدء فى الانتاج على عجل اذا كانت صحة آدم قد تحسنت . واخال أنه من الخير أن نفصل ما بين آدم وبين زوجته الآن على أقل تقدير ، حرصا على صحته وحرصا على مصلحة الوطن السياسية ، وانى لأرى أنه لا جدوى من مشروع اعادة التنظيم الذى تناقشونه اذ ليس ثمة ما يوجب ذلك .

كان هذا الرأى بالطبع هو مسك الختام ، أو كان هذا هو ما تخيلت وقوعه على الأقل .

ولقد كان كلوتس كئيبا فطوى خريطته ، يبدو عليه الأسى وكأنه

مخترع صدم لأن آلته ذات الحركة الدائمة عجزت عن أن تعمل . وارتسمت على وجه فيلبس سمايث بسمات المرارة وأخذ يهمهم ويزمجر بكلمات لم أتبينها فى جلاء ، وان كان يبدو أنها موجهة الىّ .

وهكذا قلت : اذا رأى الأطباء صلاح آدم فمن اليسير البدء يوم الاثنين .

وحين عدت الى آدم وجدت مارى الين تعد حقائبها وهى تبكى دون أن يسمع لبكائها صوت ، تنحدر الدموع على خديها وهى تكفكفها بظهر كفها ثم استدارت الىّ تقول :

— ما عليك ان لم تصارحنى بأنه واجب علىّ أن أغادر المكان فلقد أدركت مصيرى بالأمس منذ أن أخبرتك حين بالتليفون عن اجتماع اليوم .

— لا تراعى ، ولنحمد الله على أن الأمر لم يعد هذا .

— ولكن خبرنى على أى شىء قر قرارهم ؟

— لقد قرروا البدء فى التلقيح دون تلبث ، وبدا لهم أن يتم الانفصال بينكما الى حين ، وانى لمؤمن أن هذا من الخير ، فلسوف يصعب عليك حتما البقاء هنا فى الوقت الذى سوف يقوم فيه هومر بأداء مهمته ، أليس ذلك صحيحا يا مارى الين ؟

قالت فى صوت خافت : لا أخال ذلك ، ولا أخال ان الأمر سيبلغ من الحرج الى هذا الحد .

فقلت وأنا أحاول اقناعها : من المؤكد انه سيكون ثمة حرج ، وعلى أية حال فلن يكون هذا الانفصال غير شىء موقت الى حين ، وعندما يبدأ الانتاج ويبلغ مبلغ الرضى والقبول ويستوى على أساس مكين فسوف

يكون من اليسير اتاحة الفرصة لك ولهومر أن تعيشا معا ثانية تحت سقف واحد ، وتستأنفا حياتكما السعيدة .

قالت ماري : أضرع الى الله أن يحقق هذا الأمل .

قلت : وأي شيء يحملك على الشك في أن هذا الأمل لن يتحقق ؟

وانتفضت واقفة منتصبة القامة لا تستشعر خجلا ما في تلك الدموع التي انحدرت وسالت ، ولا في تلك الثورة التي ملكتها وهي مغضبة : انها تلك الفتاة « الاطار » تضيق عليه الخناق من جديد وتحيطه بشباكها .

— تضيق عليه الخناق ، وكيف ؟

— لقد طلبته بالتليفون هذا الصباح من كاليفورنيا ، ترى أيّ شيء تريد منه ، ولِمَ تلح في تضييق الخناق عليه ؟

— وأي شيء تريده من آدم امرأة أخرى غيرها من النساء ؟ انّي لواثق أنها تنشد انجاب ولد منه .

— لا أخال ذلك فالأمر أعمق مما تخال ، واني لخائفة يا ستيف خوفا شديدا يهز كياني كله .

وعدت أذكر تلك النظرة التي ارتسمت على وجه الاطار تلك النظرة الحانقة التي ومضت بها قسمات وجهها وهي تركب الطائرة ، وداخلني شعور غامض يثيره الخوف والشك والظنون ، غير أني لم أشأ أن أفصح عما أحس به وآثرت أن أقول :

— لا تدعي القلق يساورك ويتسلط على نفسك وسأعنى بكل ما يقع ، هل تحدثت مع هومر في شيء من ذلك ؟

— كلا .. لقد كنت معه في حجرة الجلوس عندما طلبته بالتليفون ولقد سألته بعد ذلك مع من كان يتحدث وأخبرني انها « الاطار » وقنعت بأن أقول له : انه لجميل منها أن تسأل عنك .

— وبأى شيء أخبرها ؟ فى أى شيء حدثها ؟

— لقد كان يتمتم ولا يفصح وكأنه خنزير لا تبين كلماته وما أمسكت أذناى غير قوله « نعم أو لا » اذ كان يوقن أنى أنصت اليه .

— وأين هومر الآن ؟

— انه فى المطبخ ينتظر وهو غارق فى تفكيره ممعن فى تأملاته .

فقصدت الى المطبخ ووجدت هومر واقفا يحملق فى قدر كبير من اللبن وكأنه يرقب أن يثب من داخله مخلوق غريب ، فآخذت أذكره بموعد اجتماع لجنة اعداد الخطط فما أعارنى انتباها ما ، وكأننى كنت أتحدث فى شأن عادى تافه لا وزن له عنده .

فقلت له : لقد انتهى الىّ أن كاتى كلمتك بالتليفون اليوم ..

— أجل .

ثم لزم الصمت برهة وعاد يقول : من العسير علىّ يا ستيف أن أنساها . انها تشغل فكرى دوما .

— ولكن مارى الين تحبك حبا عميقا مخلصا ، ولقد غدت فريسة لصراع نفسى عنيف تكبته فى أعماقها ولم تشأ أن تفصح عنه لانسان ما أو تلمح أو تجأر بالشكوى . انها لمثل أعلى للزوجة الوفية النادرة وهى حقا تحمل اسم الزوجة الرائعة العظيمة .

— أعرف ذلك وانها لحقا عظيمة رائعـة ولكن دبرنى بربك ماذا أنا فاعل ، وكاتى لا تبرح مخيلتى ، وقد أفلت منى زمام نفسى ، وما عـاد بوسعى أن أهيمن على مشاعرى .

— لا أخال الحب قد برح بك الى هذا الحد .

ثم أخبرته ان الفحص الطبى الأخير الذى سيقوم به الأطباء سوف

يبدأ فى الغد ، وبعدها يبدأ التلقيح الصناعى يوم الاثنين ، هذا اذا جرت الأمور على ما نحب وفقا للخطة الموضوعة المتفق عليها .

غير أنه ظل أمامى على حاله لا يلقى بالا لما أقول وكأن ذلك لا يعنيه فى قليل أو كثير ولبث مرخيا العنان لخياله .

ورحت أسائل نفسى : « ترى أى شىء قالته له كاتى ! » فلقد غدا فى غيبوبة وكأنه ابتلع مخدرا شديد الأثر فطفق خياله يسبح فى أحلام غريبة وما عاد يحس ما حوله ولا يدرى ما يفعل .

وذهبنا مع مارى الين الى المحطة حيث أركبناها القطار الى نيويورك ودارت بينهما خلال ذلك أحاديث شتى لم تكن تهدف الى غرض جليل واضح وكل ما كان ، انها وعدته أن تكتب اليه يوما بعد يوم لتحدثه أولا فأولا عن أخبار ابنته اليانور ، ولقد وعدها هو الآخر بالرد والسؤال ، وأفصحت هى له عن أملها فى ألا تطول غيبته عنها وعن طفلته وفى أن يجمع الله شملهما من جديد .

وقال لها انه مطمئن الاطمئنان كله الى أن صديقه ستيف سيهىء له زيارة الى بلدته تارى تاون فيما بعد كما أفصحت هى عن أملها فى أن يكون التلقيح الصناعى ناجحا مثمرا نافعا للبشرية ، وفى أن يكون تجربة طيبة تؤتى ثمرتها على عكس ما يظن به . واختتم هومر حديثه بقوله انه يرجو أن يعتاد هذه التجربة ويألفها .

وتحدثت الى مارى الين فأخبرتها أن فى وسعها أن تبتاع ما تشاء من ملابس لفصل الربيع وما عليها الا أن تبعث لى بقائمة الحساب اذ أن المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب قد خصصت من ميزانيتها قدرا من المال يكفى لسداد كل ما تحتاج اليه من نفقات .

ونزلت مارى من القطار وانحنت تودع هومر بقبلة طويلة حارة فى فمه

وتعلقت برقبته واحتضنته ، وكان من اليسير أن أعرف ما يدور بفكرها وأن أدرك انها قد شعرت بأنها تفارقه الى الأبد وانها لن تراه بعد ذلك .

وحين عدت من الفندق اتصلت بتومى طومسن وقد وعدنى بأن يحضر الى واشنطن صباح الغد وهو يقول :

— هناك مفاجأة لك يا ستيف .. مفاجأة ستعلمها غدا .

وأخذت ألعب مع هومر الورق الى منتصف الليل ، وبعدها استمعنا الى الأنباء الأخيرة وفى البداية دوى فى سمعنا خبر مثير وهو أن الأطباء راغبون فى أن يبدأوا تجربة التلقيح الصناعى يوم الاثنين وانهم لما يوفقوا بعد الى اختيار الأم الأولى التى ستحظى بأول تلقيح صناعى والتى هيأتها الأقدار لتحمل من جديد علم الانسانية عاليا وتسير به قدما الى الأمام .



الفصل التاسع

في صبيحة اليوم التالى حضر الطبيب طومسن ولم يكن وحده بلكانت في صحبته مارج وماريه أوستنهايمر ، كما جاء بوجى رئيس التحرير ، وقد قال لى وهو يدخل : ليست هذه زيارة من الزيارات المألوفة بل هى لجنة من الزوار ، ترى هل يتسع المكان لنا جميعا ؟

— على كل منكم أن يبحث له عن غرفة .

وما قلت هذا حتى نظرت الى مارج أقول : أما أنت يا عزيزتى فلا أخالك في حاجة الى أن تبحثى عن غرفة خاصة بك .

عندئذ قالت مارج وهى تكاد تذوب رقة : لا أخال ذلك . ألا تحب أنت أيضا أيها الحبيب أن أشاركك غرفتك .

— حدثينى يا مارج مالى أراك هكذا رقيقة لطيفة ؟

— لا شيء يا عزيزى . ألست سعيدا برؤيتى ؟

— لا شك ، غير انك عودتنى رقة لا تقاس الى رقتك هذه ، اللهم الا اذا كنت تنشدين شيئا أو أنك جئت أمرا يسيىء .

عند هذا أنكرت علىّ مارية قولى ووصمتنى بالمبالغة فى الشك .

وجرى الحديث بيننا الى أن قطعه علينا بوجى وهو يقول : أومن أن ما حدث لآدم يدل على سوء النظام الحكومى ، فلقد تكبدت الدولة نفقات طائلة لعل أيسرها هذا الجناح الفخم الذى يقيم فيه وما ينزل به معه على سعته غير أشخاص ثلاثة هذا اذا عددنا جين التى كانت تقضى فيه بعض الليالى بين الحين والحين .

فقلت له : استمع الى يا بوجى . لو لم يكن هــذا الجناح للتلقيح الصناعى لجعلناه لدراسة قوى الرجال الجنسية .

عندئذ اكفهر وجه هومر ورأيت تومى لا ينفك يراقبه دون أن يقول شيئا . غير أنى لم أقلق لهذا ، فلقد أدركت أن هومر كان رضى النفس رخى البال ، وان همومه توشك أن تكون قد فارقته ، فلقد أخذ يبادلنا الحديث .

وفى الحادية عشرة خرجت أنا وتومى نصحب هومر الى وزارة الصحة لفحصه وكان هناك تسعة من الأطباء أو عشرة يمثلون بجمعهم الادارات كلها التى كانت تعنى بهذا المخلوق التعس « هومر » . ولقد بقى الأطباء يفحصونه ما يقرب من ساعة ثم اختلوا فى اجتماع للتشاور دقائق معدودات عاد بعدها تومى الىّ يقول :

— لقد تبينوا أن هومر يصلح ، وسيصدر كبير الأطباء نشرة رسمية عن ذلك ، غير أن أهم ما فى الأمــر هو انكم لن تستطيعوا الافادة منه الا افادة محدودة .

فقلت والعجب يملكنى : ماذا تعنى بقولك الا افادة محدودة ؟

— اذا ظلت الأمور كلها تجرى وفق ما يرام استطعنا جعل هومر يلقح امرأتين أو ثلاثا كل أسبوع فاذا ما زاد وزنه وتحسنت صحته كان من اليسير أن نزيد هذا العدد .

وكدت أصرخ وعدوت فزعا الى التليفون وكأنى من صغار المحررين الذين ما يزالون يتدربون أو كأنى شبل من أشبال الصحافة قد غمره الفرح حين تحقق له أول سبق صحفى وتحدثت الى بمفرى وأنهيت اليه الخبر ، ثم اتصلت بدانى وليمز فى البيت الأبيض ، وكان كما تبينت فى حيرة وارتباك وكأنه طائر سجين فى قفص اذ وجدته لا يفهم عنى ما أريد حق الفهم ، الأمر

الذى جعلنى أعيد عليه الكلام مرات وآكرر له كل ما قاله لى تومى . ثم سألنى : اخالك تحس أن لا وجود لوظيفتك الآن .

فقلت : انى أهب حياتى التى ليس لى غيرها فداء لبلادى ، ولتصدقنى أيها الأخ اننى قد وهبتها لها حقا .

— آه ، كلا انك لن تفعل ذلك ولسوف لا نرضاها لك كما أننا سوف نرضى عنك حين يصل التلقيح الصناعى الى النهج النافذ الشائع .

فقلت أدافع عن نفسى : ليس هذا من العدل فى شىء يا دانى . لقد رضيت أن أهيىء لآدم ظروفا تتيح له الانتاج المثمر على أن يكون لى بعد ذلك الحق كل الحق فى أن أستمتع بحياتى الخاصة أصرفها كيف أشـــاء .

— فى مقدورى أن ألقى عليك محاضرة كاملة عن الواجب الوطنى غير انى أومن أنك فى غنى عن مثلها ، لا سيما وانك تعلم أن مهمتك لا تزال قائمة ولما تنته بعد . هلا فكرت فى حياتك المقبلة ؟ أتريد أن تبقى زوجتك بلا أطفال ، أمن أجل هذا الشأن تلزم نفسك وتلزمها أن تعيش معك دون انجاب . أتقبل أن تخرج من هذه الحياة هكذا صفر اليدين دون أن يحمل ابن لك من بعدك .. (وتلبث قليلا ثم قال) اسم استيفن ديكاتير سميث الثانى ، ودون أن يخلد ذكرك ؟

فقلت مذعنا : حسنا يا دانى ، غير أنه حين يصبح المشروع فى مرحلة المنهج النافذ الشائع تكون مهمتى قد انتهت .

— وحين تتم الأشياء كلها على خير وجه وتبلغ أهدافها بمعونتك لنا فى هذا العمل فما من شك فى أن رئيس الجمهورية لن يتخلف عن منحك والانعام عليك بوسام التقدير والجدارة لاخلاصك لوظيفتك .

وعندئذ ذكرت الكولونيل فيلبس سمايث فسألت دانى عن جدوى ذلك

الوسام — وسام دانى — ذى الطرف المدبب ، غير أن تومى جذبنى بيده من كتفى وهو يقول : ان السيارة فى الانتظار وانه هو وهومر يتعجلاننى فى الخروج .

وعلى ذلك ذهبنا الى الحفل . وقد يكون من الخير أن أصوره لكم : لم نحس أنه حفل لا حين بدأ ولا حين انتهى ، ولكننا أحسسنا ذلك حين غادرناه . وتفسير ذلك انه من العسير أن تحشد نفرا كبيرا من المدعوين فى عدد كبير من الغرف ثم تستطيع أن تقدم لهم الشراب فى سخاء كبير وبكميات وفيرة اللهم الا اذا كان المدعوون يعون سببا وجيها لهذه الدعوة وإلا يحسون انها زمرة غير متجانسة . على أن الحفل كانت تحفز اليه مناسبة هامة ، وهى البدء فى التلقيح الصناعى واخراجه الى حيز التنفيذ . وقبل أن نغادر الحفل كان الكثيرون يرقبون الحكم النهائى والقرار الأخير . وفى الحق لقد كنت كلما عدت بذاكرتى الى هذا القرار الجماعى يبدو لى أنه شىء محال . ففى ذلك اليوم المشهود الذى أخذ فيه هومر يرسل أنفاسه الأخيرة مثله مثل السمكة التى بقيت طويلا خارج الماء ، أخذ اليأس يدب الى قلوبنا واذا أيدينا تمسك صدورنا من أن يمزقها الهم والقنوط ، غير أن القرار بعد ذلك ظل يحظى بموافقة الجميع على أنه الوسيلة الصالحة لتحقيق الهدف المرجو من التلقيح الصناعى .

وراح كل منا يتلطف الى هومر وكأنه قد ربح الجائزة الأولى . وبدا هومر رضى النفس بهذه المعاملة الطيبة ، وما كان لنا أن نصفه فنقول انه كان مزهوا فخورا حين جلس عالى الصدر ، بل لقد كان بطنه مشدودا على عادته ، وقد بقى أشبه بالعليل وقد تركه جمهرة من الأطباء لساعتهم بعد فحص وتشخيص دقيقين ، غير أنه كان مطمئنا الاطمئنان كله بعد أن عرف منهم ان الأمل كبير فى أن يحيا بقية عمره سليما معافى ، ولكنه على

الرغم من ذلك بقى قريبا من التليفون وكلما دق جرسه اندفع ليرد على المتحدث .

وكنت قد اتخذت منذ أمد طويل الوسائل الكفيلة بمراقبة أحاديثه فى التليفون وأعددت من أجل ذلك ثبتا خاصا يجمع الأشخاص الذين يتاح لهم أن يتصلوا بهومر عن غير واسطة ، كما أعددت ثبتا آخر يجمع أسماء الذين يختلفون الى المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب ، وأخيرا دق جرس التليفون فرفع هومر هذه المرة أيضا السماعة ولم يطلب الى كما لم يطلب الى جين أو الى بوجى أو الى أى فرد آخر من الحاضرين الرد أو الحديث . وبدا وكأنه يحتضن التليفون ، فدلفت الى جواره وعبثا حاولت أن أسمع منه غير كلمتى لا ونعم ثم همهمة وزفيرا ولا أستبين منهما شيئا .

وحين انتهى من حديثه هبطت الى عاملة التليفون وسألتها :

— الى من كان يتحدث هومر الآن ؟ ومن ذا الذى أباح له هـذا الاتصال ؟

وقالت الفتاة فى عجب : انه السيد آدم نفسه ونحن لا نمنعه من أن يتحدث فى التليفون لا سيما اذا كانت المتحدثة هى الآنسة كاتى .

— ومنذ أى وقت جرت الأحاديث بينهما متصلة فى التليفون ؟

— ان الآنسة كاتى تتصل به كلما جاءت الى واشنطن .

فشكرتها وصعدت الى الجناح ، وما كانت ثمة نتيجة ترجى لأى اجراء اتخذه وما كنت راغبا فى أن أثير هومر ، من أجل ذلك آثرت أن أدع الأمور كما هى . ولقد بدا لى أن هومر سوف يشغل خلال أيام قلائل شغلا كبيرا ليغمر الكرة الأرضية بأبنائه ولن تعود كاتى نفسها تعنيه فى كثير أو قليل .

كنت على يقين من أن بوجى لم يترك أثراً طيبا فى نفس هومر ؟ ففى عصر ذلك اليوم وكنا جميعا جلوسا تعنى بشئوننا مضيفتنا مارج ، راح تومى طومسون يحدثنا عن تجاربه ، وما يأمله من الدواء العجيب الذى كشف عنه ، وأكد انه يشفى بويضة الذكر بهذا العقار الجديد الذى أعده من بعض الأعشاب البحرية ونحوها . وان كان لم يأت بعد بنتائج طيبة ، وقد أحدث هذا أثرا فى الذين جربوه عن مرض وغير مرض ، غير أنه لم يقع أن حملت زوجة بعد تناوله ، ولهذا فقد بدأ يعيد النظر الى التركيب من جديد ، ويخضعه لتجارب أخرى .

فقال هومر : ليت هذا الدواء يثمر ، ولتتخيلنى عندها حرا أفعل ما أشاء ، أتظننى سأعود مثل غيرى من الناس يوما من الأيام ؟

عندها قال بوجى : لا تكن كبير الأمل ، وانى على هذا لا أرى معنى لتعذيب هومر فى هذا المجال خاصة وانه قد راح ضحية سوء الاشراف وسوء المراقبة .

وأشار الى تومى باصبعه النحيل وقال : انك ترهق نفسك فى صراع مع القدر ، ومن الخير أن تأخذ هذه الفتاة ، وتذهب الى مكان خال ثم لتمض معها وقتا طيبا .. (قال ذلك وهو يشير الى مارية ثم استرسل يقول) هناك تنسى كل شىء عن الجنس البشرى .. تنسى أن العالم الذى نعيش فيه قد أصابه البلى والوهن ، والشيخوخة ، ولقد قضت ارادة الله أن يفنى وأن يقضى عليه . وحين انفجرت القنبلة الذرية فى ولاية المسيسبى كان من اليسير أن ينجو العالم ويسطع نجمه من جديد .. ولكن الله أراد له أن يذهب بددا ويفنى فناء قطعة من الفحم .

وخلال هذا كانت مارية تجلس على مسند المقعد الذى ارتمى عليه

تومى ، وانتظرت هنيهة تسمع اجابة هذا الأخير على بوجى ، وحين لم تجد منه الا الصمت نظرت ، هى ، الى بوجى وقالت :

— استمع الىّ سأخبرك الآن عن السبب الذى يدعو تومى الى القيام بمحاولاته . لماذا يعمل هو ؟ ولماذا أعمل أنا أيضا ؟ اننا نحارب من أجل ما هو أبعد من حياتنا .. اننا نكافح من أجل بقائنا ، من أجل ما يربطنا بالماضى وبالمستقبل .. الأطفال هم صلة الانسان بالخلود ، وهم السمة الوحيدة لبقائه ، ومن أجل ذلك نريد لهذا العالم أن يزخر بالأطفال ..

وهز بوجى راسه فى انكار واشمئزاز وقال : أنت تنظرين الى الأمر نظرة قصيرة ، أما أنا فأنظر اليه نظرة طويلة وعميقة ، هل تعتقدين أن الحياة لنا وحدنا ؟ ان الكوكب الذى نعيش على ظهره ، ليس الا واحدا من ملايين الكواكب التى تدور فى الفضاء ، وبينها مسافات طويلة تعد بملايين السنين الضوئية ، ولابد أن بعض هذه الأجرام السماوية تحمل مخلوقات يعتقد أن لها أرواحا ، وأن بينها وبين الله صلة ، وانه لمن الانانية أن يظن غير ذلك .

وأخذت مارية تناقش بوجى وتقول : أنا معك فى هذا الرأى على انه قد تكون هناك حياة أخرى من نوع ما على ظهر بعض الكواكب ، أو الأجرام السماوية ، ولكنك لن تستطيع أن تقول عن هذه الأحياء انها بشر وانها تحيا حياة البشر .

وأجاب بوجى : ان هذه الحياة رهن بالمعنى الذى نقصده من كلمة بشر . فقد أتخيل مخلوقا بشريا على كوكب آخر كالكرة الأرضية مثلا ، له أربعة رؤوس وثمانى أذرع ولو رأيناه على هذه الصورة لعددناه وحشا لأن صورته تبدو لنا غير مألوفة ، ولكن قدرى كيف يكون أسعد حالا منا نحن الذين ليس لنا الا راس واحد وذراعان اثنتان ، فهذا المخلوق قد

يستخدم رأسا للرياضــة وثانيا للأدب ، وثالثا للفلسفة وقد يكون الرابع للشر . فكرى وأنعمى الفكر فى مدى ما يثيره هذا الانسان من مزاح ..

قالت مارج انها لتؤمن أن ببوجى خبلا ثم وانه قد بدا مخيفا يثير فى نفسها الرعب ، ولكن هومر كان ينصت وهو مأخوذ مفتون وقال :

— لو صدق مثل هذا الرأى ، وتحقق وجود مثل هذا الانسان ، فلن تسوء حالى كثيرا اذا أخفقت فى أداء مهمتى . ياليت هذا الرأى كان صحيحا ! هل يتحقق ؟

فرد بوجى قائلا : على العكس . وفى رأيى انه سوف لا يتبع اخفاقك أو نجاحك شىء ، وستظل الحال كما هى عليه ..

فقالت مارج : لا تنصت اليه يا هومر ، انى لأرى انه قد غدا عجوزا خَــرِفاً .

قال بوجى : على النقيض مما ترين ، فان ما يجعلنى أستمسك بعقلى وأستمسك بايمانى بالله أن العالم الذى نعيش فيه لا يأتى الا فى الطبقــة الثالثة ، وان الله لا يعنى به كثيرا . انه كالثمار التى أهملت ولم يقطفها أحد فبقيت فترة طويلة من الزمن على الشجر فأصابها العطب ، ولعل الله قد سئم تدبير حياة هذا العالم وتنظيم أموره فآثر القضاء عليه ليستريح ويريح الناس من مكابدة الحياة فيه .

وسأله هومر فى لهجة امرأة تسأل معلمّها الهندوسى : اذن هل تعتقد أن لا جدوى من التلقيح الصناعى ؟

— أرى ذلك — وأرى أنك لست الا صدفة فى التطور التاريخى ، صدفة لن يكون لها أى أثر ، كان لزاما الا تكون فى المنجم عندما وقع انفجار الميسيسبى ....

وكان يسيرا على أن أرى هومر وقد ملكه التأثر بهذا الحديث ، عندئذ لم أملك زمام نفسى فانبريت أقول :

— استمع الى يابوجى، انى أسألك ألا تلقى بمثل هذه الأفكار السخيفة فى ذهن هومر . حاول أن تشجعه ، وتبعث فيه الثقة لأداء رسالته لشىء واحد هو أنك تسلك طريقا من شأنه أن يبعث اليأس فى نفوس الناس ، ولعل ذلك راجع الى أنك رجل قد بلغت من العمر أرذله ، فأصبح من المحال عليك انجاب أطفال ، وانى لأرجوك ألا تثبط همة كل شاب أو رجل حين تلقاه بمثل هذا القول .

فأجاب بوجى وهو يرسل الكلمات من أنفه فى امتعاض :

— اننى لا أومن بهذه الرسالة وأرى أن القدر يأبى لها أن تتم .

قلت : سوف يبدأ التلقيح الصناعى يوم الأثنين حيث يبدأ كل شىء من جديد ....

وبعد ساعات قليلة جاء جيبلمان وكلوتس لزيارتنا ، وقد بدا عليهما القلق والاضطراب ، وكنت أظن أنهما قد حضرا لمشاركتنا بهجة الاحتفال وقلت مخاطبا مارج :

— أعدى لكل منهما كأسا ، وأستحلفك بالله يا عزيزتى الا غيرت الزجاجة التى تصبين منها الخمر ، فقد كان لكل كأس تجرعتها بعد ظهر اليوم طعم غريب !

وسألت مارج : أحقا يا عزيزى ؟ كم أنا آسفة . ربما كان ذلك لأنى لا أجيد مزج الخمور بعضها ببعض ، وانى لأعدك اننى سوف أبذل ما فى وسعى ..

أومأ جيبلمان الى وانتحى بى ركنا ثم قال : اليك خبرا سيئا : ان الأعضاء ثائرون ..

قلت : أى شيء وقع ؟

قال كلوتس : لقد جاء الأمر بغتة ، أعنى ان الشروع فجأة فى استخدام آدم فى سبيل الانتاج قد جاء بصراحة فى وقت نحن فيه على غير استعداد .

قلت له : لست أجد ما يبرر ألا تكونوا قد أخذتم للأمر عدته ، فكل الأسباب ممهدة الآن ؛ وهو فى أحسن حال وسأصحبه الى المعمل صباح الاثنين وفى مساء اليوم نفسه ستكون ثمة أنثى — جديرة بالشرف الذى ستناله — قد حملت ..

قال كلوتس : وهذه هى المعضلة . كيف تنتقى هذه الأنثى الجديرة بذلك الشرف ؟

— لا أخالك تقصد أنك سوف تجد صعوبة ما فى اختيار أنثى واحدة فى الولايات المتحدة من بين أولئك النساء اللاتى لم يرغبن من قبل فى أن يصبحن أمهات .. لا أخالك تمزح هذا المزاح ؟

أخرج كلوتس قلما من جيبه وورقة وقال : بل ان الأمر أعقد مما بينت انه لأصعب مما تخاله . فلقد كان واجبا على هيئة مندوبى الحكومة أن تقرر السياسة العليا التى يلزمنا العمل بها عند اختيار النساء ، وعلى أية صورة ستكون المرأة التى سنختارها لتكون الأم الأولى فى التلقيح الصناعى ، فستعلو أصوات سائر النساء محتجة ، سيكون لذلك صدى سياسى ، أى صدى ..

فعقبت قائلا وأنا أنظر الى هومر وكان يصغى غير مبال :

— هذا جنون مطبق .

قال جيبلمان : ان الجنون فيما تقول يا صاحبى ؛ اليك ما يحيط بالموضوع من ظروف ، خذ أولها وأقلها شأنا ، العامل الجغرافى ، فكل

ولاية من الولايات تطلب آن تكون السابقة الى النسل ، وأن يكون لهـا الشرف فى تقديم الأم الأولى فى مشروع التلقيح الصناعى .

قلت : ليس هذا بالأمر العويص المشكل ، وقدرة هومر وان بدت الآن محدودة فمن اليسير أن تمثل كل ولاية فى المجمـوعة الأولى من الأمهات المنتخبات .

ومر جيبلمان بيديه الملوثتين خلال شعره الطويل الذى رجله وسواه بالزيت ثم قال فى اصرار :

هذا أيسر ما فى الموضوع كله كما قلت ، ثم تتعقد المسائل وتتشابك من حيث الجنس والدين والمركز الاجتماعى والاقتصادى . وستظل مشكلة الزنوج دائما مثارا للشغب والقلق ، هل تعرف أى شىء يعمل أعضاء الشيوخ الديموقراطيون فى الجنوب ؟ انهم يضعون خطة لئـلا يعترفوا بقانونية التلقيح الصناعى ان لم يؤخذ بسياسة صالح البيض كلهم ضـد السود . على حين تصرخ صحافة السود منددة بأننا نسعى الى القضاء على جنسهم وافنائه من الوجود ان لم يؤخذ بسياسة عادلة خالية من التعصب والتحيز . وخذ الدين مثلا فانا تجد أن بعض الناس يظنون أن هـذه فرصة رائعة للقضاء على الكاثوليك أو اليهود ومن الطبيعى أن اليهود والكاثوليك هم الآخرون يخشون هذا ، وهم لذلك يطالبون بضمانات من شأنها أن تحفظ عليهم حياتهم من الفناء والانقراض .

ولاحظت أن بوجى قـد انضم هو ومارج الى جماعتنا الصغيرة وان ظل جامدا لا أثر لعاطفة فيه ، غير أنى أدركت مع ذلك انه كان يسخر منا فى قرارة نفسه .

وقلت : يا له من سخف ! ان واجبنا الأول هو الأخذ فى العمل على

الفور . ألا ترى الى مارج بيننا ؟ انك تراها مثل كثير غيرها من النساء وكل ما تتمناه هو أن تعود الأمور الى ما كانت عليه ، أليس ذلك يا عزيزتى ؟

قالت مارج وهى تبتسم لهومر : يقينا اننى أتوق الى انجاب طفل ..

وقال جيبلمان جادا الجد كله : غير ممكن أن يقع هذا اذا كنت تقصدين اليه ، ولو انه وقع فلسوف يتهم الناس المسئولين فى الادارة العامة للمشروع ، بالمحاباة وممالأة الأهل والأقارب .

وهنا أخذ قلم كلوتس من جديد فى نشاطه بينما بدا يقول : ليت الأمر يقف عند هذا الحد ، فهذه ليست الا بداية الحملة .. ولنفرض انه قد وقع اختيارنا على زوجة مقبولة الجمال ، قوية الخلق ، عندها ستهب غير المتزوجات يعترضن ويقلن : انها نالت فرصتها من قبل ، وان مثل هذا يجب أن يكون من نصيب المتزوجات اللاتى لم تسنح لهن الفرصة من قبل . وهناك أيضا زوجات المحاربين اللاتى سيطالبن بأن يتقدمن غيرهن . وهو رأى وجيه يوجب عناية كبيرة خاصة وقد حان موعد الانتخابات ، وهناك أيضا مجندات الجيش والبحرية والطيران : ترى من أحق منهن بالسبق والتفضيل ؟ أزوجات المحاربين أو المجندات أنفسهن ؟ لا ياعزيزى ، ان المشكلة بحق من أعقد المشاكل التى تواجهها المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب .

ثم راح كلوتس يحملق فى وجوهنا وقد بدا عليه أنه لم يعد بوسعه أن يضيف جديدا . عندها تطوع جيبلمان باستئناف ذلك التحليل البديع قائلا : وعندما علمت الحكومة انه قد تم الاتفاق على البدء بالتلقيح الصناعى يوم الاثنين ، رفعت الحكومة احتجاجها للرئيس ، لأنها لم تحط علما بمجريات الأمور وهى الآن تقوم بمحادثات — على جانب كبير من

التكتم — تتناول الطريقة التى يقتسم بها السيد هومر ، والمسألة بعد هذا شائكة اذا ما نظر الى وجود هذين المغوليين ..

وتدخل هومر فى الحديث قائلا : فى استحياء : هل لى أن أقول شيئا ؟..

ولكن حماسة جيبلمان ألهته عن أن يستمع اليه ، واستأنف حديثه قائلا : وخلاصة المسألة من الناحية الدولية أن الحكومة تحرص على ألا تظهر بمظهر الضنينة على روسيا ، واذا ما صحت قصة المغوليين فهى على استعداد لأن يشاطرنا الروس نصيبا من آدم . وما من أحد يعلم ان كانت قصة ذينك المغوليين صحيحة أم لا . وما تريد الحكومة أن تتورط فى برنامج قد يقيد سياستها المستقبلة من قبل أن تعرف الجانب الحق من تلك الشائعة وقد أمرتنا بألا تتعجل .

وقطع هومر الحديث قائلا : لحظة من فضلكم لقد كنت على وشك أن أقول : ...

وقطع عليه كلوتس كلامه قائلا : أجل أخشى أن نكون الآن فى ظروف حرجة واننا أخذنا على غرة . أظننا فى حاجة الى خبراء لوضع توصيات تقدم الى لجنة اعداد الخطط ، التى تقوم بصياغتها فى مقترحات ترفع الى لجنة ادارية فرعية ، تلخصها فى قرارات ليوافق عليها الرئيس ..

وصاح هومر قائلا : لحظة من فضلك ..

وأشهد أنها كانت المرة الأولى فى حياتى وحياة الحاضرين جميعا التى تسمع فيها آدم يصيح على هذه الصورة التى روعتنا جميعا ، ودفعتنا الى أن نلوذ بالصمت المطبق ، غير أن هومر لم يكن يجد فى نفسه القدرة على الحديث . عدة ثوان واذا هو يستمد الشجاعة من الأثر العنيف الغريب الذى ران على وجوهنا ، لهذا فقد مد ذقنه الى الأمام أبعد ما يمكنه مدها ، وقال متسائلا :

ألم يخطر ببال أحد منكم يا سادة أنه قد يعن لى شىء أقوله ؟ أليس لى حق فى ذلك ؟ وما من شك فى أنكم على علم تام بأنى — أنا لا غيرى — الذى سأقوم بالتنفيذ ، ولا اخالكم تجهلون ذلك ؟

ولم ينبس أحد ببنت شفة ، على حين تساءل هومر مطالبا :

— أليس لى الحق فى اختيار عرائس ؟ لم لا يكون لى هذا الحق ؟

قال كلوتس محتجا : انك لا تستطيع أن تسميهن عرائس . فثمة شك فى أنك سوف ترى واحدة منهن أبدا أو تلقاها ؟

قال هومر : سوف يكون الأطفال أطفالى وأعتقد أن من حقى أن أقول انه فى وسعى أن أعرف أمهاتهم .

واقترح جيبلمان فى رقة قائلا : لعل سيدة بعينها دون غيرها هى التى تشغل بال السيد هومر .

وقال هومر : وما يضيرنى أن أفعل ؟

ولاحت على أسارير وجهه ثورة عارمة من الغضب الذى يدفع بصاحبه الى العراك ، والقتال ومضى يقول : أراك تجرؤ فتقف هنا تتحدث علنا عن تقطيعى اربا اربا وتمزيقى وكأنى ضريبة أرباح تستقطع من الدخل جزءا فجزءا ، وما دمت سأضحى بنفسى فلم لا يكون لى رأى وان هان فى التضحية وفق هواى ومشيئتى ؟ .

وقالت مارج وهى تندفع أمامى : أرى أن يمنح هومر حقه كاملا فى اختيار أنثاه الأولى وفق ما يمليه هواه كما يقول .

قلت : كفى عن التدخل ، فهذا أمر من أمور الدولة الرسمية ، وعلى أية حال فقد تبين لى الآن انك اعتزمت خيانتى ..

رفع كلوتس يده ، وراح يقول متوسلا : كف بالله عن هذا الكلام يا سيد آدم . ان مشروع اعادة الاخصاب القومى — وانى هنا أتكلم نيابة

عن السيد بمفرى ولجنة اعداد الخطط — أقول ان المشروع لا يبيح لك أن تنصب من نفسك طاغية تملى ارادتك كما تشاء ، فاذا كان لك أنت حق اختيار الأمهات فلا معنى اذن لبقاء المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب ، ولو أن لك هذا الحق لجرت الأمور على غير ما ينشده الصالح القومى .

وقال جيبلمان بعد أن حك ذقنه مفكرا : أيها السادة ، أظننى قد وفقت الى حل . لم لا نختار الأم الأولى للمشروع بالاقتراع كما يختار الجنود للخدمة العسكرية ؟

قال كلوتس مؤيدا رأيه : لعمرى انها لفكرة صائبة ، غير أن علينا أن نكتب أسماء الراغبات فى الحمل ، وهذا وحده يستوعب وقتا طويلا . ثم اننا اذا أبحنا لكل راغبة فى الأمومة أن تسجل اسمها فأخشى ما أخشاه أن تكون المرأة الأولى التى سيقع عليها الاختيار مثار طعن من الجميع فكيف يمكن بالله أن تجتاز مؤسستنا هذه الورطة ؟

قال جيبلمان : اذن فلندع هذه الأمانة فى عنق الكونجرس ، أعنى أن يرشح كل نائب وكل شيخ امرأتين ، ومن ثم نعطى لكل منهن رقما ، وما على رئيس الجمهورية الا أن ينتقى رقما من هذه الأرقام .

وقال كلوتس مؤمنا : ما أبدعه من صنع ، انه كفيل بأن يحل المشكلة ولكن ماذا عن الخطط الدولية اذا كنا قد وضعنا بعضا منها ؟

وقال جيبلمان : آه سوف نترك ذلك للأمم المتحدة ، وان تكن وزارة الخارجية لا ترغب فى أن تمضى الأمور الى هذا المدى البعيد ..

وقال كلوتس : نحمد الله على أن هذا الأمر قد انتهى فيه الى قرار ووجد الحل المناسب له .

وقام هومر صامتا شاحب الوجه ، وخرج من الحجرة وسار فى البهو متجها الى حجرة نومه ، وأغلق الباب وراءه . ولقد ساءنى ما كان منا مع

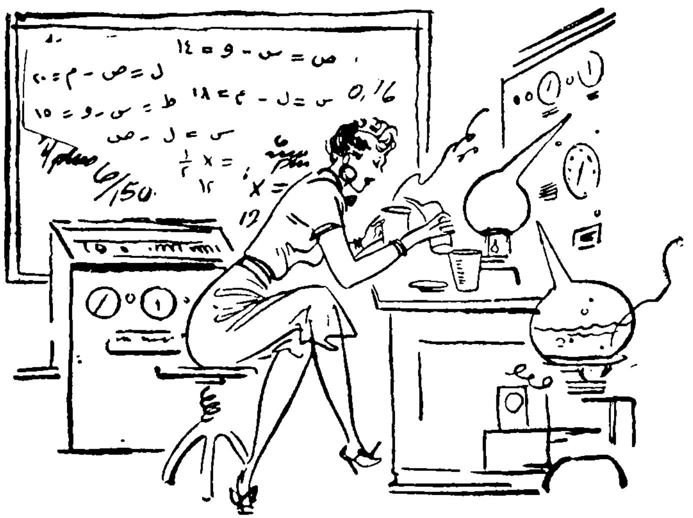
هومر غير أنه كان جليا أن واجبنا يقتضينا ألا نبيح له المشاركة فى الأمر على هذا الوجه ما دمنا نحقق له أغراضه تحقيقا يكفل له الخير كله .

وفى مساء اليوم نفسه جاء مندوب من مكتب المباحث الى الطابق الخامس من الفندق ومعه تقرير شامل عن « الاطار » كنت قد طلبته منه يوم أن بارحت كاتى واشنطون الى لوس انجلوس .

ومن المفروض على رجال الصحافة ألا يدهشوا من الأشياء التى تثير الدهشة غير أنهم قلما يفعلون ، فهم يقفون على أن الكبار الطاعنين فى السن ، الذين يتظاهرون بالرحمة والشفقة يغازلون العذارى ، بل قد يغررون بهن أحيانا ، كما يقفون على أن القسس فى الكنيسة يدسون السم لزوجاتهم فى طعام العشاء ، وأن احدى السيدات المعوزات ، التى كانت تعيش على هبات شهرية من هيئة الاغاثة تمتلك آلاف الدولارات وتخفيها فى حشيتها التى تنام عليها ، وأن القائد الذى يتظاهر بالشجاعة فى بيته ليس الا رعديدا جبانا حين يدعى الى الحرب والقتال فى المعركة . من أجل ذلك كان حريا برجال الصحافة أن يطرحوا جانبا دهشتهم ، فلا تثير هذه المخازى والفضائح مشاعرهم غير أنهم لا يفعلون أبدا .. وهكذا تملكتنى الدهشة وأخذت عندما عرفت قصة « الاطار » غير أنى تصفحت سجل حياتها دون أن أتروى أو أنعم الفكر ، فكنت كالقارىء العجل فى مكتبة عامة لا يكاد يتلقف كتابا من رفه حتى يأخذ فى قراءة جملة من هنا وجملة من هناك ، يقرأ فقرة ويترك فقرات فى غير نظام ، ويمر على فصول طويلة مرور الكرام ، ثم يلقى بالكتاب جانبا بعد فترة وجيزة ويتهيأ للانصراف ..

أقول لقد دهشت حقا عند قراءتى للتقرير المقدم لى عن « الاطار » فلم أكن أعرف عنها شيئا أبدا ، كما كنت أجهل عمرها ، وكنت قد قدرته بين الخامسة والعشرين ، والستة والعشرين ، على حين أنها كانت

فى الواقع تناهز الحادية والثلاثين ، كما لم أكن أعرف من قبل أنها اجتازت امتحان مدرستها الثانوية فى شيكاغو بدرجة الشرف ، وان كنت أعلم أن أباها هو الأستاذ روب العالم المعروف والحجّة التّبت والثقة المعتمد عليه فى علم الآثار ، وبعد أن نالت اجازة البكالوريوس من شيكاغو، رحلت الى نيويورك حيث احترفت الرقص وفى نيويورك كانت تعيش حياة غريبة مزدوجة فبينما كانت ترقص فى تلك المدينة التى تخلب لب السائحين ، كانت تعد نفسها لنيل شهادة الماجستير فى جامعة كولومبيا .



وفى عام ١٩٤٠ ذهبت الى هوليود ، وهناك تمت خطبتها الى الدكتور « الفرد ماجرودر » العالم الأخصائى فى شئون الذرة غير أنه لقى حتفه فى انفجار المسيسيبى .

وقد عملت « الاطار » خلال عامين من سنى الحرب مع خطيبها وأبيها فى خدمة الحكومة فيما يتصل بشئون الذرة ، وبانتهاء الحرب عادت ثانية الى هوليود وكانت تزور بورفيل بين الحين والحين وقد كتبت بضعة

مؤلفات علمية عن الانفصال النووى كما كانت تعمل — كما ذكرت — سكرتيرة للأستاذ العلامة فلكس پل فى مشروع مانهاتان . ولقد جاء فى نهاية التقرير أن اخلاصها يبلغ حد التفانى وأن وطنيتها فوق الشبهات .

هذه اذن هى « الاطار » . انها لمخلوقة عجيبة وانى لعلى يقين أن مكتب المباحث لم يخطىء فى صغيرة ولا كبيرة .

وبعد أن أوى كل النزلاء فى جناح آدم بالفندق الى فراشهم مكثت بغرفة الجلوس ، مستغرقا أحلل موقف « الاطار » من هومر آدم . ولقد انتهيت الى نتيجة واحدة حاولت طردها من ذهنى مستعينا بشتى الوسائل وذلك لبشاعتها المفرطة ، كما يحاول العقل أن يطرد حلما مزعجا أثاره وأقلقه غير أن الفكرة على هذا ظلت تلاحقنى دون رحمة ، وتطاردنى دون هوادة . من الجائز أن يكون سر شغل « الاطار » بهومر آدم هو رغبتها فى القضاء على حيويته واستنفاد قواه ليتم لها بذلك القضاء على الجنس البشرى أجمع . وكنت أعود فأعلل نفسى بأن « الاطار » لا تبدو شريرة هذا الشر ، وها هو ذا تقرير مكتب المباحث يؤكد اخلاصها ووطنيتها فاذا بى أرجع عما رأيت وأعود فأقلب وجهات النظر دون أن أصل الى نتيجة ما .

كانت الفكرة غير محتملة حقا ، ولكن أكانت أبعد احتمالا من انفجار المسيسبى وسريان الاشعاع الذرى الذى أثر فىّ وقضى على قواى الجنسية باشعاع غير منظور ، وغير محسوس ودون أن أدرى لذلك سببا ؟ وهل كانت فكرتها فى القضاء على الجنس كله أقل احتمالا من القاء قنبلة فى حجم البيضة على بلد كبير تقضى على مئات الألوف من المخلوقات ليصبحوا رمادا تذروه الرياح ؟ لم يكن من المعقول أن تنسج « الاطار » خيوط مؤامرة على هذا النحو ، كما لم يكن من المعقول كذلك أن يفكر

بعض المؤمنين الأتقياء ممن لا يهملون فروضهم الكنسية أو نفر من المخلصين لأهليهم وذويهم ، لم يكن من المعقول أن يفكر هؤلاء وهؤلاء فى صنع قنبلة يستطيعون بها القضاء المبرم الماحق على أمة بأسرها فى ساعات أو أيام ..

وطفقت أفكر فى الحافز الذى قد يدفعها الى ارتكاب مثل هذه الجريمة فقد تكون مختلة العقل ، ونحن نعلم كلنا أن العبقرية قد تدفع نفرا الى الجنون ، وقد يكون فقدانها السعادة أو حرمانها من رغد الحياة هو الذى يسوقها سوقا الى أن تعمل على أن يفقد الجميع ما فقدته من نعيم ..

ولعل هذا السلوك الغريب المريب غريزة خفية ، غير ظاهرة ولا ملحوظة عند البشر ، ولعل ما يؤيد هذا الزعم ذلك المثال الذى شهدناه يوما من أيام شهر مارس سنة ١٩٣٣ حين أغلقت البنوك أبوابها لفقدان التوازن الاقتصادى فى البلاد ، ففى ذلك الحين لم يعد أحد يملك شيئا فتساوى الناس فى الفقر وبات كل فرد سعيدا بفقره ، راضيا بحاله ، حين غدا الكل فى الفقر سواء ..

وشعرت بحافز جديد شديد يدفعنى الى أن أبحث عن مزيد من المعلومات تهدينى الى فهم علاقة الاطار بهومر دون ابطاء . فقصدت الى حجرته ، فوجدته راقدا فى فراشه ، وقد أخفى أكثر وجهه بالوسادة ، ولف يديه حول تلك الوسادة المنثنية وكأنه يهصرها . وكانت ساقاه ممدوتين ، وأصابع قدميه خارجة من الغطاء ، وكان مستغرقا فى نومه فهززته وقلت :

— استيقظ يا هومر ، أريد أن أتحدث اليك .

— هيا يا ستيف ، تكلم .

— لست بالطبع حانقا علىّ ؟

— كلا . ولماذا ؟

— ظننتك كاسفا ، مهموما لأننى تخليت عن مناصرتك وتأييدك حين أفصحت عن رأيك فى أن يكون لك وحدك حق اختيار السيدة الأولى التى سوف تسبق النساء جميعا فى الافادة من التلقيح الصناعى .

— كلا لست مهموما ولا محسورا ، بل لقد كنت أحاول أن أمد يدا لصديق فحسب ..

— أرى أنك كنت ترغب فى أن تختار كاتى لتكون هى الأم الأولى . وما ألومك على اختيارك هذا كما لا أشجعك من قلبى ، وما كان ضميرى يطمئن الى حملك عليه فمن شأن ذلك أن يثير ضجة كبرى ، كما أنه غبن وظلم صارخ لمارى ايلين .

واستدار هومر وجلس فى الفراش ، وكان شعره مشعثا ، وطرف بعينيه ليزيل آثار النوم الذى كان لا يزال عالقا بجفنيه وقال : كلا . لم أكن أفكر فى كاتى ، أبدا ، لم أكن أفكر فيها .

— اذن فيمن كنت تفكر ؟

وبدا قلقا منزعجا وكأن نملا أحمر قد ملأ عليه الفراش وأخذ يلدغه وقال : من الخير ألا أبوح بشىء ..

— هيا يا هومر حدثنى ..

— كلا . يجدر بى الصمت .

— ولماذا ؟ يا لك من غبى يا هومر فاذا كنت قد عزمت حقا على اختيار شخص ما ، فقد أستطيع أن أدبر لك الأمر تدبيرا يريحك وترضى عنه ، لعلها مارى ايلين ؟ أليس من المحتمل أنها ترغب فى انجاب طفل ثان لك ؟ لا أظن أن أحدا يلومك على هذا ..

وأخذ هومر ينظر فى يده دون أن ينظر الىّ ، بل أخذ ينظر بعيدا ويتلفت الى أشياء عديدة ، وهو يجهد فى ألا تلقى عيناه عينى ، وأخيرا قال :

لم تكن مارى الين محط تفكيرى ؟.. ثم تلبث قليلا وقال فجأة : اذا كان لابد من أن تعرف يا ستيف ، فقد كنت أفكر فى مارج ..

— مارج ... !!!

وحاولت أن أملك نفسى ، وعلمت أنه لابد لى من أن استمسك بأهداب الهدوء والاتزان ، وأن ابتعد وسعى عن اثارته والا منيت بالفشل ولم أعرف ما أريد معرفته ولم أصل الى نواياه .

فقال هـومر : أرجـوك يا ستيف أن تسمح لى بأن أكشف لك عن قصدى ، ما أردت غير أن أرد اليك بعض ما لك علىّ من فضل وجميل يطوقان عنقى ، فكم كنت دوما كريما معى عطوفا علىّ وكنت أعلم أن مارج تهفو نفسها الى طفل ، ولن أنسى أنها كانت مثلك رقيقة لطيفة معى . من أجل ذلك فكرت فى اختيارها .. ولقد قالت هى انه يسعدها أن يكون لها هذا الطفل من آدم ، وأشارت اليوم الى ذلك مرات عدة ، وأعادت القول بأنها ستكون فخورا لو رزقت طفلا بهذه الوسيلة .

— آه .. انها تريد طفلا .. أتريد هى طفلا ؟

— أجل يا ستيف .. هذا كل ما أستطيع أن أقوله لك .

قلت لنفسى : حسناً ، فليس هناك ما يحملنى على أن أغضب ، وعلى ألا أكون هكذا غيورا وأن أكون واسع الأفق ، وانى لمؤمن أن هومر صديق مهذب الطبع رقيق الحاشية صافى النفس ودود ووفى . ثم رفعت صوتى وأنا أقول له : استمع الى يا هومر ، لقد أسرتنى بهذا القول حقا .. وصنيعك هذا يدل على أنك مهذب ، كريم .. وأنت بهذا تمس شغاف قلبى ولكنى من أجل أسرة سميث أرفض هذا الذى تعرضه . وانك حقا لعلى علم تام بأن دون ذلك عقبات جمة بل يكاد يكون تحقيق هذا من المستحيل وكما قال جيبلمان ان الناس سوف يتهمونا بالمحاباة وممالأة

الأهل والأقارب ومناصرتهم فى أمور الادارة والعمل والواجب على حساب المصلحة العامة ، وسيكون ذلك شبيها بصنيع موظف فى وزارة الداخلية يمنح نفسه أرضا فيها بترول وتمتلكها الدولة .

— أعلم ذلك حق العلم ، ولكن ماذا عساى أن أفعل ، ان كل ما أود عمله أو تحقيقه سوف يمنى بالفشل لأنى عاجز وليست لى حقوق أمارسها لذا كان من الواجب أن ألتمس لنفسى حقا أو شيئا من الحقوق ..

فنصحته قائلا : استمع الى يا هومر ، ان ما أردته أو ما شئت أن تسديه الى ليس الا خدمة شخصية ، فلا يجدر بك أن تشغل بالك بالناس لتظل هادىء النفس سعيدا ..

ثم تذكرت مهمتى الأولى التى من أجلها جئت أوقظه فسألته قائلا :

— أتظن أن كاتى ترغب فى انجاب طفل يا هومر ؟

— كلا .. لا أستطيع أن أقطع بذلك .

— أواثق أنت مما قلت ؟

— آه . انى على يقين من ذلك .. لقد أكدت لى أنها لا تريد أطفالا الآن ..

ووجدت أن رده هذا لا ينقض أبدا الرأى الذى استمسكت به فلم أستطع تناسيه أو تجاهله فقلت له مستفسرا : هل اقترحت عليك كاتى أن ترفض أنت القيام بالتلقيح الصناعى ؟

تلبث هومر هنيهة ، وعبثت أصابعه النحيلة الرفيعة بملاءة السرير الوردية ثم عاد يتكلم : انها لم تطلب ذلك صراحة ، غير أنها قالت انها لا تؤمن به ..

— وهل حدثتك كاتى عن الانقسام النووى وغيره ؟

— كلا كانت أحاديثنا كلها حول علم الآثار ، وبعض الشئون التى

تخصنا وأرجوك يا ستيف أن تعفيني من الخوض في هذا الموضوع فهذه كما تعلم أمور تعنيني وتتصل بي فأسراري ملك لي وحدي .

— آسف . أنت على حق ..

قلت له ذلك بعد ان وجدت ان اجاباته قد زادتني تمسكا بالفكرة التي راودتني بادىء الأمر ..

وحدثت نفسي قائلا : فلأنسَ هذا الأمر ، فلو شاءت «الاطار» القضاء على هومر لوجدت الفرصة سانحة في تلك الليلة التي أمضتها معه في الفندق ، وأخذت على نفسي عهدا مؤكدا بأن أعمل على نسيان هذا الموضوع . ووجدتني — كما كانت مارية تصر على اتهامي — بأني سيء الظن . غير أنني كنت أعلم أنني لن أنسى حقا هذا الموضوع .

ثم عاد هومر الى الحديث فقال : أخبرني ، هل أغضبك حقا ما ذكرته عن اختيار مارج لتكون أول أنثى تفيد من التلقيح الصناعي ؟ .

— أبدا .. نم الآن يا هومر ، ولا تجهد أعصابك بالتفكير . نم واهدأ بالا ...

— شكرا يا ستيف ..

قال ذلك ثم ارتمى على وسادته ، فاتجهت الى مخدعي ، وأضأت النور ، حيث وجدت مارج راقدة في الفراش ، وحين رأتني رفعت رأسها وقالت : ما أسرعك في العودة مبكرا الى مخدعك ونظرت الى ساعتها ، واستأنفت تقول : انها قاربت الثالثة صباحا ، فاذا كان هذا هو كل نصيبي من اهتمامك فخير لك أن تذهب الى فراشك وحدك .

فهمست اليها وأنا أقترب منها : لا تراعي يا حبيبتي ، فسأعوض ذلك الوقت الذي مضى .

— ماذا بك يا ستيف ؟

قلت وأنا ألقى بحذائى على الأرض : هناك ألوان كثيرة من الخيانات وليس حتما أن تكون الخيانة عن طريق الجسد ، وقد يخون الانسان بروحه على أن كلا الأمرين شر على السواء ..

— ستيف ! لا تتكلم هكذا بالأحاجى والألغاز ..

— أنت تعرفين ماذا أقصد ..

ومطت وجهها مقطبة ، وقالت : حسنا . ابق حيث أنت فى فراشك .

— لقد تغيرت كثيرا يا مارج منذ الصباح ، ففى ذلك الوقت كنت رقيقة رقة الحرير وأنت الآن لا ترغبين فى أن ألمسك ..

— انى لم أفعل ذلك ..

— أجل فعلت . قلت لى : ابق فى فراشك ..

وجلست فى فراشها وهى فى أبهى زينة ، وقد احمر خداها وأشرق جيدها ولان ملمسها ، وقالت : انك يا ستيف لا تستطيع أبدا أن تعرف ما تريد المرأة ..

فقمت ، وأطفأت النور ..

جاء الصبح وكان شبيها بصباح يوم من تلكم الأيام التى تستيقظ فيها فتحس اضطرابا غير مألوف يشملك ، ويظل يلازمك برهة ، ثم لا تلبث أن تدرك ان الألم فى نفسك أنت ، يهزك ويستبد بك .. هكذا أحسست ، ووجدت رأسي يطفو وكأنه قد امتلأ بالهليوم وأوشك أن ينفصل انفصالا عن سائر جسمي وأحسست آلاما غريبة بركبتى ومرفقى ، حين حاولت أن أنهض واقفا ، وحين جلست أخذت تتراقص أمام عينى أطياف غريبة .

فقلت مزمجرا : اننى متعب يا مارج تماما .

فقالت مارج : وهى تتفرس فى وجهى مبدية اهتماما كبيرا : انه شيء يؤسف له ماذا أصابك ؟ أتحس ميلا الى القيء ؟

— ما أسرفت فى الشراب فينتابنى قيء ..

— آه . أظنك أسرفت .

— كلا لم أفعل ، وأنا الآن مريض .

فقالت مارج ملتاعة وكأنها توجس شرا : آه .. أرجو أن تكون بخير . أرجو الله مخلصة أن يسبغ عليك الصحة . سأذهب لأحضر لك أقراصا مهدئة مسكنة وقدحا من القهوة .

وكان طعم القهوة غريبا ممجوجا ، فقلت لمارج : ما هذا يا مارج ؟ هل وضعت فيها ملحا ؟

— لا من غير شك ، لا يا ستيفن .. استمع الى ، عليك أن تلزم الفراش يا حبيبى وستحس تحسنا .

— استدعى لى الطبيب تومى طومسون . أخالنى أصبت بالتهاب رئوى ، أو بشىء كهذا .

جاء تومى بعد لحظات ، وكان النوم لا يزال عالقا بجفنيه ، كما كان لا يزال مرتديا ثوب النوم الذى أحسب أنه اختلسه من الجيش .

وجس نبضى ، وتحسس جبهتى ، وفحص عينى ؛ وقال :

— لا تخش شيئا . وليس بك شىء غير أن نبضك سريع قليلا .

— اننى أتطلع الى الأشياء فأراها غير مستقرة أمام عينىّ ، تثب الى هنا والى هناك .

— انها أعصابك . أنت مجهد الأعصاب ، خذ أجازة ، اصطحب مارج فى رحلة الى فلوريدا .

— أجازه . ! اننى لا أستطيع أن أفعل ذلك قبل أن تنتهى مهمتى وعندئذ سوف آخذ اجازة طويلة أقضيها مع مارج فى مكان ما . ألا تفضلين ذلك يا عزيزتى ؟

قالت مارج : ليتك تفعل ، وأعتقد أنها ستكون اجازة ممتعة ...

انقضت فترة بين الثلاثين والأربعين دقيقة ، ثم بدأت أستعيد نشاطى كما تنبأ طومسون ، غير أنى أذكر أن كل ما ذقته من طعام أو شراب فى ذلك اليوم كان يبدو لى شديد الملوحة .

وفى هذا المساء عاد تومى ومارية وبوجى الى نيويورك ، ورافقهم هومر وجين ومارج الى المحطة ، وكانت العبارة الأخيرة التى ذكرها بوجى وهو يلتفت الى هومر هى : استمع الى يابنى . اذا لم يتم شىء كما قدروا فلا تبتئس ، انها لن تكون خطيئتك . انه القدر فلم يكن فى الحسبان أن تسير الأمور على غير ما نشتهى .

ولم أشهد فى مثل هذا اليأس والقنوط الذين لا شفاء منهما .

ومر يوم الاثنين الذى عقدنا الرجاء على أن نبدأ فيه التلقيح الصناعى ومرت كذلك سائر أيام الأسبوع دون أن نأخذ فى شىء .

وكان الجمهور مطمئنا الى الوسيلة التى لجأت اليها المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب لاختيار الأم الأولى والأمهات التاليات للتلقيح الصناعى . غير أن موسكو لم تكن مطمئنة ، وأعلنت عن رأيها فى صراحة ، ولقد كان رأى الروس أنهم لا يعارضون فى اختيار الأم الأولى من بين الأمريكيات على شريطة أن تكون الأم الثانية روسية ، وليس ثمة ما يمنع من أن تكون الثالثة بريطانية ، أما الدول الصغرى فلا يجوز النظر فى أمرها الا فيما بعد ، كما طالبوا بمنع شعوب معينة من الاشتراك منعا باتا فى البرنامج العام كالبولونيين والرومانيين والمجريين والأتراك والمصريين والايرانيين اذ من اليسير — هكذا قال الروس — اعادة سكان هذه المناطق فى أى وقت ويحسن أن يتولى الاتحاد السوفيتى هو نفسه هذه المهمة .

وراحت الحكومة الأمريكية تسأل الحكومة الروسية للمرة العاشرة عن صحة خبر المغوليين . ورد الروس بأن هذه المسألة من صميم شئون الدولة الداخلية ، أما فى داخل البلاد فقد سارت الأمور فى تقدم ملحوظ ، وعرض الكونجرس الخطة ، وعدها هدية غير مرتقبة جديرة بالترحيب والتهليل لأن هذا يخلع عليه صفة الولاية والقيادة ، ويكسبه التعضيد والتأييد ، وكانت كلما سنحت فرصة لنائب من النواب فى الكونجرس أن يستجيب لأمر قد لا يفيد فى كثير أو قليل تحلى هذا النائب بالكياسة والرزانة وبدا له الأمر خطيرا ، وفى الحق لقد كانت فرصة ذهبية اغتنمها الأعضاء ليسددوا ديونهم السياسية ، وليحوزوا رضى اجتماعيا وليثبتوا أقدامهم فى الحياة الاجتماعية العامة باتصالاتهم بالهيئات النسائية .

ومن الناحية السياسية فلقد بدا الأمر كله مضطربا ، غير ثابت ، يدعو

الى بلبلة الفكر وانقسام الرأى ، وآية ذلك أن مشروع التلقيح الصناعى قد أعطى فسحة من الوقت لا تعدو الأسبوع للفـراغ من تعيين من وقع عليهن الاختيار للتلقيح ، وكان الأعضاء يحتجون بأن من بيدهم مقاليد الأمور من رجال الحكومة والمسئولين لم يوفروا لهم الوقت الكافى لاختيار المرشحات فى دقة وعناية ولم يكن هذا الادعاء فى الحق غير ستار لفشلهم فيما لو عارض الرأى العام هذا الاختيار . وقد أذاع نفر أسماء من وقع عليهن اختيارهم ، وهم واثقون بهن الثقة كلها ، وخاصـة من الناحية السياسية وان لا غبار عليهن ، ولا مطعن فيهن ، بيد أن كثرة من الأعضاء رأت ألا تفشى أسماء مرشحاتهن الى أن يتم وضع الخطط الكاملة للاقتراع .

ورأينا أن نمنح هومر وقتا طيبا يستمتع فيه ويروح عن نفسه فصحبناه خلال ذلك الأسبوع الى الشاطىء الشرقى ليصطاد السمك ، ثم الى حلبة بوى Bowie ليشاهد افتتاح موسم سباق الربيع ومنها الى قضاء سهرات جميلة فى المسرح القومى ، ومن ثم الى رحلة خلوية فى وادى «شيناندو» — Shenandoah وحين انقضت الأيام على هذه الوتيرة وحل يوم الاثنين التالى وقد ظهرت بوادر الصحة الطيبة والانتعاش على هومر ، وما أعنى أنه قد استمد قوة تعينه على اقتلاع الأشجار من جذورها ، وانما أعنى أن أقول أنه قد أصبح أهلا لأن ينجب عددا كبيرا من الأطفال ..

وفى ظهر يوم الاثنين قصدت — أنا ومارج وحدنا — الى الكابيتول بعد أن تركنا هومر فى الفندق وحده ، وكان هذا استجابة لرغبته والحاحه فى أن يبقى فى البيت — وأعتقد أنه كان على صواب فى ذلك — خشية أن يلقاه الناس بجفوة شديدة وهو جالس فى مقصورته خلال الاقتراع على الأرقام . وقد كان معروفا عن هومر أنه يضيق ذرعا باهتمام الجمهور ، ولهذا كان قلبه يرتجف خوفا ، وكأنه مشرف على الموت .



وعقدت لجنة الاقتراع جلستها فى الدور الأرضى من مبنى المجلس .
وكان المنظر عاديا مألوفا للجميع بكل ما فيه ، وينطوى عليه من المظاهر العسكرية والأبهة الحربية ، ولم يكن فى نظرنا غير صورة مكررة لنشرة أخبار مصورة تعرض على المشاهدين ، مع فارق واحد هو أن صاحب القناع لم يكن الرئيس ولسن ، أو الرئيس روزفلت ....

وحين انتهت التمهيدات تقدم رئيس الجمهورية ، ومد يده الى الوعاء الزجاجي الكبير الذى يحوى الأرقام ، وانتقى ورقة مطوية أسلمها الى سكرتير الدار الذى فضها وصاح فى المكبر :

٠٦٤٦ الرقم الفائز ٦٤٦

ومن قاعة المجلس بل من أعماقها طغت على آذان الحاضرين موجة هادرة نسائية تهتف متصايحة فى اضطراب .

وسألتنى مارج : ماذا حدث ؟

قلت : حركة نسائية بارعة ....

فقالت مارج : ماذا تعنى ؟ أتدرى ما هو صداها فى نفسى ، انها أشبه بلاعبة ماهرة تصرخ طربا وقد كسبت دورها فى لعبة البريدج ، ومن ياترى تلك المحظوظة التى أحرزت رقم ٦٤٦ ؟

ولاحظت حركة غير مألوفة فى رواق الصحافة وطبيعى أن رجال الصحافة هم أول من يسرع الى اذاعة الخبر ، غير انى أدركت أن الضوضاء والصخب قد انتشرا بين الصفوف جميعها ، وعما الحاضرين كلهم ؛ فتركت مقعدى لأستطلع الأمر ، وقلت لمارج : سأعود بعد أن أعرف ما جرى .

ولقيت زميلا من الزملاء وحين سألته عن سر هذه الضجة صاح : ألم تعرف من وقع عليه اختيار الرئيس بعد ؟

— لا .

— رقم ٦٤٦ وهو رقم سمنرفاى نوت .

— هل تقصد رقم احدى مرشحاتها ؟

— لا بل رقمها هى نفسها ..

— هل تأذن لى فى أن أتصرف ، فلقد بدأت أحس دوارا مفاجئا .

وكنت حقا قد بدأت أحس الأعياء . وخيل الى أن جدران البهو

المزركشة على الطراز الباروكى أخذت تميل نحـوى من شدة الدوار الذى أصابنى ، فتلمست عـائدا الى مـارج وقلت لها : هيا بنا يا مارج ، ولتعلمى ان صاحبة الرقم ٦٤٦ هى فاى سمنرنوت ، فيا لها من مأساة ويا لها من كارثة ..

وجعلت أفكر فى رئيس الجمهورية ، ورحت أحدث نفسى قائلا :

— أى رجل سىء الحظ هو . نعم انه لمنكود مسكين ..

وعندما أدركنا العربة ، قالت مارج : ولكن لماذا رشحت نفسها ؟ أن ترشيحها لنفسها تصرف غير شريف ..

— يبدو لى أنها لم تجد بين فتيات ولايتها من تفوقها جمالا ، لذلك رشحت نفسها لتزداد لمعانا وتألقا ، هذا هو جوهر المسألة وبيت القصيد .

قالت مارج تسألنى الرأى : وماذا تراه واقعا ؟ أليس من اليسير الغاء هذا الرقم أو تحويره بطريقة ما ؟ أليس هذا أسوء حدث وقع ؟

— انتظرى الى أن أنهى الى هومر هذا النبأ المزعج .

ووصلنا الى الفندق وصعدنا الى الطابق الخامس منه ، وفتحت لنا جين الباب ، ودخلت وأنا أحس لافتات من حـولى تحمل هـذه التحذيرات : احترس منطقة ألغام .. خطر ....

وجدنا هومر ينتظر فى غرفة الجلوس ، وقد تناثرت حول مقعده الطبعات الأولى من صحف المساء فما ان رآنا حتى صاح بنا ؟ ما النتيجة ؟

قلت : عضو الشيوخ نوت ..

— وما خطبها ؟

— هى الرابحة ، وستكون الأم الأولى فى التلقيح الصناعى .

أخذ هومر ينهض من مكانه ولم تحمله ساقاه ، فارتمى ثانية على مقعده وقد فغر فاه ، وقال حين ملك أن يحرك لسانه :

لا . لا . لا . لن أفعلها يا ستيف وربى ، لن أقدم على ما تطلبون .. رباه .. أتكون هذه المرأة من حظى وتصيبى ؟ انها لعمرى أسوء النساء ، بل أشدهن سوءا .. لأتركنكم الى غير عودة .

ونهض مسرعا يتجه نحو الباب ، فوثبت أقف فى طريقة ، وتعلقت بذراعه لأقول له مستعطفا : انتظر لحظة واحدة يا هومر .. انتظر الى أن أقول لك شيئا .

وكان من العسير على أن أثنيه فلقد بدا طويلا متخشبا وكأنه أحد أعمدة التلغراف . غير انى أفلحت فى أن أهدىء من عنفه فى اندفاعه قبل أن يصل الى الباب ، ورحت أقول له :

— انتظر يا هومر ، فلدى أمور أريد أن أناقشها معك ، أمور عاجلة وهـــامة .

وقدته الى مقعده ، وأجلسته حيث أطرق وأمسك رأسه بيديه ، وكان يهز رأسه بين لحظة وأخرى ، ويشد شعره فقلت له :

— هومر ، ان ما قدر لابد واقع لقد تم كل شىء بعـــدل وأمانة . وأراهنك على أن الرئيس لم يكن فى نيته أن يسحب الورقة من الاناء الزجاجى فهو يقدر هذا فوق قدرك له وقدرى ، غير ان هذا هو ما يفرضه منطق الديموقراطية بل انه النهج القويم الذى يجب أن تسير عليه الأمور يا هومر .

قال محتجا : ان الجميع ينعمون بالديموقراطية غيرى . ان مائة وأربعين مليونا من المستبدين والطغاة يتشبثون برقبتى ، وهذا ما لا أرضاه ولهذا فانى راحل ..

— ليس الأمر على هذا القدر الكبير من السوء كما تخال ..

وأشرت الى مارج لتحضر لنا شيئا من الشراب ، ثم وصلت حديثى :

— أحمد الله على ان الأمور لم تصل الى أبعد من هذا ، ولم تبلغ غايتها من السوء . وفكر فيما لو اضطرك الأمر الى الزواج منها ، والعيش معها . كم يكون هذا مخيفا بشعا . فلتطمئن فما أحد بملزمك حتى أن تراها ، ولن يزعجك أن تكون هى صاحبة الرقم الأول أو الرقم الحادى عشر مليونا وثمانمائة ألف وستين واثنين وأربعين ، ألست معى على أن الأمر لا يحملك على أن تهيج هذا الهياج كله ، وتثور هذه الثورة كلها ؟

— بل يزعجنى حصولها على رقم ما أياً كان هذا الرقم ، ولتتخيل معى هذه الصورة الشاذة حين يصبح لها طفل هو ابنى وأنا أبوه ..

فقلت أحاوره : ان أطفالك جميعا لن يختلفوا أبدا فى أشكالهم ، واقطع أنك لن تستطيع أن تفرق بينهم بعــد مرور سنوات طويلة حين يكبرون .

— لم تغب عن بالى مثل هذه الفكرة لحظة واحدة ، وانى لكاره لها حقا ولا أود لها أن تبقى فى ذهنى برهة .

وعادت مارج تحمل الشراب ، ولاحظت أن يدها تهتز وترتعش فأيقنت أنها تحب هومر وأنها تجد فيه عونا ونصيرا لها .

قلت لهومر : هيا اشرب ثم لنناقش الأمر على وجه أقرب الى العقل .

وأمعن هومر فى عبوسه وأخذ يقول :

— وهذا أيضا ما لا أحب أن أناقشه ، قل لى بربك أى شىء تحس اذا سرت فى الطريق العام وأيقنت أن الوجوه كلها من حولك متشابهة لا تختلف فى قسماتها وملامحها تراها صورة منك وعلى مثالك فحسب .

فقلت أؤيد قوله : لا بأس ، اخاله أمرا يدعو الى الحيرة والحرج حقا ، بيد أنه من البين فى الوقت نفسه انه لا يمت لك بصلة ، ولا يخصك فى قليل أو كثير ..

أخذ هومر أنفاسا طويلة عميقة وأفرغ الكأس كله فى فمه .. وفى هذه اللحظة دخل جيبلمان وبمفرى وقد تهلل وجهاهما بشرا وحبورا ، واختطف بمفرى يد هومر محييا مرحبا وهو يقول :

— حسنا . حسنا . اننا نسير فى طريقنا المرسوم يا هومر . أليس كذلك ؟ لقد انقشعت الغيوم ، وبدا الطريق واضحا جليا أمامنا .

فقال هومر : هذا ما ترى ، غير أنه بدا أسوأ وأتكى ..

وقال بمفرى : عليك ألا تدع مثل هذا الشعور يخامرك ، لقد كانت معجزة يا بنى أن تكون العضو نوت الأم الأولى فى التلقيح الصناعى . يا لها من معجزة وليس لانسان أن يجد ثغرة ينفـذ منها ناقدا المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب فيلومها على هذا الاختيار الموفق .

بل أن هذا يا سيدى يؤيد بالدليل القاطع ان الادارة غير متحيزة أبدا ولا تستلهم الا العدالة حين أتاحت لعضو من حزب المعارضة أن يكسب القرعة . وسوف يحس مجلس الشيوخ أنه ليس دون غيره ابتهاجا حين تكون الأم الأولى واحدة من بين أعضائه .

ولاذ هومر بالصمت ، فدفعت الى يده بكأس أخرى .

وتبسم جيبلمان ابتسامة عريضة كشفت عن أسنانه العفنة الفاسدة وقال :

— ان عضو الشيوخ « نوت » فى طريقها الآن الى الردهة ، ولقد جاءت فى هذه اللحظة الحاسمة ليلتقطوا لكما معا بعض الصور انها سيدة تفيض حيوية وجاذبية ، أليس كذلك يا هومر ؟ وعلى الرغم من أنها قد أثارت بعض المتاعب منذ وقت قصير مضى ، فلست أجد سواها أسـعد حظا وأسطع نجما باختيار رئيس الجمهورية لها ، وهذا بالطبع تقـدير الدوائر السياسية .

وما كاد هومر يسمع هذه الكلمات حتى غص حلقه بالشراب ولهث قائلا : هل قلت انها آتية الى هنا ؟

فقال جيبلمان : أجل ستحضر حين يصل مصورو الصحف والسينما .

وفجأة أخذت عضلات هومر تتقلص وتتراخى وحل عليه الهدوء شيئا فشيئا كالمصارع حين يسترخى ويرخى لعضلاته فى ركن من أركان الحلبة . وقال فى دقة وحزم : اذا جاءت الى هنا فسوف أخنقها وأزهق روحها ..

وصاح آبل بمفرى قائلا : ماذا أنت فاعل ؟

وانتفخت أوداجه ، وكادت تتفصد دما ، وهى تبرز من تحت ياقة قميصه .

وعاد هومر يقول : سأمزقها اربا ؛ وسألقى بأشلائها طعاما للطيور الجارحة على هذه الصورة — ومد ذراعيه الطويلتين ليوضح طريقته .

وعزمت على أن أتدخل حين أجد الفرصة مواتية ، فقلت :

أيها السادة : ان السيد آدم مجهد ومكدود ، وقد أخرجه عن وعيه وهدوئه عبء يثقل روحه واضطراب نفسى عنيف ورجائى أن ترق قلوبكم له وأن تلتمسوا له عذرا . والأجدر بكم أن تهبطوا الى عضو الشيوخ « نوت » فتقدموا لها اعتذار السيد آدم وأسفه الشديد لأن يحظى بشرف لقائها فانى أرى انه لن يتورع عن ضربها وصفعها اذا جاءت اليه هنا ..

وأقتدتهما الى الباب ، مودعا وعندها راح جيبلمان يسأل :

— أى شىء أصابه ؟ أبه مس من الشيطان ؟ أطار صوابه ؟

وقال بمفرى : رباه لم أكن أدرى ان الغضب سوف يقلبه هكذا رأسا على عقب . عجبا ! انه يمثل دوره بنجاح فائق وكأنه أعظم شخصية فى المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب . ولقد كنت الوحيد فى المجلس كله الذى أثارت حفيظتى ، وملأت قلبى حقدا تلك العبارات التى فاهت بها

العضو « نوت » غير أني تغاضبت عما قالت ، وباعدت ما بيني وبينها وهآنذا أرحب بمقدم عضو الشيوخ « نوت » على انها السيدة الأمريكية الأولى » والمثل الأعلى للأم الأولى فى مشروع التلقيح الصناعى ، ولقد أغدقت عليها الحياة جمالا وذكاء ومالا . فما باله يصر على الرفض فى أن ينشىء معها فعلا — وأكرر فعلا — رابطة زوجية ؟

فقال جيبلمان : انها لمسألة تعنيه وحده الى حد ما ، وانى لأتخيل دائما أن ثمة روابط مشتركة وميولا ظاهرة وراء ستار علم الآثار .

وقال بمفرى ناصحا : لقد رأيت أن أراقبه عن كثب . أراقبه مراقبة دقيقة فانى على يقين من أننى لا أفهمه ، لا أفهم طباعه أبدا .

وكان هومر لا يزال متربعا فى كرسيه بحجرة الجلوس حين أخبرته قائلا :

— حسنا » اطمئن فلقد خلصت منهم جميعا .

فقال لى : شكرا لك يا ستيف . بيد أننى أعتقد أننى لن أبقى على هذا الحال طويلا فانى لم أعد أسيغه .

وكان يحدثنى فى هدوء وبصوت خفيض يبلغ الهمس ، شأنه فى ذلك شأن الصراف الذى قرّ رأيه على ألا يقدم قرضا مشكوكا فى أمره .

— سأقول لك فى صراحة يا هومر انه ليس من المرتقب أن تحمل فاى نوت بالتلقيح الصناعى أو بأية طريقة أخرى ، فلقد تزوجت مرتين ولم تنجب وهذا أبلغ دليل على عقمها » وعندما مات زوجها الثانى زعم الناس انه مات من شدة البرد .

فقال هومر : انما أثور على المبدأ لا غير يا صاحبى .

— عظيم ورائع . وهل من المبادىء السليمة أن ينصب فرد من نفسه الها ومن ثم يحكم على العالم بالفناء ؟ لا أظنك ترضى لنفسك هذا .

— لست أرضى لنفسى هذا . غير أنى لا أريد أن أقرب هذه المرآة .

كانت مارج تجلس على طرف مقعدها ، وتهز ساقيها الطويلتين الناعمتين وراحت أصابعها تعبث بشعر آدم وكانت هذه المرة الأولى التى أشاهدها تتحسس رجلا — غيرى — على هذا النحو ، حاولت أن أتكلم غير أنى أحسست أن كل ما تجمع من كلمات على طرف لسانى قد ذاب على شفتى .

فقالت مارج : بالله ألا فكرت فيما تؤول اليه حال غيرها من النساء ، حالى أنا وحال النساء جميعا اللاتى ينطوين على أنفسهن ويقضين نحبهن كمدا اذا انقطع حبل أملهن واستولى اليأس عليهن ، أما تدرى بعد أنك موضع آمال النساء قاطبة يا هومر ..

وأطرق هومر برأسه الى الأرض ولاذ بالصمت العميق لقد كنت أعلم انه كان يفكر ، وظننت أن مارج قد هدأت من روعه ثم قلت : سنهبط الى المعمل عند الظهيرة يا هومر ، من ثم فليس هنـــا ما يدعو الى القلق حتى ذلك الحين . تماسك وتشجع فلن يصل الأمر الى ما تخال وتتوهم من سوء . سوف تتبع من الآن فصاعدا منهاجا يسيرا : فحين تجدهم فى غير حاجة اليك فى المعمل سنذهب الى مشاهدة السباق . أظنك تهوى السباق ، أليس كذلك ؟

وفى الحال أقبلت جين زيتر وكانت تحمل آخر الأنباء من الكابيتول بعد أن استمعت الى هذه الأنباء فى غرفة نومها . ولقد خلتها مبتهجة مشرقة الوجه وكأنها كانت تعبر تعبيرا صادقا عن غريزة الأمومة الكامنة فيها وعن فرحتها ببعثها من جديد ، من أجل ذلك سارعت فى سرد أسماء الفائزات فى المجموعة الأولى بعد فوز « فاى نوت » وكانت من بين الفائزات امرأة عضو فى اللجنة القومية بكاليفورنيا وملكة جمال العالم السابقة فى اتلانتيك سيتى ، وبعض الأرامل اللاتى تركهن أزواجهن كئيبات بلا أطفال وزوجة

مدير سكة حديد . وحفيدة المليونير الأمريكى « فاندربيلت » [1] قلت لهومر « أسمعت ؟ اذن فعليك أن تفكر فى هؤلاء النساء جميعا بدلا من أن تحصر ذهنك فى نوت فتجفل عن أداء واجبك ، فكر فيما سيصيبهن من خيبة أمل لو حدث لك مكروه أو تخليت عن العمل .

وأومأ برأسه عن رضى فأرسلت زفرة وتنفست الصعداء . أخالنى قد كسبت الجولة أو أديت رسالتى ونجحت فى مهمتى . ولهذا انصرفت أدير خطط المستقبل . فرأيت أن أصطحب مارج فى رحلة بحرية الى هونولولو « وقد نذهب الى ريو . وعندها سوف يبدو لنا العالم فى أبهج صورة تحفزنا الى مواصلة الحياة فيه والاستمتاع بنعيمه ، بل لقد حلق بى الخيال الى أن أدفع مارج الى اقناعى بالموافقة على اتاحة فرصة لها فى اللقاح الصناعى ، لتتم سعادتنا بطفل .

وعندما دق التليفون تقدم هومر ليجيب ، وفجأة بدأ طقوسه التقليدية « لا ونعم » الشيء الذى فهمت منه أن « الاطار » كانت فى الجانب الآخر تبادله الحديث ، فأخذت ألوم نفسى اذ لم أطلب من مكتب المباحث تسجيل كل ما يدور بينهما ، وكنت فى تلك اللحظة على أتم أهبة لأدفع أى مبلغ بغية أن أعرف ما تقوله « الاطار » لهومر . ولكن قسمات وجهه ظلت جامدة لا تنبىء عن شيء .

---

(١) كورنوليوس فاندربيلت Cornelius Vanderlbeilt ١٧٩٤ - ١٨٧٧ أغنى أغنياء امريكا فى القرن التاسع عشر ، جمع ثروة طائلة بلغت عشرين مليون جنيه استرلينى من مساهمته فى بناء خطوط السكك الحديدية ، ولقد ورثه ولده وليام هنرى فاندر بيلت (١٨٢١ ـ ١٨٨٥) ونما هذه الثروة واضاف اليها بعد أن انتظم فى مهنة أبيه وتبرع أولهما بمبلغ مليون دولار لانشاء جامعه فى « ناشفيل » تحمل اسمه ، وتبرع ثانيهما بمسلة فى الحديقة المركزية فى نيويورك ، وكذلك فعل سائر أبناء هذه الأسرة .

وفى تلك الليلة لعبنا البريدج ، وفى التاسعة فتحت المذياع وسمعنا جبريل هيتر يقول : « هاكم خبرا سارا الليلة ، نعم هاكم نبأ طيبا ترى هل بوسعى أن أجرؤ فأسرده ؟ نعم . أظن ذلك فالجنس البشرى يمضى قدما الى الأمام .. فسوف نشهد غدا تحقيق أعظم تجربة حدثت فى التاريخ ، ترى هل سيكتب لها النجاح ؟ أم سيقضى عليها بالفشل ؟ لا . بل ستكلل بالنجاح فكل نبرة من نبرات صوتى تؤكد ذلك » .

قلت مخاطبا هومر : أسمعت ما يقول ذلك الرجل الأمين ؟

ومضى هيتر يقول : « ان هيتر يتنبأ للتجربة بالنجاح . ولعلكم سيداتى وسادتى تذكرون أن هيتر قد تنبأ لكم من قبل بنهاية هتلر وموسولينى أما الآن فهو يتنبأ لكم بنجاح التجربة . فبعد تسعة أشهر منذ الغد ستقوم عضو الشيوخ فاى سمنر نوت ذلك المثل الرائع للأنوثة الأمريكية ستقوم من جديد بحمل شعلة الأمومة العظيمة عالية ، وبعد تسعة شهور من الغد . ستحدث المعجزة « سيولد طفل » أيها السادة .. » .

وهنا ابتسم هومر ولم أرتح لتلك البسمة فسألته : فيم تفكر يا هومر ؟

أجاب : لا شىء . لا شىء البتة .

وانتقل هيتر فجأة وبطريقة خادعة من وصف شعر آدم الجميل وذكر محاسنه الى حاجة الرجال الملحة جميعهم الى مقو للشعر . عندما أغلقت الجهاز عدت أسأل هومر ، وما زلت أشعر بالقلق لتلك البسمة .

— أسمعت ما يقوله ذلك الرجل الأمين جبريل هيتر ؟

— أجل ، اننى مولع بالانصات الى صوته ، وأحس من خلال نبراته وتعبيراته أنه متفائل الى حد كبير .

وقالت جين مؤيدة : أجل . ففى خلال المعارك التى دارت رحاها فى

بلجيكا لم آكن أجد حماسة لمتابعة أحداث الحياة الا حين أستمع الى هيتر ؟

— أما أنا فلا أعده مذيعا أو معلقا على الأخبـــار فحسب ، بل هو عندى منشد فى جماعة من المرتلين ، وانى على هذا أحب سماع صوته حب هومر له لأنه رجل متفائل يبعث فى نفوس المستمعين الأمل ، وانى بهذا أرى أنه ما دام الله فى علاه وهيتر على الأرض يصرفان مقاليد الأمــور فلا سبيل الى القلق ولا ضير علينا .

وتثاءب هومر وقال : هل تأذن لى فى الانصراف فانى أحس حاجة الى النوم لا سيما أن أمامى يوما حافلا بالأعمال الجسام كما لا يخفى عليك .

ووافقته على رأيه ، ورجوته أن ينسى متاعبه وقلت له مشجعا : لتمض هذه العملية سهلة هينة ، ولتعدها عملا من الأعمال اليسيرة المألوفة ، وبهذا يبدو لك العمل وكأنك فى حجرة مكتبك ، وأنك ملزم بالجلوس فيها أياما معدودة تمضى بعدها أوقاتك راضيا خالى البال ، لا تعمل شيئا ، كن كرجل الأعمال والمال الذى يذهب الى مكتبه ساعة أو بضع ساعات كل أسبوع مرة أو مرتين أو ثلاثا لينجز أعمالا عاجلة فاذا أخذت الأمر يا هومر على هذا النهج السليم الهين فلن تحس منه أو تشعر نحوه بسوء كما لن تتوقع منه البلاء .

وابتسم هومر ابتسامة بريئة كأنه لم يستشعر الجدة أو الطرافة فى حديثى واكتفى بأن قال : أجل .. طاب مساؤكم .

وغادرتنا جين الى فراشها وهكذا أصبحت أنا ومارج وحدنا فقلت لها : حسنا يبدو لى أن هذا العبء الثقيل قد بدأ يخف ولعله قد أشرف على نهايته ، ثم طفقت أتحدث عن هونولولو ويو والجمال المساحر المتعدد

الألوان على شاطىء سيدنى ، والقمر المحلق فوق المآذن والقباب ذات الحراب فى سماء اسطنبول ، والروائح العطنة العفنة التى تفوح من نابلى وفينيسيا .

وكانت مارج تصغى الىّ فى شغف وانتباه وهدوء وسكينة تدعو الى التساؤل ، كانت كالنموذج الحلو الجميل فى واجهة محل من المحلات الكبرى ثم قالت لى : هل ترى أن هذا الأمر سيتحقق ويحدث من جديد ؟ لا أعتقد انك تثق بنتيجة مثمرة ولا أخالك تصفر الآن الاّ لكى تحتفظ برباطة جأشك وشجاعتك .

فقلت محتجا : ليس لدى أدنى شك فى أن الأمر جد وخطير ، ولن يهل منتصف فصل الصيف حتى يتم كل شيء ويصبح مألوفا معروفا للنـــاس جميعـــا ، وعلى ذلك سنجد أمامنا فسحة من الوقت لنروح عن نفسينا ونستمتع بحياتنا .

وسألتنى مارج : هل تحب أن تعرف فيما أفكر ؟

— أجل .

— لو افترضنا أن فاى نوت قد رزقت بطفل ، أظنك ستقول أنه جاء نتيجة حمل شريف ، لم يخالطه دنس ؟

— أنت شديدة السخرية مثل بوجى .

— انتظر وسنرى .

وكان الحديث ذا شجون فظللنا نتجاذب أطرافه الى ما بعد منتصف الليل وطوال ذلك الوقت كانت لا تنى ولا تنقطع عن التأكيد فى اصرار والحاح بأن الأمور لن تسير الى غايتها المرتقبة وأنها لا ترضى عن الطريقة التى يسلكها هومر ، غير أنى لم أر رأيها ، ولم أوافق على حرف مما قالته : وأكدت لها أننى لن أحاول أن أضع جهدى وطاقتى كى أقلب حياته رأسا

على عقب ، أو أحاول اثارته ، وقالت ان الطبيعة وهبتها حاسة سبق الحوادث .

ففندت زعمها هذا قائلا انى لا أؤمن بهذه الحاسة أو بخرافات الأشباح والجن .

وقالت : انك رجل عنيد ، أحمق ، متلون ، ولا مبدأ لك .

فقلت : أنت عجوز شمطاء ، عصبية تتخيلين أوهاما وأشباحا حين تجدين نفسك وحيدة خلال الليل .

وعادت تذكرنى بأنى كنت دوما مخطئا فى تقديرى للأمور كلها ، أما هى فسديدة الرأى ، حكيمة عاقلة .

وقلت اننا عـلى طرفى نقيض ، هى فى الجانب المظلم وأنا فى الجانب المشرق ، وأننى لست مثلها أحصى كل صـغيرة وكبيرة فى سجل خاص كما دأبت هى على أن تفعل ، واننى لا أحب أبدا أن أضعها فى مواقف حرجة بغيضة الى نفسها ..

وأخيرا قالت : خير لى أن أنام فى فراشى وحدى وأن يعتزل كل منا الآخـر .

وقلت لها : ان هذا ما أرتضيه وأنشده .

تمددت وحدى فى فراشى وغلبنى النعاس .

وعندما استيقظت فى الصباح ، وجدت مارج جالسة على حافة الفراش تحدق فى وجهى ثم نهضت وانحنت فوق رقبتى وقبلتنى قبلة فى جبينى .

وقالت : أعتذر لك عما بدر منى ، هذا اذا بدأت أنت بالاعتذار .

فقلت : آسف .

وقالت : رأيت حلما جميلا ، حلما من أحلام الصباح الوردية . كان يوما من أيام الربيع والطيور تحلق وتغرد فى كل مكان وقد أخذ بعضها

يحاول أولى زقزقاته ، على حين امتدت خيوط الشمس الفضية عبر النافذة فغمرت الغرفة بالضياء وهب النسيم العليل من الحديقة محملا بأريج الأزهار العطرة المتفتحة الندية .

كانت الساعة العاشرة صباحا فقمنا وارتدينا ملابسنا وهبطنا الى غرفة الجلوس وأخذنا نقرأ صحف الصباح .

فقالت جين تسألنى : اننى أعد طعام افطار بسيط أتريد البيض مسلوقا ؟

فأجبت صائحا : نعم بيض مسلوق وعسل نحل وأعدى مثله لمارج ، أين هومر ؟

قالت جين : لقد خرج يتريض فى الحديقة .

— متى خرج ؟

— فى الساعة التاسعة وقال انه سيعود سريعا ليتناول طعام الافطار ، يا له من صباح وضاح مشرق ..

— انه صباح بديع حقا . وكيف كانت حال آدم ؟

— لم أره أحسن منه اليوم . لقد كان جذلا طروبا وكأنه طفل ذاهب الى المدرسة للمرة الأولى ، وقد خرج ليشترى حلوى ..

— هذا رائع . ونظرت الى مارج ، واعتدلت فى جلستها ولوت رأسها ناحية وقالت : نعم . انه بديع حقا . أليس كذلك ؟

وصاحت جين تقول قبل أن تنصرف : سأعد البيض والافطار فى لحظات .

أخذت الصحيفة وبدأت أنقل بصرى من عنوان الى عنوان دون أن يمسك ذهنى كلمة واحدة أو عبارة واحدة رغم ما حاولت من تركيز انتباهى الى أن سألتنى مارج بلهجة عذبة قائلة : أليس من الأوفق أن نخرج للبحث عن هومر ؟

— أرى ألا داعى لذلك فان أخشى ما أخشاه أن نذهب من طريق ويعود هو من طريق . فلا موجب للقلق ، فلن يلبث غير قليل ثم يعود .

أتظن ذلك يا .. عزيزى ؟

— ماذا يضيرنا لو ذهب هومر يتريض فى الحديقة ، فلقد اعتاد أن يفعل ذلك مرارا .

وأحضرت جين طبقا ووضعته فوق ركبتى ، وكانت فيه بيضتان على خبز مقدد بالزبد فبدتا كأنهما عينان صفراوان تتطلعان الىّ فى خبث وريبة . وفجأة فقدت شهيتى للطعام فنحيت الطبق جانبا ، وعادت مارج تكرر قائلة : ألا ترى أنه من الجـدير بنا أن نخرج للبحث عن هومـر الآن يا عزيزى ؟

ولم أرتح حقا لهذا الأسلوب الذى كانت تنادينى به ، قائلة يا عزيزى : فلقد كان أشبه بنصل سكين حادة ينحدر فوق رقبتى ، فكرهت كل شىء فى ذلك الصباح الجميل ، وخلت أن الشمس والطيور والحشائش والأزهار تسخر منى ولحظت جين ترقبنى وكان وجهها ينضح عرقا فى حبات صغيرة ، كما ظلت أصابع يديها مشتبكة فى عصبية .

ومضت قائلة : أجل . أظن أنه من الخير أن أخرج للبحث عن هومر فارتديت ملابسى على عجل ، ولم أعن بوضع رباط العنق .

وما كدت أغادر مدخل الفندق حتى تطلعت أنعم النظر فى الطريق ، ثم خطر لى أن أمكث فى انتظاره على باب الفندق ، اذ لعله يسلك طريقا بعينه من بين عشرات الطرق التى تفضى كلها الى مدخل الفندق ، ولعله الآن يسلك احداها .. ونفد صبرى بعد دقائق خمس ، فيممت وجهى شطر شارع كونتكت ، ولكن سرعان ما غيرت رأيى فعدت ثانية الى الفندق ، وسرت من وراء مبناه سالكا طريقا ينعطف نحو الحديقة العامة ، ووجدتنى

أحث الخطو نحوها . وبعد مسيرة نصف ميل توقفت ، وقلت لنفسى : ماهذا الغباء . يا له من غباء مطبق ! حقا انى أغبى انسان فما أدرانى لعله الآن رجع الى الفندق ولعل جين ومارج تسخران منى لاندفاعى وما كدت أصل حتى سألت البواب : هل رأيت السيد آدم ؟

— لا يا سيدى . لم أره منذ انصرافه فى الصباح . لقد خرج مبكرا ولم أره عند عودته .

— متى خرج ؟ وماذا فعل ؟

— لست أدرى ماذا كان يفعل ، وكل ما لاحظته أنه سار الى حال سبيله .

— هل كان معه أحد ؟

— دعنى أتذكر لحظة . كلا لم يكن معه انسان . وكل ما كان أنه سار فى طريقه لا يلوى على شىء ، وان يكن قد عاد الى الفندق فأعتقد أنه قد أخذ فى عودته طريق الشرفة وحمام السباحة . فهذا أسرع له لو أنه قد قصد الحديقة ليتجول فيها .

— هو ذلك بالتأكيد . أشكرك .

ووجدت حقا أنه من الطبيعى أن يسلك هومر طريق الشرفة الواقع خلف الفندق لو أنه ذهب الى الحديقة ، وقد يكون عاد فعلا حين كنت أنتظره فى الناحية الأخرى أمام الفندق ، فان كان قد فعل فلابد أنه مر بمسجل الفندق ، وعلى هذا فيكون ذلك الأخير على علم بعودته ووقت وصوله . وعلى ذلك صعدت الى المسجل أسأله هل شاهد السيد آدم ، فأجاب بأنه قد شاهده فى التاسعة وأنه قد ترك رسالة لى فى ظرف وأنه أمره بأن يسلمها الىّ حين عودتى الى الفنــدق على فرض انى قد أعود متأخرا وأنزل فى الصباح متأخرا عنه . وأتجه الى صندوق الرسائل وأخرج

منــه ظرفا سلمنى اياه فوضعته فى جيبى وشكرته ابتسمت له عــلامة على الرضى كما يفعل الناس جميعا فى مثل هذه الظروف عندما يتسلمون أشياء مألوفة مثل خطاب أو طرد صغير ، أو اعلان فحسب أو قائمة حساب . وبعد ذلك خطت قدماى الى المصعد وطلبت من العامل الصعود بى الى الطابق الخامس ، ورحت أعلل نفسى بأن الرسالة قد لا تحوى شيئا مثيرا أو لعلها تحوى اعتذارا عن تأخر هومر فى الرجوع قليلا ، وقلت لنفسى ليس ثمة ما يدعو الى تهويل الأحداث . أشياء لا مبرر لها !

وأخيرا وجدت من الخير أن أفض الرسالة قبل دخولى الى جناحه فأخرجتها من جيبى وتأملت الظرف وكان من ظروف الفندق وكان مكتوبا عليه اسمى هكذا « ستيف سميث » وبالطبع لم يكشف لى ذلك عن شىء ولم يزدنى علما ، ثم رحت أحدث نفسى عما اذا كان هومر قد لاذ بالفرار وكان على أن أعلم ذلك فى الحال لأن هذا أجدى وأنفع ، لهذا أخذت فى فض الغلاف ، ثم ما لبثت أن طويتها ، وأعدتها الى جيبى وفتحت الباب ودخلت الى الجناح فاستقبلتنى مارج قائلة : خيرا .

فسألتها أنا الآخر : ألم يعد ؟

بيد أنها لزمت الصمت ، فقلت : لقد ترك لى رسالة . أظنه ترك لى رسالة حاولت أن أفضها غير انى لم أجد ثمة فائدة من فضها .

قالت : هاتها .

والتقطت الظرف من يدى ودست ظفر ابهامها فى الغلاف فبرزت الرسالة دون عناء ، وكانت صفحة كاملة من الورق مكتوبة على وجهيها ، بسطتها مارج فوق المائدة ، ورحت أطالعها من فوق كتفها وأقرأ :

« عزيزى ستيف :

أرجو أن تعد رسالتى هــذه استقالة من المؤسسة القومية لاعــادة



الاخصاب فان الدستور وقوانين الدولة تخولنى حق الاستقالة وهآنذا أقدم استقالتى .

انى آكره أن أفعل ذلك ويؤلمنى أن أتصرف هذا التصرف لأنى أعلم أنه سيؤدى بك الى المتاعب ، ولقد كنت صديقا لطيفا لى ، ولن أنسى اهتمامك بى وأعتذر لك الاعتذار كله عن أنى كنت مبعث بعض المتاعب

والمشاكل ، غير أنى واثق بأنك قادر على أن تخلص نفسك من أية ورطة أو حرج أو أزمة .

ولابد لى مع هذا من أن أقر لك بالحقيقة التى لن تلبث قليلا حتى تصل اليها : انى ذاهب مع «كاتى» . ولقد بذلت أقصى ما فى وسعى كى أؤدى واجبى كاملا . ولكننى أقر فى الوقت نفسه أنه لو لم يقع الاختيار على عضو الشيوخ « نوت » لتكون الأم الأولى ما أثارنى الأمر الى هذا الحد . لقد كان الاختيار ضربة قاضية لأحلامى ولى مع هذا أن أستشهد برأى وجيه لكاتى فهى تقول ان الطفل الأول من مشروع التلقيح الصناعى سيرث كل الصفات السيئة التى تجتمع فى العضو فاى نوت وفى ولا أجد لى ازاء هذا الحق فى أن أفرض مثل هذه الضريبة القاسية على العالم البشرى .

كم أنا آسفة لاضطرارى الى التخلى عن مارى ايلين واليانور الصغيرة . غير أنه مما يخفف حزنى أن هناك قدرا طيبا من المال يمكنهما من الانفاق عن سعة . ولا أخال مارى الين الا مدركة أن فرصتى الوحيدة فى السعادة هى الاستقالة وأن أذهب بعيدا مع كاتى ، ان كاتى هى الشخص الوحيد الذى أحس أن فى مقدوره أن يساعدنى .

وبعد فالى اللقاء يا ستيف . هومر . » .

ملحوظة : تحياتى وحبى لمارج ، وبلغ عنى جين تحية الوداع ..

وما أن انتهيت من قراءة الرسالة حتى أمسكت سماعة التليفون ، الشىء الذى جعل مارج تسألنى عما أنتوى عمله . والواقع أنى فعلت ذلك دون هدف مرسوم ، وقد خطرت لى أول وهلة فكرة الذهاب الى نيويورك والعودة الى منزلى . غير أن مارج أخذت سماعة التليفون من

يدى وهى تقول : ليس من اليسير عليك أن تفعل يا ستيف فأنت رجل مسئول ولو تخليت عن هذه المهمة فسأهجرك أنا أيضا . وأقسم لك على ذلك .

وخلال هذا كانت جين تقرأ الخطاب فما كادت تنتهى منه حتى سقطت على الأرض ، فاقدة وعيها ، مما جعل مارج تصيح قائلة : انظر ماذا فعلت أيها الرجل . لقد فقدت وعيها ، هيا أحضر خرقة مبتلة ، واعمل على أن تعود الى وعيها وتفيق ثم فكر وفكر على مهل ..

الفصل الحادي عشر

كانت نتيجة هذا الحادث الحقيقية أن استيقظت غرائزى وأخذت تصيح بى أن أفر وأن أفر على عجل ، غير أن هذا الفرار كان أمرا مستحيلا اذ كان على أن أفعل أمورا بعينها ، فاتصلت بالمؤسسة القومية لاعادة الاخصاب تليفونيا وطلبت السيد بمفرى ، وأجابت مساعدته الخاصة متسائلة عن المتحدث فطلبت اليها ابلاغه أن ستيف يريد التحدث اليه ، فطلبت منى أن أرجىء ذلك لأن أمرا هاما يشغله لا يستطيع أن يفرغ منه لحظة . فقلت : ان الأمر جد عاجل ولهذا أرغب فى محادثته سريعا . فقالت انه لا يرغب فى أن يزعجه أحد ، فهو منهمك من رأسه الى أخمص قدميه فى اعداد خطاب بمساعدة السيد جيبلمان لتسجيله والقائه فى الاذاعة عن بدء التلقيح الصناعى .

فقلت : أريده لأمر على جانب كبير من الأهمية يتصل بخطابه هذا ارتباطا حيويا .

— لا ضير اذن من أن أهيىء لك الاتصال به .

ورد علىّ حين سمع صوتى : من المتحدث ؟ أهذا أنت يا سميث ، انى جد مشغول الآن هل تستطيع أن تؤجل الـ ..

فقاطعته : لقد هرب هومر آدم .

وبعد ذلك سمعت صوتا مختنقا فى الجانب الآخر من التليفون ثم هذه الجمل الموجهة الى : أخالنى أفهم ما تقول يا سميث ستيف . هل قلت ..

فرددت للمرة الثانية : لقد هرب هومر آدم . ذهب واختفى تماما ولم يعد له أثر .

وبعد ذلك سمعت أصواتا عالية غريبة غير مألوفة فى الجانب الآخر من التليفون وكانت عبارات وكلمات متقطعة ومفككة ، لم يكن مصدرها آبل بمفرى .

وقالت مارج : ماذا حدث ؟

— لست أدرى ! لا آكاد أسمع شيئا غير أصوات مبهمة ، وكأنه قد شاعت فى المكان فجأة حركة دائبة لعمال ينقلون أثاثا .

غير أنى رحت أنادى : « هالو . هالو . » وبعد بضع دقائق سمعت من يجيب :

— هالو .. هالو أنت سميث . أنا جيبلمان . ما الذى فعلته بيمفرى ستيف ؟

— وما الذى حل به ؟

— انه فى غيبوبة وجسمه بارد برودة الثلج . أظنه قد أصيب بنوبة قلبية وها نحن ذاهبون به الى المستشفى .

وحدثته عن هومر آدم ، وأنه قد استقال وفر هاربا .

عندئذ صرخ جيبلمان وكأنه يعانى مغصا شديدا وهو يقول :

— لا ، لا تقل هذا ، لا تقل شيئا . سأحضر اليك فى الحال وانتظر حتى أصل .

قلت : سأتصل بمكتب المباحث . ينبغى أن أفعل ذلك . وانى آسف لما أصاب السيد بمفرى .

— رباه ! لو ذاع هذا النبأ ! أتظننا سوف نعثر عليه سريعا ؟

— لست أدرى اذا كان فى وسعنا أن نعثر عليه . اننا سوف لا نجده أبدا .

— حسنا اتصل بمكتب المباحث على شريطة ألا تذيع الخبر فتقضى على مستقبلنا جميعا . ولا تَنسَ أنه من المحتمل العثور عليه .

ثم انتهت المحادثة .

وقالت مارج : ما أغربها من محادثة .. ماذا حدث ؟

— آه لقد أصيب بمفرى بنوبة فى قلبه وقد أخذ جيبلمان يسيطر على الموقف .

— لو مات « بمفرى » لوقعت الطامة على رأسك واتهموك بقتله .

ومن ثم اتصلت بعامل التليفون ، وطلبت منه الاتصال بمكتب المباحث . ثم أخبرت مارج محذرا اياها أن تقول لى شيئا آخر عن بمفرى والا استقلت وذهبت مثل هومر الى حال سبيلى ، واذا بقيت حال بمفرى تسوء ، وظل قلبه لا يرجى شفاؤه وقدر له أن يودع الحياة فى صباح هذا الربيع الجميل فلا لوم علىّ ولا تثريب . وأخذت مارج تعطس ، وبدأت جين تعود الى نفسها وتسترد وعيها ، ثم وضعت ذراعها حول كتفها وأحسست أنى وحدى انسان تافه حقير ، لا جدوى منه ، ثم تسللت خارجا وقصدت مكتب المباحث وقابلت المفتش تكس روت . وكان تكس روت رجلا نحيلا ضئيلا ، سريع الحركة ، مرنا كالسوط المصنوع من جلد الثعبان الأسود ، ولم يبد عليه شىء من الدهشة بعد أن فرغت من سرد قصة هرب السيد آدم لأنه كان دوما يدير فى رأسه رأيين تجاه أية فكرة أو مشكلة تعرض له وأذكر أننى قابلته من قبل حين ذهبت اليه أطلب تقريرا عن ملف « الاطار » ولهذا فقد قال حين أخبرته بنبأ فرار هومر : هل تملكته تلك الفتاة ؟

— أعتقد ذلك .

— لقد ارتقبت هـذا الأمر ، ولكن لا تبتئس وتشجع » اذ ربما جرت الأمور على العكس مما تتصور وأظنك تحرص على ألا يذاع الخبر أليس كذلك ؟ .

— أجل فقد يؤدى هذا الى عدم وقوع نفر من الأبرياء تحت طائلة القانون ظلما كما يجنب كثيرا من حوادث الاغتيال والقتل وأشياء أخرى لا أدرى عنها شيئا على وجه الدقة .

فوافقنى « نكس » على رأيى وقال : حقا قد يحدث هذا ....

رأيت فيه رغبة متصلة فى الابتسام واستأنف حديثه يقول :

— حسنا . لن نعلن عن هروب هومر . لما يحن الوقت بعـد . أظنك ترى معى أنه قد هرب مع تلك المرأة رايدل .

— لقد ترك وراءه ما يفيد ذلك وأعنى به ملحوظة صغيرة .

— حسنا سأبعث برجال الشرطة السريين ليراقبوها فى محطات السكك الحديدية وفى المطارات والسيارات العامة والأجرة وان كنت على يقين من أنها — لذكائها — لن تلجأ الى وسيلة من هذه . على أية حال انتظرنى فسأحضر اليك بعد خمس دقائق .

وصل جيبلمان أولا ولم يكن وحده فلقد كان معه كلوتس وكان يتقدمه ، غير أنى رأيت الاضطراب والخوف يسيطران عليه فبدا غـير متماسك لا يكاد يثبت وما كدت أراهما حتى وخزنى شعور بالذنب والاثم فصحت عندها قائلا كيف حال بمفرى ؟ فأجاب كلوتس : يؤسفنى أن حاله لا تدعو الى الاطمئنان وانا لنشفق عليه ونرثى له » ولست أدرى ما هى العواقب السيئة التى سوف تقع مع موت بمفرى لو قدر له أن يموت الآن . ان المؤسسة سوف تتحطم وتنهار ولست أجد كفئا يخلفه وسيظل مكانه شاغرا بكل تأكيد .

فقال جيبلمان : ان الأمور تنذر بالسوء ، فهناك لغط كبير وجدل كثير حول وضع المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب تحت اشراف وزارة الداخلية أو الصحة ، هذا اذا أصاب بمفرى مكروه لا قدر الله اذ من العسير عمل شيء خلاف هذا . فالانتقال المفاجيء أمر لا مفر منه ، وليس عنه محيص ، وسوف لا يؤثر هذا الأمر فينا طبعا كما لن يكون له أثر علينا . هذا الى أن وزارة الداخلية تحثنى على الانضمام اليها وكذلك تحاول وزارة الخارجية أن أقبل العودة الى عملى السابق بها ، انه لشيء يدعو الى الأسف والجزع أن نهجر مثل هذه المؤسسة الرائعة المحكمة الدقيقة الصغيرة — المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب .

فقال كلوتس : يقينى أنه الاحساس نفسه الذى أشعر به لو تركت هذه المؤسسة ، بل ان أسوأ ما فيه أنى سأظل محتفظا بعملى ومهمتى الى أن يحين الوقت لوقف المشروع .

هز جيبلمان رأسه ثم جلس وقال : لست أجد وسيلة انقاذ فى هـذا الموقف الشائك، فاذا أخفقنا فى العثور على آدم سريعا فلن نعرف كيف تهدأ الأمور ، لست أدرى حقا كيف نستطيع أن نسيطر عليها بوسيلة ما . واذا ما علم العقيد فليبس سمايث بفرار آدم فلن يتوانى عن اللجؤ وشيكا الى وزارة الحربية ولا ندرى ما سوف يقوله حقا للمسئولين ، وما سـوف يتخذونه هم حيال هذا الأمر الجلل .

ووصل المفتش تكس روت فأحسست سروراً لرؤيته ولم يكن يبدو عليه الاتزان والتعقل فحسب ، بل كنت تدرك أنه قادر على البقاء على حاله . وأعطيته خطاب هومر فقرأه مرتين بصوت عال ثم قال :

— لن يستطيعا الافلات منى .

قلت : ولم لا ؟

— لأنهما مشهوران معروفان مثل جوزيف ستالين وونستون تشرشل بل لعلهما أكثر منهما شهرة ، انه لا يكاد يقصد مكانا حتى تعرفه الجماهير وتلتف حوله » ولا تنس أن اليوم هو موعد بدء التلقيح الصناعى ، فاذا ظهر فى مدينة ما مثل كنساس فلابد أن يصيح القوم « هذا هو آدم » ما الذى جاء به الى هنا اليوم والمفروض أن يكون فى واشنطن لبدء تنفيذ المشروع ، وهكذا الى أن يقع فى قبضتنا .

— لعمرى انه تحليل معقول .

هو تحليل معقول ويزيده قربا الى ذلك اذا ما أنذرنا الجهات كلها وأنبأناها بما حدث . ويقينى انه لو تم هذا فلسوف نمسك بهومر والفتاة خلال ساعات .

قال جيبلمان وهو يذرع الغرفة جيئة وذهابا : حسنا ، ولكن هل تستطيع أن تتخيل ما يقع لو أذيع النبأ » لو أذيع ان هومر آدم قد فر ؟

ويبدو أن تخيل نكس روث لما سيقع عقد لسانه فاستحال عليه الكلام ثم قال فى هدوء :

— أرى أن فى هذا اثارة للفتنة والاضطراب وأنه لا يقل خطورة عن معركة « بيرل هاربر » بل انه يفوقها سوءا كما أنه ينذر بعواقب وخيمة فقد يقتل فيه أناس كثيرون ، وعلى سبيل المثال قد تلقى كاتى رايدل حتفها ، وقد يقضى على عدد كبير من أعضاء المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب هؤلاء الذين يحرصون — دون غيرهم — أشد الحرص على الحياة ويعملون من أجل بقاء حياتهم وحياة الآخرين » لقد زاد ايمان الجماهير بهومر آدم ، وبمشروع التلقيح الصناعى وانى على بينة مما أقول لأننى زوج . ولقد تعقدت الأمور حين علم الناس أن آدم يعاشر زوجته الشرعية ، ولست أدرى ماذا سيفعلون حين يعلمون أنه قد هرب مع عشيقته الممثلة ..

قال جيبلمان : صدقت . سيعم الاضطراب ، وستسود البلاد الفوضى والخراب .

وأخذ تكس روت يفكر فى الأمر مليا على حين ظل ينقر بأصابعه الرفيعة الدقيقة على ذراع كرسيه ثم قال :

— ان العثور على آدم من واجب مكتبنا ، ويجب العثور عليه بأسرع ما نستطيع ، اننى أميل الى أن أعد الحادث اختطافا ، فاذا لم يتم لنا الاهتداء الى آدم حتى منتصف الليل ولم يعثر مخبرونا على أثر له فلا مناص من اذاعة الخبر ، فوافقته ورحت أروى له كل ما تعنيه معرفته عن هومر آدم وقصصت عليه ما أعلم عن محادثات « الاطار » فى التليفون مع هومر وكذلك كل شىء يخصهما . وعندما وصلت الى النقطة التى تتصل بعلاقتهما واهتمامهما المشترك بآثار الأزتيك أومأ روث برأسه وقال : أرى انهما قد وليا شطرهما صوب بلاد المكسيك فاذا كانت هذه وجهتهما فسنعرف ذلك فى الحال .

واتصل المفتش بمكتبه وأملى على مساعده بعض تعليمات أخرى وعاد الىّ يستأنف حديثه :

— وهكذا ترى أنه قد استقر رأينا على مراقبة كل المصالح التجارية والطرق التى تتصل بالمكسيك ، على أن نراقب الطائرات الخاصة التى تزمع الاقلاع الى هذه البلاد .

وقصصت عليه كل ما أعلمه عن محادثتهما مع هومر ، وبعدها قصدنا معا الى شبكة التليفون بالفندق ، فقالت احدى العاملات انها تذكر أن الآنسة رايدل قد اتصلت به مساء أمس ، ولم تكن المكالمة خارجية بل كانت محلية وان كانت لا تعرف مكانها ، فقد اعتادت الآنسة رايدل الاتصال

به من خارج المدينة غير أنها لاحظت أن محادثتها طوال الأيام الثلاثة الخالية كانت من واشنطون نفسها .

قال روث لدى عودتنا الى الطابق الخامس :

— هذا يفسر لنا انها كانت بواشنطن الليلة السابقة . أين تقيم هذه الفتاة عادة عندما ما تحضر الى العاصمة ؟

ولما ذكرت له اسم الفندق اتصل به بالتليفون واتضح ان ادارة الفندق لا تعلم شيئا عنها ولا عن وصولها حتى الى واشنطن . فقال روث :

— لقد ظلت مختفية مدة ما ، وهذا يدل على أنها قد دبرت خطتها بعناية وألخشى ما أخشاه ألا نعثر عليها الا بعد جهد جهيد . انها لفتاة ذكية ، وشديدة الذكاء .

دق التليفون فردت جين زيتر وخاطبتنى قائلة :

— ان معامل مؤسسة اعادة الاخصاب تقول ان الأطباء على استعداد لاستقبال السيد آدم وانهم فى الانتظار منذ وقت طويل .

وكنت قد أنسيت ان الوقت قد جاوز الظهيرة فقلت :

— قولى لهم ، قولى لهم .. ماذا أقول لهم يا جيبلمان ؟

قال : رحمتك يا الهى . دعينى أفكر . خبريهم ان السيد آدم لا يستطيع القيام بما فرض عليه اليوم .

قلت : هذا سلوك معوج . ومن الواجب علينا آن ندبر الأمر على طريقة أفضل ويقينا سوف نجد الظرف مواتيا فيما بعد ، فى وضح النهار أو هذا المساء عندما تتصل بنا فاى نوت وتطلب تحقيق فرصتها فى الحمل .

وقال جيبلمان وهو يتأوه ؟

— آواه . ليتنى ما تركت عملى فى وزارة الداخلية ! كم أنا نادم على ذلك ، ان شيئا مثل هذا لم يحدث أبدا فى هذه الوزارة .

وقالت جين فى التليفون : أرجو أن يظل الخط متصلا .

فسألت : ألم يخطر ببال واحد منكم رأى من الآراء ؟

قالت مارج تعرض رأيا : لم لا تدّعون أن ثمة مشكلة دولية عرقلت سير المشروع ؟

فقال جيبلمان : يا لها من فكرة رائعة : مشكلة دولية ! قل لهم ان السيد آدم لن يستطيع القيام بما هو مطلوب منه اليوم لأن الجو السياسى مشحون ببعض الخلافات الدولية ، وأن ثمة أمورا ينبغى تصفيتها قبل البدء فى مشروع التلقيح الصناعى .

فانبرت جين تسوق الخبر الى المعامل .

وقلت : ولكن ما هى هذه الأمور التى ينبغى تصفيتها ، اذ من الخير أن نكسب الحيلة صفة الحقيقة الواقعة .

قال جيبلمان : ليس هذا بالأمر العسير ، وفى وسعى أن أعدد جملة من الأمور التى هى فى مسيس الحاجة الى التصفية ، فلدينا بين ملفاتنا أكوام من الاحتجاجات ، وهناك تلك المذكرة التى وصلتنا من الروس مساء أمس ، يتهمون فيها فاى سمنرنوت بعداوتها للاتحاد السوفيتى ، هـذا الى أنهم لم يعثروا بين القائمة كلها على أية مرشحة مشهود لها بالميل الى الاتحـاد السوفيتى ، وانهم على ذلك يعترضون على قائمة الترشيح كلها .

أما الفرنسيون فثائرون ، قد أعماهم الغضب وكذلك الصينيون وهؤلاء وهؤلاء يتصايحون بأنه اذا لم يمنح السبق لدول معينة كان ذلك شـهادة صريحة بأن الولايات المتحدة لا تريد أن تقدم الضمان على أنها تتبع سياسة لا تقوم على الأثرة الذاتية .

قلت : تكفينا هذه الحجة وحدها ، فهى كفيلة بأن تشد أزرنا الى منتصف الليل على الأقل .

قال جيبلمان :

— حسنا وسأذهب الآن الى المؤسسة حيث أبدأ العملية الحربية المعوقة . غير أنى أريدكم على أن تفهموا عنى ما أقول . اذا لم يسو الأمر على الوجه المرضى قبل منتصف الليل فعدونى مستقيلا وعدوا مهمتى معكم قد انتهت . وعند منتصف الليل سأغادركم وأترك المكتب ولن أعود وستجدوننى فى صباح اليوم التالى فى وزارة الداخلية .

قال كلوتس وهو ينهض : لو كنت قد قبلت أيها السيد سميث أن تعمل بمشورتى منذ البداية فسمحت للسيد آدم أن يعمل فى كفالة لجنة تحمل معها المسئولية وزارة الحربية لما وقعنا فى هذه الحيرة ، كما لا تنس أنك قد عرضت حياتى ومهمتى للخطر أيها السيد .

وطفقت أتحدث معجبا لأن مارج وجين كانتا حاضرتين . ولكن جيبلمان وكلوتس كانا قد خرجا ، ثم دلفت الى المطبخ فوجدت نكس روث قد وضع أمامه قطعة من الجبن على عيش مقدد ، فأشرت عليه أقول : اذا كنت تحس الجوع فسأبعث لاحضار طعام لنا معا .

فأجاب : لست جائعا ، ولكنى أرخى لتفكيرى العنان فحسب فانى أحسن التفكير حين أتسلى بمضغ العيش المقدد .

وسألته : فيم تفكر الآن ؟

— كنت أفكر فى أن هذا الذى قالته زوجتى ذات يوم يشبه كثيرا هذه المشكلة التى نحن بصددها والتى نعانى منها ، اذ قالت يحدث أحيانا نقص فى بعض السلع وفى الحال يبدأ الانتهازيون فى استغلالها فى السوق السوداء .

— ألست تقصد بقولك هذا ان كاتى قد اقتنصت هومر لتستغله فى تجارة الأطفال فى سوق سوداء ؟

— نعم ان هذا هو ما تود أن تقوله لى زوجتى صراحة ، وهو فى الحق احساس غريزى فيهن ولكنى لست واثقا من أن هــذا هــو ما يحفز « الاطار » فلعل هنا بواعث أخرى علاوة على استغلال السلع فى السوق السوداء ولكن يصعب علينا اكتشافها .

استطعت أن أتخيل « الاطار » فى صورة انسان تجمعت فيه وفرة من الأضداد ، وما خطر ببالى على أية حال أنها جشعة نهمة فى جمع المال .

وقلت : ما أظنك الا ساخرا ؟

— أتظن ذلك ؟ حسنا .أدر المذياع .

— وما صلة المذياع بهذا ؟

وقضم تكس روت قطعة صغيرة من الخبز المقدد ومضغها وان لمضغه لصوتا ثم حشى فمه بقطعة أخرى ، وقال وهو يمضغ : ان لهومر آدم أثرا فى سوق الأوراق المالية . أليس كذلك ؟

فأجبت : بالتأكيد ، اذ كلما كان آدم بخير ارتفعت قيمة الأوراق المالية واذا انخفضت فان هــذا يبدو ايذانا بأن آدم اما مريض أو أن المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب فى ورطة شديدة .

— وعلى قدر ما يصل اليه علم الجماهير يعد هذا اليوم يوما مشهودا يحمل رواجا كبيرا لكل شىء . أليس ذلك كذلك ؟

— بالتأكيد . فانه يوم التلقيح الصناعى .

— وعلى ذلك أينبغى أن ترتفع أسعار سوق الأوراق المالية ؟

— آه أظن أنها ترتفع ارتفاعا وسطا . ومهما يكن من شىء فان التجار المحترفين كانوا قد قاطعوا يوم الاخصاب الصناعى .

— وما رأيك اذ أدرت المذياع فعلمت منه أن ســوق الأوراق المالية قد هبطت ؟

وفكرت مليا فى هـذا الأمـر وقلت : حقـا لو حـدث كساد عـام فى الأسواق فتفسير هذا أن الحرب قد أعلنت أو أن العالمين ببواطن الأمور من رجال الأعمال والمال قد ظنوا أن حياة آدم قد انتهت وأصبحت فى خبر كان .

قال تكس روت : حسنا انى أستحثك على أن تدير المذياع .

وأدرت المذياع فسمعنا شيئا من الموسيقى ثم غنت فتاة أغنية ضاحكة قصيرة عن منع الحشرات من الوصول الى الفراش . ثم أعلن الاتحاد القومى للصناعة عن تقديم السيد هنرى موليت للتعليق على الأخبار كما يرى هو بطريقته المبتكرة التى لا تخضع للرقابة .

وقال لى تكس روت : انصت منعما .

بدأ السيد هنرى موليت حديثه بتقرير دقيق قاطع بأن السوق المالية قد هبطت على أثر انتشار شائعات مصدرها واشنطن ، بيد أنه لم يفسر لنا ما هى هذه الشائعات .

وقال تكس روت : لعلك تدرك الآن سبب تهكمى ، انك ترى أنك قادر على أن تخفى خبر هروب آدم . ولكن تأكد أنه اذا علم انسان ما بهذا السر فسوف يفشيه ويذيعه ثم يستخدمه أسوأ استخدام بل قد يخطر له أن يبيع البشر والبشرية لتوه .

ولم تعجبنى منه عبارته عن بيع البشرية وكاشفته بذلك فنصحنى بأن أكون واقعيا وأيد رأيه بما حدث خلال الحرب ، فقد جمع كثير من الناس ثروات طائلة من بيع السفن والطائرات ، على حين مات من كانوا يقودونها معدمين وراحوا ضحايا شهداء . وبعد أن انقشـعت غمة الحرب أثرى كثيرون من بناء البيوت عدا هؤلاء الذين يستأجرونها ليسكنوها فقـد ظلوا فقراء ، فقلت له ان هذا كله لا صلة له بالأسواق السوداء غير أنه

قال ان حديثه هذا يوضح اقتصاديات نقص السلع وانه كذلك يوضح الأسباب الأخرى التى من شـأنها أن تدفع الاطار الى اقتناص هومر واختطافه علاوة على تلك الأسباب التى ذكرناها آنفا .

ظل التليفون يدق دقا متصلا وكنت فى كل مرة أدعو الله أن يكون تكس روت هو المقصود ولكنه سبحانه وتعالى لم يشأ أن يستجيب لدعائى .

واتصل بى كلوتس وأخبرنى بأن صحة السيد بمفرى فى تقدم وأنه قد اجتاز مرحلة الخطر وأن ضغط دمه قد ارتفع ولقد نصحه الأطباء بأن يلزم الراحة شهرا ، وأن الأمل فى شفائه كبير .

واتصل بى أيضا السيد جيبلمان ليخبرنى بأنه قد أصدر نشرة يعلن فيها عن تأجيل التلقيح الصناعى أربعا وعشرين ساعة ، وأن هذا النبأ كان له أثر سيىء فى الناس وأن الصحافة ترغب فى أن تعرف مغزى هذا التأجيل وقال يفسر : أما عن المشاكل الدولية الطارئة المزعومة أو بمعنى آخر الستار المزعوم فقد أصبح من العسير ان يخدع الناس به طويلا أو أن يؤدى الى تحقيق الهدف الذى قصد منه فقد نقلتها وكالات الأنبـاء الى موسـكو وما تزال موسـكو تجهل حقيقة الأمر ، وبهـذا أصـدرت تكذيبا لها ، فأثار ذلك سخط وزارة الخارجية التى فكرت هى الأخرى فى أن تكذب دوائر موسكو .

وأضاف : لقد كان يوما من تلك الأيام التى تبعث اليأس فى قلب الانسان وانى أفضل لهذا السبب العمل فى وزارة الداخلية .

وعندما حل وقت العشاء التهم تكس روت وجين ومارج بضع شطائر بالدجاج وجرعوا أكوابا عديدة من اللبن أما أنا فلم أعد أحس الجوع ، وظللت كذلك حتى أوشك الليل أن ينتصف وبدأت الرؤى المخيفة تتراقص أمام عينى وأنا أتخيل نفسى وقد أصبحت عدو الشعب بعد قليل ، بل عدو

العالم رقم (١) وأن لا قوة على الأرض بوسعها أن تنقذنى ، ولا مهرب لى ولا نجاة ، وحدثت نفسى طيلة الوقت أقول ان الانسان ليفقد القدرة على التفكير ويصبح ما يرى وما يعتقد وما يستمسك به من مبدأ ممزق الأوصال تحت وطأة أزمة كالتى نكبنا بها ، ومما زاد الطين بلة أن كل شيء كان يبدو فى عينى على صورة سوداء كئيبة لا تمت الى الواقع بصلة ، ثم اتصل بى دانى وليامز من البيت الأبيض وأطلعنى على مجريات الحوادث والأمور هناك وكانت لا تقل سوءا عما هى الحال فى كل مكان .

قال دانى : لقد اجتاحت رئيس الجمهورية ثورة من الغضب ونوبة من الغيظ كادت تخرجه عن اتزانه ووقاره ، بيد أننى لا ألومه فليس الذنب ذنبنا والا فما بالهم لم ينبئونا بما وقع ؟ .

قلت معتذرا : لقد ظننت أن شخصا ما فى المكتب سوف ينبىء الرئيس بذلك بيد اننى لم أوافق على نقل الخبر الى البيت الأبيض فلن يكون له غير وقع سيىء . كما انى كنت أعرف كما يعرف دانى أيضاً ان ليس ثمة انسان فى مؤسسة اعادة الاخصاب بوسعه أن يكون رسولا يحمل أنباء غير سارة .

— لم نكن نعلم شيئا الى أن أنبأتنا وزارة الحربية .

— آه . هل كانوا يعرفون هذا الخبر ؟

— حقا وكل فرد فى واشنطون كان يعلم عدا رئيس الجمهورية وحده الذى لم يكن على علم بشيء وهو لذلك يطالب برأسك ، غير أنى رجوته فى أن يعطيك فرصة أخرى وأعلم أيضا أن مكتب المباحث قد أعطاك مهلة أخيرة على شريطة ألا تتجاوز منتصف هذه الليلة .

— هذه خطوة سديدة ، بيد أنه ليس عندى شيء من الأخبار الطيبة .

— حسنا فان وزارة الحربية سوف تتدخل اذا لم يعد آدم حتى منتصف

الليل وهم يدبرون ويرسمون الخطط الحقة الكفيلة بارجاعه . ان الموقف لجد خطير يا ستيف .

أعرف ذلك .

— آسف يا ستيف ، وأرى أن هذا هو الطريق السليم الذى ينبغى أن يسلك .

ووافقته على رأيه ، وانتهت المحادثة وشعرت بتعب شديد ثم قلت لمارج : لقد قضي علينا جميعا وان زوجك لغارق فى فضيحة فمن الخير أن تبدئى باعداد حقائبنا .

فسألت وهى تحاول أن تصطنع قلة المبالاة : أتقول من ؟

— هكذا يقول رئيس جمهورية الولايات المتحدة .

فقالت فى صوت خافت : كم أنا آسفة محزونة من أجلك يا ستيف ؟ ما الذى سوف يفعلونه بك ؟

قلت : لا شأن لهم بى من الناحية الرسمية . أما من الناحية غير الرسمية فانى لا أريد أن أتنبأ بشيء . قد يخطر ببالك ما يفعله الجمهور الأمريكى بلاعب البيسبول حين يفشل فى لعبه ، أو بلاعب كرة القدم الذى يخطىء ، وما أنا بمستطع أن أتخيل ما سوف يفعلونه بى .

واتصل بى جيبلمان مرة أخرى ليقول ان فاى سمنرنوت ثائرة ، وانها قد خرجت عن شعورها كالعروس التى فر زوجها مع امرأة غيرها فى ليلة زفافها . وقلت له أريد أن أخبرك بأننى قد أعددت أوراقى وانى على أهبة الرحيل فلا أريد أن أشارك بقسط ما من الجهد فيما سوف يحدث .

وفى العاشرة اتصل تكس روت بمكتب المباحث فوجد أن مخبريه لم يصلوا بعد الى نتيجة ما . فبعد أن وصلت كاتى الى واشنطن منذ أربعة

أيام اختفت اختفاء الابرة فى كوم من التبن كما اختفى هومر آدم حين سار لا يلوى على شىء الى غابات روك كريك بارك المنسقة .

قلت : وما الذى يحملنا على الانتظار ، ولماذا لا نكشف عن الحقيقة ؟ فلقد تكون اختطفته فى سيارة وكلما طال انتظارنا قبل أن نذيع النبأ ابتعدت به عن قبضتنا .

قال روت فى عزم وقد تناول احدى المجلات وراح يقلب صفحاتها .

— لا . سننتظر الى أن ينتصف الليل كما قلت وعلى أية حال فلن يستطيع رجال الشرطة المحليون أن يعملوا شيئا يبعث الطمأنينة .

— رجال الشرطة المحليون ؟

— نعم ، فعليهم أن يفتشوا الحدائق العامة كلها بحثا عن جثة . هذا عمل طبيعى .

رفع روت عينيه عن المجلة وقال : ليس هذا غير احتمال ، وكل شىء محتمل . وانخرطت جين فى البكاء وكانت جالسة فى مقعدها هادئة تحاول اخفاء دموعها ثم بدأت تفقد قدرتها على كتم صوتها وفى النهاية أخذت تنشج نشيجا عاليا جعل جسدها كله يهتز فى حركة عصبية كما لو كانت تحركها يد خفية . ووضعت مارج ذراعها حولها ورافقتها الى حجرة النوم . ثم عادت وهى تقول اذا لم تهدأ خلال بضع دقائق فلا مناص من دعوة الطبيب .

قال روت : ماذا أصابها ؟

قالت مارج : انها لا تحب كاتى رايدل بل تخافها وتعدها امرأة شريرة. ثم ان جين تحب آدم وتعشقه .

قلت : لا أظن كاتى تبلغ هذا الحد من الوحشية .

كنت أعلم — وأنا أقول ذلك — أنه دفاع أخير ضعيف ، كان الغرض

منه بعث الطمأنينة الى نفسى ، وتذكرت حينئذ تلك النظرة التى ارتسمت على محياها حين كنت أودعها بالمطار ، وما اعترانى من جمود وذهول لنظرة الأثرة التى بانت فى عينها . ثم عدت فى النهاية أقول :

— تكس ، هل تظننى قد جننت حين فكرت فى أن تكون كاتى رايدل قد دبرت خطتها مبتغية القضاء على هومر آدم ؟ وهل تظننى جننت حين قلت لك ان المسألة أكبر من أن يكون هومر قد تملكه الاضطراب واستحوذ عليه الضيق ، وفر هاربا لأنه يعتقد أنه يحب كاتى ؟ وأعنى لو فسرنا الأمر خاصة على ضوء تقريرك عنها وعن وطنيتها وولائها لبلادها ؟ .

قال : ما الذى ترمى اليه ؟

— لنفرض أن ثمة جمهرة من العلماء لا يريدون القضاء على هومر فحسب ، بل على الحضارة كلها ، لنفرض أن انفجار المسيسيبى لم يكن قضاء وقدرا ، لنفرض أنه لم يكن الا حادثا مدبرا ، وأن ظهور آدم قد أفسد الخطة ، ماذا هم فاعلون ليتم لهم تحقيق أغراضهم ؟ ألا تراهم عاملين على شل مشروع التلقيح الصناعى ؟ أو بمعنى آخر على ابعاد هومر آدم عن الوجـود ؟

قالت مارج : هذا أمر مخيف ، لا يطاق ، ان الخوف يسرى فى كيانى كله وانى أرتعد رعبا لذلك .

وزادت التجاعيد فى وجه تكس روت النحيل عمقا وهو يفكر فى هذا الافتراض :

— لعلك تذكر اننى كنت أعمل مع كثرة من العلماء فى مشروع مانهاتان وانى أعرفهم معرفة وثيقة . انهم فى مجموعهم أعقل من عرفت وليس فيهم غير مجنون واحد ولكن الباقين عاقلون كلهم .

قلت : أجل . أنت على حق .

قال تكس : هذا الى أن كاتى رايدل فقدت خطيبها فى حادث انفجار المسيسيبى .

— اذن لننس ما قلت ، أظن الخيال قد جمح بى بعيدا .

— لا . انى لا أستطيع أن أنسى ذلك فانه عالم ملىء بالعجائب ، ولعل أعجب ما فيه هو هذا العقل البشرى ، غير أنه اذا صح أن كاتى رايدل قد اشتركت فى مثل هذه المؤامرة ، فمن المؤكد أنها ليست العقل المدبر وأنها لا تزيد عن عجلة ضئيلة فى الآلة الضخمة شأنها شأن جين زايتر فى المؤسسة القومية لاعـــادة الاخصاب . انهـــا قد تكون ذات فائدة ، ولكنها ليست كل شىء .

— يخيل الى أن استعدادها للغواية والاغراء ليس بعده استعداد .

— صدقت غير أننى أتساءل عن شركائها ورؤسائها . وأخذ روت يعدهم على أصابعه الواحد بعد الآخر وهو يذكر أسماءهم ثم أخذ يقول :

— المعقول أن يكون أولهم روب أبوها الأستاذ بجامعة شيكاغو ؛ وهناك أيضا كانبى وولز وقد سبق لها أن عملت معهما ، وهناك من ناحية أخرى الأستاذ فلكس بل فى نيويورك .

— انه الوحيد الذى لا أحبه من بين هؤلاء العلماء كلهم . وهو يشبه عندى مجرما من مجرمى الشاشة ..

وضحك روت وقال : حقا انه يمثل عندك البطل الشرير على الشاشة ولكنى أراه واحدا من أجمل الرجال المسنين الذين قابلتهم فى حيـــاتى . وقد يقرنى على هذا الرأى شباب جيلين من خريجى جامعة كولومبيا ممن يعرفونه معرفتى فهو يتزعم تقريبا كل حركة من حركات النهضة والتقدم التى تظهر فى مدينة نيويورك ويقف على رأسها دائما ، كما أنه لا يتوانى عن الاسهام بأوفر قسط من دخله فى الأعمال الخيرية ، وأذكر أنه قد تبرع

بمكافأته المالية فى جائزة نوبل للمحتاجين ولأعمال البر على الرغم من أن لديه خمسة أطفال ، وعددا كبيرا من الأحفاد لا أستطيع تحديدهم .

— رغم كل ما تعدد له من محاسن فما يزال يمثل عندى دور مجرم من المجرمين .

— على أية حال فلا ضير من التأكد وستعرف شيئا عما قليل .

قال روت هذا وهو ينهض من مقعده ويتناول التليفون الذى كان بجوارى ، ثم طلب من العاملة أن تصله بالأستاذ روب بشيكاغو ، والدكتور بل فى نيويورك ، وما هى الا لحظة حتى تم الاتصال بشيكاغو غير أن الأستاذ روب لم يكن هناك . وحين انتهت المحادثة قال روت :

— انه هنا فى واشنجطن ويمكننا الوصول الى مقره عن طريق مؤسسة كارنيجى ، أليس هذا عملا عظيما يا ستيف ؟ .

وبعد قليل تم الاتصال بنيويورك وبدأ روت يتكلم بلهجة مهذبة ثم ألقى السماعة بهدوء وهو يصيح : أنا لا أصدق نفسى أتصدق أن الدكتور بل بواشنطن ؟ انه هو الآخر يقيم فى بيت الأستاذ بيتر فلوم الذى يدير فرعا من فروع مؤسسة كارنيجى .

اختطفت دليل التليفون ووجدت ان الأستاذ فلوم يقطن فى شارع رابيدان وهو شارع حديث على مسيرة عشر دقائق من الفندق ثم صحت قائلا :

— كم هى يسيرة بديعة تلك الخطة ما كان عليه الا أن يغادر الفندق ويعبر الحديقة ليجد نفسه فى المنزل ، فى قبضة صاحبه وما أشبهه فى هذه الحال بنملة عمياء تسير فى اثر خيط دقيق من السكر على ورقة مصمغة لصيد الذباب . يا له من أضحوكة ..

قال روت : تمهل قليلا .. فان كل ما حدث الى الآن ليس الا محض مصادفة وقعت دون اتفاق عليها ولعلنا نكون قد انحرفنا عن جادة الطريق .

— ولكن ألست متفقا معى فى الرأى ؟

— انني لا أقتنع بشيء حتى تراه عيناى وعلى أية حال فاننا لن نخسر شيئا هيا بنا فعربتى فى الخارج .

وأخذ يسير متمهلا ليتناول معطفه ودق جرس التليفون مرة أخرى ، وردت مارج : وقالت انها مكالمة للمفتش روت ، وقال روت عندما سمع هذا: ألا لعنة الله على الجميع ... ثم التقط السماعة بيد ، وأخذ يزر معطفه باليد الأخرى وسمعته وهو يجيب على متحدثه يقول : نعم يا سيدى العقيد ..

ثم أرهفت أذنى فلم ألتقط من المحادثة سوى بضع كلمات متقطعة مثل: « لا أرى ثمة ضرورة لذلك » .. « ولكن من العسير أن يقوم هذا برهانا على » « ... » « الى هذه اللحظة لا أجد ما يبرر وجود جواسيس « ... » « يقينا أن وزارة الحربية هى المسئولة عن الأمن » .. « وكذلك مكتب المباحث لا بأس أيها العقيد » .. « ستظل المهمة خاصة بك الى الثانية عشرة، ولكن حتى ذلك الحين سأسير فى طريقى ، وأهتدى بتفكيرى وأصدر حكمى » .

فسألت : ماذا حدث ؟

— انه رفيقك فيلبس سمايث . انه يريدنى أن أقبض عليك .

— تقبض علىّ ، ولماذا ؟

وخلت أن أحشائى تتجمع وتتشابك وكأنها عقدة صغيرة من الألم .

— لا تقلق انه لا يقصد غير حمايتك . فهو مقتنع أن هناك مؤامرة شيوعية . ولقد قام المكتب الخاص بجمع معلومات عن مساعدتك جين زاينر ، ولقد تبين أنها قد تلقت مؤلفات من جماعة السلام

والديموقراطية . فقلت له ان ذلك ممكن ولكن كيف تكون شيوعية على هذا الأساس فحسب وقال : أتذكر ما حدث فى كندا حيث كانت ظواهر الأمور تدل على مثل ما يجرى الآن ؟ ولذلك فهو يطلب منى أن أقبض عليك .

— هل معنى ذلك أننى مقبوض على ؟

عندئذ صاحت مارج محتجة :

— لا .. هذا لا يكون . ان زوجى ليس شيوعيا انه يكسب الكثير وليس بحاجة الى هــذا وان أكبر دليل على انه لا ينتمى الى أية خلية شيوعية أنه كسول تماما ولا يرغب فى أن يعمل شيئا .

قلت لها : ياله من دفاع ، على أية حال شكرا ، يا عزيزتى .

أمسك روت بيدى وقادنى الى الخارج وهو يقول :

— هيا ننصرف من هذا المكان ، فأخشى أن لو طال بقاؤنا هنا ان يطير صوابى وأفقد عقــلى واتزانى ويصبح شأنى شأن سائر صحبك .

ثم انصرفنا ...

الفصل الثاني عشر

لم يكن بين الفندق وبين منزل الدكتور فلوم غير دقائق خمس ولكنها كانت كفيلة باثارة الرؤى وجعلها تتدافع الى مخيلتى . ليتنى لم أشهد فى حياتى شيئا من أفلام فرنكنشتين . فقد بدأت أتخيل هومر آدم فى القبر وقد سلطت عليه أجهزة غريبة ، وآلات مخيفة . رحت أتخيل أننا سنعثر على بضع عظام محترقة هى كل ما بقى من هومر آدم التعس ، بل اننى تخيلت الشرزمة من العلماء المهرة وقد أخفوا بقايا هومر اخفاء .

لا لم يكن هذا أسوأ ما كنا نتوقع بل كان الأنكى والأشد سوءا هو أننا قد لا نعثر لهومر أو لكاتى على أثر ما .

عندما تركنا الحديقة ، ودلفنا الى شارع رابيدان أطفأ تكس روت أنوار السيارة وأوقفها فى هدوء بجوار الافريز ثم خرجنا منها ، وحملق روت فى أعلى الجدار عله يستدل على رقم البيت ثم قال : لا بد أنه يقع فى نهاية هذا الشارع أو لعله ذلك البيت الذى تنبعث منه الانوار .

كان المنزل كبيرا ، مشيدا على الطراز الحديث ، غير أنه لم يكن متميزا مما عداه ، انه من ذلك النوع الذى تحس وأنت تراه أن به مكتبة ضخمة وغرفا عديدة ، أعدت لاستقبال الضيوف ، وبه غرفة خاصة تستخدم المخلوة ، وأخرى للعب الورق .

وكانت الى خلفه أشجار حور تحمى ملعبا للتنس من الرياح والهواء . انه بيت من تلك البيوت التى تصلح لسكان من علية القوم : عضو شيوخ على المعاش أو قاض من قضاة محاكم كولومبيا أو مدير كلية أو عالم من

العلماء ذى دخل مستقل مثل الأستاذ بيتر فلوم ، وكان طابقاه يشعان بالضوء على الرغم من تلك الستائر الثقيلة التى كانت مسدلة فوق النوافذ . من أجل هذا انبعث خيط رفيع من الضوء وسألته ونحن فى طريقنا الى الباب : والآن ماذا نحن فاعلون ؟

قال روت : أرى أننا سنبدأ بدق الجرس .

ثم دق الجرس ، وانتظر لحظة ؛ ثم عاود الدق من جديد ؛ وظل واضعا ابهامه على جرس الباب ، وظل يضغط عليه الى أن فتح الباب شيئا وبدا من تلك الفتحة الضيقة رجل فى منتصف العمر يضع نظارة فوق عينيه ، وقال لنا من خلال تلك الفتحة :

— ماذا تريدون يا سادة ؟

فأجاب روت متسائلا : هل أنت السيد فلوم ؟

— نعم . أنا فلوم ، فماذا تريدان فاننى فى شغل الآن .

— جئنا من أجل حديث قصير الى القاطنين هنا .

— ولكنى لا أرى أننى قد تشرفت بمعرفتكما من قبل ، فاذا شئتما لقائى فى فرصة أخرى فأرجو أن تتكرما بالحضور الى مكتبى بعد العاشرة من صباح الغد .

— آسف لازعاجك يا سيد فلوم ولكن لا مفر من مقابلتك وأعرفك أننى من مكتب المباحث .

وغاصت الابتسامة المهذبة من على وجه فلوم وبقى عابسا ثم قال : ألا يمكنك أن ترجىء المقابلة الى الغد ؟ فانى لا أفهم مـاذا تعنى بمكتب المبـاحث .

— لا يا سيد فلوم لا أستطيع الارجاء ، وأعتذر لك سلفا وينبغى على فى الوقت نفسه ان أدخل البيت .

وطفق فلوم يقول ويتحدث ، ولكنه نظر الى وجه السيد روت ، وقرأ ما فيه من تعبيرات وأدرك أن لا جدوى من اطالة الحديث ، واختفت الابتسامة الوادعة من وجهه فى الحال . وفتح الباب قائلا : ولكنك لم تخبرنى ماذا تريد ؟

قال ذلك بلهجة العارف ما نريد .

— اننا نبحث عن السيد آدم .

— رباه ... وكيف اهتديت اليه ؟

لم يجب روت واندفع فلوم يتقـدمنى وأنا فى اثره ، وأدركت أننى استمعت حين كنا ننتظر بالباب الى أصوات أناس يتحدثون ثم سكتت هذه الأصوات حين دخلنا البيت .

سأل روت فلوم ونحن نسير فى الردهة : أين هو .

فأجاب فلوم وهو يسير خلفنا : هناك عند ذلك الباب الى اليمين .

ما كنت أتوقع أبدا أن يقع نظرى على ما رأيت ، وأنا أسير خلف فلوم الى غرفة المكتبة . لم أكن أتوقع غير أن أرى هومر آدم ، وهو مقيـد اليدين مكمم الفم ، أو ممددا على ظهره وقد فارق الحياة . وعلى أية حال فان ما كنت أتوقع رؤيته ، لم يكن هو الذى رأيته . وأظن أن دهشتى لرؤية هومر وكاتى لم تكن لتقل عن دهشتهما لرؤيتى .

ولم تكن المكتبة تشبه غيرها من المكتبات ، فقد شيدت هذه خصيصا للقراءة والدرس والبحث ، وكانت رفوف الكتب تغطى الجدران وتمتد من الأرض الى السقف ، وكان فى ركن من أركان الحجرة سلم متنقل ، وفى ركن آخر مكتب ضخم تتكدس فوقه كتب وأوراق تحوى أبحاثا ومقالات وبعض القصاصات وما من شك فى أن السيد فلوم كان يجلس الى هذا



المكتب حين طرقنا الباب ، فلقد كان هو الكرسى الوحيد الذى لا يشغله انسان عند دخولنا الغرفة .

وفى غرفة تكاد تكون مستديرة وجدت الأستاذ « بل » ومعه رجل هولندى فارع القامة ، أدركت لأول وهلة أنه الأستاذ روب وكان هناك أيضا شاب حديث السن لم أستطع أن أعرفه ، وفى مقعد مقابل جلست « الاطار » وفى فمها سيجارة تكاد تلمس شفتيها المنفرجتين والى جانبها جلس .. هومر آدم وقد تشبثت يداه الغليظتان بذراعى المقعد وكانت تبدو عليه حيرة لم نألف له مثلها . لقد كنت أرى أن أقول لهما شيئا ولكنى أحسست ارتباكا يسيطر على ، وأننى غريب ، قد اقتحمت المكان على أسرة تتحدث فى جلسة عائلية خاصة ، وبدا لى أن هذا الشعور قد خامرنى لوجود السيد آدم وحده لا لوجود أحد غيره ، وقال فلوم فى لهجة ملؤها التنافر :

— أليس من الخير يا سادة أن أحضر لكم مقاعد لتجلسوا ؟ ألا تريدون الجلوس ؟



لم أر روت وهو يخرج مسدسة من جرابه المدلى من كتفه ولكننى رأيته فجأة ممسكا فى يديه مسدسا كبيرا ، وأخذت أتساءل كيف استطاع رجل ضئيل مثل روت أن يخفى هذا السلاح الضخم عن الأنظار وقال روت فى صوت هادىء لا يعوزه العزم :

— أعلم حق العلم أن هذا المسدس سلاح مبتذل عقيم لا يصلح للقضاء على أعداد كبيرة من السكان ، ولكنه من اليسير أن يحدث ثقبا كبيرا فى جسم أى انسان منكم اذا حدثته نفسه بأن يأتى بحركة ما .

وعلى نحو ما فرج هذا الأمر وذاك التهديد عن نفوسنا توترها وأعادنا جميعا الى أحوالنا النفسية الطبيعية ، ولم نحس أننا ضيوف غرباء فحسب بل أحسسنا أننا جئنا الى هذا المكان يجمعنا هدف واحد هو انقاذ هومر آدم ..

قال فلوم : ولكنى لا أستطيع أن أفهم كيف خطر ببالكم أنه ...

فقال روت : لست فى حاجة الى أن تفهم ، بيد أن ثمة أشياء بعينها أريدك أن تفكر فيها مليا .

فقال بل : رويدك يا هذا .. وأخذ رأسه الكبير يهتز ويتأرجح فوق رقبته الرفيعة :

ليس منا من اقترف جرما وأظنك تجاوزت حدك باقتحامك هذا المنزل ، وتهديدنا بهذا المسدس كما لو كنا أفرادا فى عصابة . ألست تعلم بأننا كلنا أعضاء بمجلس الأبحاث القومى ؟

قال روت : ألا يعد الاختطاف جريمة ؟

فاحتج بل قائلا : وأين الاختطاف يا هذا ؟ ألا تعلم أن آدم قد أتى الى هنا بمحض ارادته ، واننا كنا نعقد مناقشة هادئة حول بعض الأمور الهامة؟

عندئذ حاول هومر النهوض ، ولكنه كان كلما نهض قليلا عن كرسيه تطلب منه ذلك بذل جهد عنيف شاق لا سيما فى هذا الموقف الحرج وكأن ساقيه تأبيان أن تعيناه على النهوض فى مثل هذه الأوقات . وقلت : أجلس ياهومز يقينا ان هومر قد جاء الى هنا بمحض ارادته ، ولكن وجوده فى هذا المكان لم يكن فى حسباننا ، أليس هذا صحيحا يا هومر ؟

فأجاب هومر : انى آسف كل الأسف يا ستيف ، وفى الحق أنى لست واثقا ثقة كاملة بما يحدث حولى .

فقلت : بالطبع انه ليس واثقا تمام الثقة . وكل ما فى الأمر انه يظن أنه بعمله هذا يهرب من المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب . وما أستطيع أن ألومه أو أعنفه من أجل هذا ، ثم يفر مع « الاطار » الى هذا المكان . وما أستطيع أن ألقى عليه اللوم أيضـــا من أجل هــذه ، ثم ماذا يحدث بعد ذلك ؟ انه يجد نفسه سجينا فى أيدى جماعة من العلماء المجانين ، قل لى بربك ما اسمك يا هذا ؟ وأشرت الى الشاب الذى لا أعرفه ..

— اسمى جون كانبى ، وأنتسب الى جامعة كاليفورنيا ...

وحين أخذ يتحدث وينطق شرع ينهض من كرسيه غير أن مسدس

روت برز ملوحا له فى الهواء وكأنه يعطيه الأمر الحازم بالجلوس ثانية .

قلت : لا شك أنه اتفاق على لقاء هنا . فياله من موعد لطيف ولقاء صحبة صغيرة فى مكان مريح هادىء . أليس هذا كل ما فى الأمر ؟ قل لى يا هومر ماذا يفعلون هنا ؟ وماذا يريدون أن يفعلوا بك ؟

قال هومر : لا أعرف حقا . اننى لا أفهم شيئا ، وكل ما أعرفه اننى كنت سأقضى مع كاتى بضعة أيام هنا قبل أن أرحل الى المكسيك .

قلت : يالك من انسان ساذج برىء ياهومر ، انك أشبه بالعجل الذى أقتيد الى الحظيرة . حسنا اذا لم تكن تعلم ما الذى سوف يفعلونه بك فجدير بى أن أبين لك أن هذه الشرذمة المحترمة من العلماء ، بل هؤلاء المتوحشون كانوا على وشك القضاء عليك ، لا تعجب يا هومر فهم يمقتون الجنس البشرى ويريدون أن تعود السحالى والزواحف من جديد لتعمر هذا العالم.

نهضت « الاطار » واقفة ووثب الدم الى وجهها وتدلت خصلة من شعرها عليه واتجه المسدس فى دقة بالغة وتصويب محكم الى وسطها ، وصرخت قائلة : هذا كذب محض وافتراء !

وقال پل ، وهو يرتجف وقد امتقع لونه : هذا ادعاء باطل وسأقاضيكم

واتخذت طريقى الى المكتب ، ووضعت قبضتى يدى فوقه ونظرت اليهم جميعا وقلت مهددا : ان روت يملك الحق فى أن يقتلكم جميعا أيها السفاحون الآثمون ، ولكن أليس من الأفضل أن تترك للناس تأديبكم ؟ وانى لعلى يقين من أنهم سيؤدون واجبهم نحوكم على أحسن وجه وهم ثائرون قادرون أشداء لا يهابون أحدا ولا يتورعون عن تمزيقكم اربا اربا. وانكم لتستحقون هذا المصير . ثم نظرت الى « الاطار » وقلت لها متوعدا :

— ستؤدبك النساء ..

— انك لا تعتقد ذلك حقا ..

وبدأت « الاطار » حديثها وقد امتزجت الدهشة والخوف بنغمة صوتها مما سرنى وأبهجنى .

— أعتقد .. أعرف ما تقصدين . انتظرى الى أن يتبينوا . انتظرى الى أن يكشف الناس عن هذه الشرذمة من العلماء اخوان الشياطين الذين صنعوا انفجار المسيسيبى فأنزلوا العقم بجميع الرجال . هم أنفسهم الذين اختطفوا السيد آدم . وبعد مرور أربعين ساعة سنرديكم جميعا قتلى ولن يجد أهلوكم فرصة لوداعكم ودفنكم .

وحاول هومر أن ينهض على قدميه ، وامتقع وجهه حتى كدت أقرأ خطوط أساريره التى لم تكن واضحة من قبل ، وقال : لم تكن هذه هى الخطة يا كاتى أليس كذلك ؟ ان لم تكن كذلك فخبرينى ، أمن أجل تحقيق هذا الهدف أحضرتم ذلك الجهاز الموجود فى الطابق العلوى .

ونظرت اليه من بين رأس والدها ورأس السيد « بل » وقالت فى اتزان وهدوء :

— لا ياهومر لم تكن الخطة كذلك . فهذه الآلات قد أحضرناها لاجراء التجارب الأولية لفحص تأثير الأشعة المنبعثة من الراديوم على الحيوانات المنوية لدى الرجل ، وكنا قد هيأنا كل الاحتياطات التى تضمن سلامة الرجل وحياته .

وتحدث الأستاذ روب للمرة الأولى ، وكان أكثرنا هدوءا اذا استثنينا روت الذى احتفظ بهدوئه منذ البداية : أرى الآن يا كاتى أن كل ما أديناه وكل ما كنا نحب تنفيذه قد أسىء فهمه ، ألا ترين معى أنه من الأفضل أن نخبره بكل شىء .

قال فلوم : أظن أن هذا هو أفضل سبيل فانى أخشى أن يغضب الشعب علىّ ، وأن ينكل بى ويمزقنى اربا أو يصلبنى على سارية الكابيتول.

قلت أوافقه : نعم أرى أن هذا هو الرأى وأن يعرف الناس ما يحدث فعــلا .

وسألت « الاطار » : هل توافق على ذلك يا « پل » ؟

وتساءل روت : ما هذا ؟ هل نحن حول دائرة مستديرة للمناقشة ؟

— ان كان عندك ما يستحق القول ، فالأجدر بك أن تقوله فى الحال .

فقال « پل » — أوافق .

وهوى برأسه الى صدره وكأن رقبته الرفيعة لم تعد قادرة على أن تحمل رأسه . وأزاحت « الاطار » خصلات الشعر التى تهــدلت فوق جبينها ، ثم قالت :

— أحب أولا أن أعتذر لهومر فأنا الذى أقنعته بالتخلى عن أداء واجبه حيال مشروع اعادة الاخصاب ، وبديهى أننى كنت أخدعه وأتظاهر بحبه ولكنى كنت مرغمة اذ لم يكن هناك مفر من تمثيل هذه الرواية ما دمنا نريد تنفيذ خطتنا قبل الأوان . وكنا بصدد تفسير كل شىء لهومر فى اللحظة التى وصلتم فيها .

ثم تطلعت الى هومر بصفاقة وقالت : وحين أنتهى من توضيح رأيى له فلست أعرف حقا ان كان سيوافق عليه أم لا .

فقلت لها : أرجوك أن تكفى عن الدعــاية لنفسك ، واتكن لغتــك وأسلوبك واضحين معبرين عن هدفك .

— حسنا جدا يا ستيف لا تكن هكذا صلفا متكبرا وهاك خطتنا كما هى على حقيقتها : لا شك أن نتائج انفجار المسيسبى كانت فظيعة ولكن شاء الله للحضارة ألا تندثر فقيض لها هذه الفرصة لتنهض من جديد ولتسهم فى خلق عالم عظيم يعمره أناس ممتازون خَلقا وخُلقا .

قلت وأنا أقاطعها ومقترحا عليها : وماذا كنتم تريدون ؟ هــل كنتم

تبغون رؤية الناس جميعا فى المستقبل وهم يحملون أرقى الشهادات فى العلوم ؟ .

قالت : اسكت أنت يا ستيف ، وان قاطعتنى مرة أخرى فلن أتكلم .

— استمرى . ماذا حدث ؟

— ينبغى أن تعرف الحقيقة . كنت تسير فى المشروع الى أن بلغ منتصفه وكنت الى حد ما مسؤولا . أما أنا فكنت وما زلت أرى أنه من العار على الحكومة القائمة أن تمنح هومر للمؤسسة القومية لاعادة الاخصاب بدلا من مجلس الأبحاث ، ومما زاد الطين بلة أن الحكومة لم تتخذ أية خطوة من شأنها أن يتم اختيار أمهات المستقبل وفق الطرق العلمية . والى هنا أتيحت لنا فرصة رائعة . فماذا نفعل ؟ ولكن الذى حدث فعلا أن رجلا معصوب العينين تحسس بيده فى الوعاء الزجاجى لاختيار الرقم لمن تجرى عليه تجربة التلقيح الصناعى ، وهكذا جرى مستقبل الجنس البشرى خبط عشواء وباختيار أعمى بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فعليك أن تفكر فى تلك المخلوقات ، التى انتقاها الكونجرس ليكون من حظ بعضها أن تأخذ الرقم الرابح من ذلك الوعاء فاذا ما تزاوجت وتآلفت مع هومر فلن يكون نتاجها الا وحوشا ذات رؤوس حمراء .

قاطعتها عندئذ ساخرا : ان كنت تنوون اذن اختطاف هومر وقصر استخدامه على الطبقة المستنيرة التى تنتمون اليها ثم تعملون على استثماره بين أصدقائكم الأغبياء لتعمروا العالم فيما بعد بنماذج رائعة من أمثال الدكتور « بل »

وبدا على الاطار أنها قد صدمت صدمة هائلة هدت كيانها كله فقالت محتجة :

— لم نكن نريد أن نصيد من آدم أبدا فى حمل مباشر ، وان هومر نفسه أول من يوافق على أنه من الحماقة أن يكون أبا لأطفال ينجبهم من صلبه مهما كان شأنهم — هذا اذا كنا نريد حقا خلق جنس سام سليل ذرية راقية سامية .

قال هومر : تبا لك يا كاتى ! ما كنت أظن أبدا أن يكون شعورك نحوى ، ورأيك فى على هــذه الصورة . وأعلم أننى لست فاتنا جميلا ، وأننى لست طفلا مدللا أو دمية ، ولا أظن كذلك أن من حقك أن تزعمى بأنى غير صالح للانجاب ... ألا تظنين ذلك ؟ . ومض خد « الاطار » بابتسامة خفيفة فيها شىء من المزاح . وسكتت عن الكلام لحظة ثم استطردت تقول :

— أنت عذب وحــلو يا هومر وأنا مفتونة بك ، وأرى أنك أهــل للانجاب من الناحية العقلية ، أما من الناحية الطبيعية فلا .....

قلت أنصحه بعد أن لاحظت أثر كلامها فيه وهو يتهالك غائرا فى كرسيه :

— لا تعرها أدنى اهتمام ياهومر وأعتقد أن نظرية الجنس السامى لم يبتكرها أحد فى الوقت الحاضر ، وليست جديدة علينا ، فلقد سبقنا اليها هتلر . بيد أن ثمة فارقا بين نظريتها ونظرية هتلر . فهذا الأخير قد أسس جنسه السامى وشيده ، أما هى فتريد أن تبدأ نظريتها من شق ضئيل .

قال الأستاذ روب :

— لا أود أن تفسر نظريتنا بهذه الطريقة فاننى أظن أن معظم المفكرين الأذكياء سوف يقرون صحة نظريتنا وسلامتها .

قال روت وقد لاحظت أن مسدسه لم يعد يظهر فى يده وأنه اختفى بالطريقة الغريبة التى ظهر بها ..

— هذا قول بديع ، ورأى وجيه ، ولكن خبرونى : من كان سيستخدم آدم ،اذا صح أنكم عدلتم عن استغلاله ؟

وأخذت الاطار تبدى رأيها موضحة :

— نعم . كنا سنستخدم آدم حقا ، ولكن ليس للتلقيح الصناعى . ان هومر يعد فى الواقع معينا لا ينضب ، بل انه كنز ثمين يساعدنا فى اجراء التجارب . انه المورد الوحيد الفريد من نوعه . وخلاصة الأمر فى بساطة أننا كنا ننوى استعارة هومر بضعة أيام فحسب . وذلك لاجراء تجارب معينة بعد أن وصلنا الى مرحلة حاسمة . وكنا موقنين أنه اذا بدأ مشروع التلقيح الصناعى فلن يقدر لنا الحصول عليه ، وكنا نعتقد أننا اذا حصلنا على هومر استطعنا أن نجد الوسيلة التى يستعيد بها الذكور قوة اخصابهم وما علينا بعد ذلك الا انتخاب الأفضل من الذكور والاناث ، وفى مدى أجيال قليلة يصبح هذا العالم وقد امتلأ بالبشر الذين بلغوا حد الكمال ، على العكس من مشروع التلقيح الصناعى الذى كان سيخلط الحابل بالنابل .

فسألتها قائلا :

— وماذا كنتم ستفعلون بعد ذلك بهومر ؟

— لم نفكر كثيراً فى هذا الأمر . فبعد أن نجد خدماته لنا قد انتهت نعود الى التفكير والتدبير فى مشروعنا وهذا هو الذى يعنينا ، وأظن أننا كنا سنطلب منه العودة بعد ذلك الى مقره .

— وما هى الآثار المترتبة على مثل هذا العمل ؟

وهزت كاتى كتفيها وهى تقول :

— بعد أن يعود هومر الى مقره ، سيحس كل فرد منا بالراحة تخالط قلبه وسينسى كل شيء ، ولسوف ترى أن عملنا هذا على أى حال ليس اجراميا دبر فى الخفاء أليس كذلك ياستيف ؟ .

قلت : كم أنت شريرة خبيثة جريئة ياكاتى ..

قالت وقد لمعت عيناها لمعانا ألفت أن أراه فيهما من قبل :

— اننى جريئة حقا . وكذلك كل النساء ما دمن يطلبن شيئا وما دام لهن هدف غير أنى لست شريرة ، ان الشريرة هى مؤسسة اعادة الاخصاب، اننا لم نفعل سوى ما أملته علينا ضمائرنا ورأينا فيه خير البشرية ، وجملة القول لقد كنا أدوات اختارتها ارادة الله .

فسألت روت :

— أخبرنى ما الذى ستفعله بهم يا تكس ؟ .

وفكر تكس مليا فى هذا الأمر وهو يزن كلام كل من الاطار وأبيها والأستاذ بل وكانبى . لقد كان يقيسهم جميعا كما أعلم على قدر ما فيهم من خبث وخيانة كما يقيس الخياط المجرب قطعة من القماش بعينيه ، وقال :

— ما أظننى أستطيع أن أفعل شيئا . اذ ليس بالهين أن تتهمهم بخطف هومر ، وعلى أية حال فان هذا الأمر لا يبدو لى غير شيء ضئيل قامت به نفاية لا قيمة لها فى جهاز الحكومة الضخم ، الا اذا شاء هومر أن نرفع عليهم الدعوى وما أظنه سيفعل ذلك ، لأنه ممن لا يحنثون بالعهد .

قال هومر : آه . لا . لا دعوى ولا اتهامات . لست فى حاجة الى أية دعوى وحسبى أن أخرج من هنا .

لقد كان يائسا من فرط ما اعتراه من خجل .

قلت « للاطار » : حسنا لا شك أن عليك أن تلزمى الصمت ، وأنه قد

حان لك أن تسكتي وتنزوي . انك بارعة ماهرة فاذا سنحت لك فرصة الخطف أصبحت عجينة مخدّرة .

وأعتقد أنني قصدت الى أن أرميها بهذا الاتهام وأن أدمغها به كي أنتقم منها جزاء ما ألحقته بهومر من أذى وألم .

وقالت فى هدوء : لم نفرغ من هذا الأمر بعد . كلا . لما يحن ذلك بعد .

وألقيت نظرة على ساعتى ودهشت لأنا لم نبلغ منتصف الليل ، ولقد بدا لى أننا قد تركنا الفندق منذ يوم أو يومين ، ثم رحت أفكر فى مارى ايلين وما قد يصلها عنا من أنباء ، وأثرها فيها وقلت ـ من الأفضل يا روت أن نحيط هذا كله بالهدوء ، والكتمان . ألا توافقنى على ذلك ؟

قال روت : نعـــم .

وقال پل : أرجو ألا يذيع أحد شيئا عن هذا الأمر اذ أن هذا من السوء بمكان . وأشعر الآن أننا قد نكون جاوزنا حدودنا وأننا لم نعمل كما يملى العقل والضمير .

قلت له محذرا : حسنا أرجو ألا تعاود الكرة مرة أخرى . اذا أصاب آدم مكروه من الآن فصاعدا فسيصيبك أنت أيضا وقد يقضى عليك وعليه .

وفى هذه الأثناء كانت كاتى تبتسم وكأن الأمر لم يكن غير ملهاة وقالت:

— اننى واثقة أن كل شيء سيسير على ما يرام . اننى واثقة الآن تمام الثقة ، اذهبوا جميعا حيثما تشاؤون لأنكم قد أضجرتمونى .

عندما خرجنا كان الليل هادئا والسماء صافية فملت على هومر أقول له: أليس الجو جميلا ؟ .

غير أنه لم يجب بشيء فمضيت فى حديثى وأنا أدفعه الى سيارة روت .

— استمع الى يا هومر : أنا لا ألومك ، انها لم تكن خطيئتك .

فلما أخذنا أماكننا فى نهاية العربة وجدت أنه لا ينطق بشيء ووجدت

أنه ينبغى عليه أن يقول شيئا فقلت : استمع الى يا هومر ، لم تقع بعد خسائر أو أضرار وكل ما فى الأمر أنه قد تأجل بدء التنفيذ يوما . ووضع هومر رأسه بين يديه وأخذ يشد شعره وقال وقد أخذت الكلمات تخرج من فمه فى عسر وصعوبة :

— لقد كنتُ أحمق . لقد جعلونى أحمق ، نعم أحمق .

— لا تقل هذا يا هومر . انك لست أول من خدعته امرأة . لقد حدث هذا لملايين قبلك وسيحدث لملايين بعدك . انك لم تكن شر الضحايا . انهن عادة يبحثن عن المال أو الشهرة وذيوع الصيت فى الحياة الاجتماعية أو عن ادارة أعمالهن الخاصة من خلف الكواليس ، أما عنك فان الأمر يبدو مختلفا كل الاختلاف والدوافع اليه تختلف هى الأخرى . غير أنه مهما اختلف الطريق وتنوع الغرض فالنتيجة واحدة . ولتأخذ من هذا درسا ينفعك ثم انس الأمر كله .

لم يقل شيئا وظل رأسه مختفيا بين يديه على حين قاد روت السيارة الى أن وصلنا الفندق وخرجنا منها جميعا ، وسار هومر الى المصعد صامتا ورجلاه مشدودتان كما لو كان ذاهبا الى ساحة الاعدام .

كانت مارج تنتظرنا لدى الباب وصاحت حين شاهدتنا وكان ذلك فى الوقت الذى دقت فيه الساعة الثانية عشرة : أنا سعيدة يا هومر لأنك عدت .

لم يجبها هومر وسار الى جوارها صامتا دون أن يتكلم وتطلعت هى الى وجهه ولم تزد على قولها كلمة واحدة . أما هو فقد اتجه الى غرفته واندفع الى الداخل وأغلق الباب فالتفتت الىّ مارج قائلة :

— أخبرنى ياستيف ما الذى حدث ، ما الذى حدث له ؟ هل أحضر له شرابا أو أى شىء آخر ؟

— أظن أن من الخير لنا أن نتركه وحده . لقد مر بتجربة قاسية .

وفى هذه الأثناء كان روت قد اتصل بمكتبه وتكلم مع من شاء أن يتكلم معه ، ثم اتصلت أنا بجبيلمان وأخبرته بما حدث فسر بما انتهينا اليه وقال : اننى سعيد جدا بسماع هذا ..

قالها مهتما كما لو كان قد سمع أن ابن عمه الثانى القاطن فى دى موان قد انتخب مساعدا فى كيوانيس بنيوزيلاندا . واستأنف حديثه يقول : لقد تركت عملى الحالى يا ستيف وعدت الى مركزى السابق فى وزارة الداخلية وأظنك تحسن صنعا لو أنك تركت مؤسسة اعادة الاخصاب وعدت الى وظيفتك السابقة فى وكالة الأنباء ، لو شئت أن تسترشد برأيى فى الأعمال الحكومية لصارحتك بأنه ليس من الرأى السديد أن تبقى فى المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب . طبت مساء يا ستيف .

ثم تحدثت الى كلوتس الذى أرضاه ما كان ، وان أحسست فى صوته رنة الخوف والاضطراب . ولقد أبدى رغبته فى ألا ننشر شيئا عن الموضوع فطمأنته بأننا سنلتزم الصمت فأعجبه هذا الرأى ، وقال انه سوف يزور السيد بمفرى فى المستشفى فى الصباح وسينقل اليه أخبارنا السعيدة هذه ، وأنه يأمل أن يكون صدى هذه الأخبار ووقعها عليه حسنا فتعجل بشفائه . ثم اتصلت بدانى وليامز وأخبرته بكل شىء فقال لى انه سوف يحمل هذه الأنباء الى رئيس الجمهورية توا دون تريث ، وحين طلب منى تفصيل ما حدث اعتذرت له بأننى لا أستطيع أن أصف كل شىء وصفا صريحا فى التليفون وأننا قد عدنا بهومر دون أن يلحقه أذى .

وحين انتهيت كان روت يرتدى معطفه ويقضم قطعة من العيش المقدد وهو يقول :

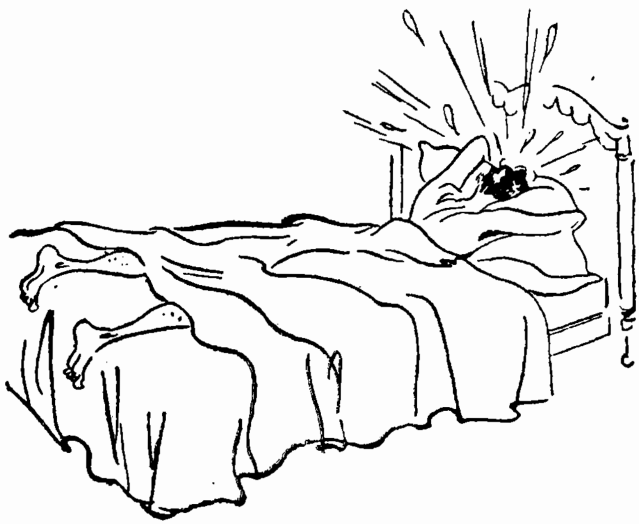
— حسنا . طبت مساء اذا حدث شيء آخر فلا تتصل بى واطلب شخصا آخر فهذه المهمة فوق طاقتى .

— هل أنت مقتنع حقا أنهم لم يسعوا للقضاء عليه ؟

— لا . لم يكن هذا أبدا .

— وانى معك على هذا . غير أنى أرى أن « پل » مجرم .

وهز روت رأسه نفيا . وقال :



— ان تجاربى فى مهنتى لا حد لها فبوسعى القبض على جواسيس خونة أما الاختطاف من أجل الفدية فأمر سـهل يسـير ، وأما الاغتيال والسرقات والاختلاس فهى حوادث مألوفة ، ولكن المشكلة التى كنا نحاول أن نجد لها حلا تختلف عن كل ما عداها اختلافا كبيرا . ولا أحب متابعتها ، اذ أنى لا أعلم من المجرم ومن المسيء ، ولا أستطيع أن أذكر هل أنتم على حق أم كاتى رايدل ؟ بيد أنها فتاة ممتازة وقد تكون على صواب ، ولعله

قد دفع بعجلة الحياة الى الوراء عشرة آلاف عام . طب مساء ياستيف . طبت مساء يا مارج . مع أسعد الأحلام .

— انتظر لحظة ، بماذا تشير على أن أفعل ؟

— قال قبل أن يغلق الباب : لو كنت مكانك لعدت الى منزلى ...

ذهبت بعد ذلك الى غرفة هومر وكان قد خلع ملابسه واستلقى على فراشه وغطى رأسه بوسادة ولذلك لم أستطع أن أتبين ان كان نائما أم لا . بيد أن قدميه كانتا خارجتين عاريتين من طرف الفراش . وقلت لنفسى وأنا أطفىء النور علينا أن نحضر سريرا مع هذا أطول منه . وفى غرفة الجلوس كانت مارج ترتب الملابس . فسألتها :

ماذا تصنعين ؟

فأجابت : أحزم حقائبنا للرحيل ....

الفصل الثالث عشر

فى اليوم التالى ، صحوت مبكرا ، وحفزنى شعور ما الى أن أنهض من فراشى وأتسلل من غرفتى قبل أن تستيقظ مارج ، ودخلت غرفة هومر على أطراف أصابعى فوجدته غارقا فى نوم عميق ، مسترسلا فى شخير رتيب وراعتنى الفوضى التى سادت فراشه ولقد بدا لى كأنه آلة حصاد .. ودخلت الى المطبخ لأعد قدحا من القهوة وشطيرة ساخنة ثم أدرت المذياع واستمعت الى نشرة الأخبار الصباحية .

قال المذيع بصوت يفيض بهجة وسعادة :

— اذا كنت أيها المستمع ممن احتفلوا أمس ببدء مشروع التلقيح الصناعى فبوسعك أن تعيد الاحتفال من جديد لأن المشروع سيبدأ منذ اليوم ، فلقد أعلن البيت الأبيض فى ساعة مبكرة من صباح اليوم أن كل شىء سيسير وفق البرنامج الموضوع ، ولكن بعـــد موعده بأربع وعشرين ساعة .

جاء هومر الى المطبخ وكان يرتدى جلبابا مخططا قصيرا قصرا يثير الضحك ، وحين وقف معتمدا على الثلاجة الكهربائية بدا لى أنه يشبه بعض الشىء مظلة من مظلات الشاطىء طويت بعد انتهاء موسم الصيف وقال لى :

— هل أستطيع أن أتناول قدحا من القهوة ؟

قلت وأنا أتأنق فى تقديم السكر واللبن :

— بكل تأكيد ياهومر . هل تحس تحسنا اليوم ؟

— نعم ياستيف ولكننى أراك تتمتع بحال طيبة . اننى أرثى لك ياستيف .

— ولم ؟

قال هومر فى هدوء . :

— ان كنت ترى أن اليوم هو بدء التلقيح الصناعى فحرى بك أن تفكر كثيرا قبل أن تتخيله واقعا . ان هذا هو ما استقر عليه رأيى ، وأعلم أن استقالة الأمس ستضاف اليها أخرى . لقد ضقت ذرعا بكل شيء .

— ماذا هناك ياهومر ؟

— أنا آسف ياستيف ، ولكن الأمر انتهى ، لقد فكرت مليا .

— أخبرنى هومر ما الذى جعلك تفكر فى هذا الأمر ؟ وأنت تعلم علمى حقا أن لا مفر من هذا الأمر . أنظر الى ما حدث لك بالأمس عندما انطلقت مرتاعا مذهولا . فما بالك تعقد الأمور اليوم بل تزيدها تعقيدا فى طريقك ..

— لقد فكرت فى كل شيء يا ستيف وما تعقدت الأمور فى طريقك ولكن النساء سيعانين من الآن فصاعدا كثيرا من المتاعب ، ولن يجدن الطريق أمامهن سهلا واضحا .

لم ترقنى طريقته فى الحديث اذ كان يبدو عليه أنه واثق مفرط فى الثقة فقلت أسأله : أتقول النساء ؟

— نعم ليذهبن الى الجحيم . أجل ليذهبن جميعا الى الجحيم .

— ماذا دهاك يا هومر انك رجل ولا يجدر بك أن تقول هذا .

وشرب قهوته دون أن يبالى بما قلت . ثم عاد يملأ فنجانه من جديد وسأل :

— ولم لا ؟

— لأن القدر قد اختارك ليكون لك معهن شأن عظيم .

— آه . كلا لن يكون منذ الآن . لن يكون لى بهن علاقة فوق ما تمليه

الضرورة القصوى . هذا طبعا عدا زوجتى مارى الين ، وابنتى الصغيرة انيـــانور .

— أليس هذا الأمر على الرغم من كل شيء حظك ونصيبك ؟

— كلا . لقد فكرت فى الأمر مليا وان كنت قد قررت شـــيئا فليس ثمة قـــوة تستطيع أن تثنينى عن عزمى . وهآنذا قد قررت ألا أعمل مع مؤسسة التلقيح الصناعى ، وما من وسيلة ترغمنى على الذهاب اليها ، أليس كذلك ؟

وكان هذا احتمالا لم أعد له عدته البتة فقلت :

— كلا . لا أظن أن هناك وسيلة ما للضغط عليك ولكن ...

— حسنا لن أعمل معها ، واذا حاولت أن تأخذنى الى المعامل اليوم فعليك أن تجرنى جرا . وما فى استطاعتك أن تتخيل ما سيقع هناك ، وغاية ما هنالك أن بعض المعدات الطبية سوف تتحطم .

قلت دون أن أخفى شيئا من الاعجاب : هومر ؟

قال وفى صوته رنين التشفى :

— فليشقين . فليتعذبن . فليولولن .

وخلال هذا دخلت علينا مارج وآثار النوم ما زالت عالقة بعينيهـــا وارتسمت على وجهها مسحة خفيفة من الدهشة عندما واجهتنى أنا وهومر وقالت : يا لها من محادثة لطيفة شائقة هـــل أنضـــم اليكما ، وأشارككما الحـــديث ؟

قلت لها : ستندمين لهذا . فلقد صمم هومر على الاستقالة انه يلعنكن جميعا ويقول : الى الجحيم يا نساء الأرض ...

وقالت مارج فى تشن محبب لطيف :

— هل بوسعك أن تلومه ؟ لو كنت مكان هومر ما وددت أن يكون لى أنا أيضا مع النساء شأن .

— لقد استثنيت من النساء مارى الين واليانور ، وانى لأستثنيك أنت الأخرى .

قلت : استمع الى يا هومر . ان الكثيرات من النساء يحكين مارج رقة وجمالا . نعم لقد كنت سيء الحظ ، ولكن لا يجرك سوء حظك الى القول بأن النساء كلهن من فصيلة واحدة .

— ليذهبن جميعا الى الجحيم .. اننى لا أجد ثمة ضرورة لمناقشة هذا الأمر . فاننى قد رأيت رأيى ، ان كل ما أريده الآن هو أن أعود الى منزلى فى تارى تاون .

— استمع الىّ يا هومر ، أرجوك ألا تزيد متاعبى ، حقا اننى لا أستطيع ارغامك على الذهاب الى المعامل ، غير أننى من ناحية أخرى لا أستطيع أن أحمل وحدى عبء عودتك الى منزلك . فان كان علىّ أن أعمل فليكن بطريقة رسمية وكل ما أستطيع أن أفعله هو أن أقدم تقريرا الى المؤسسة والى البيت الأبيض .

أجاب هومر : أنا معك يا ستيف ، ودعنا نتناول فنجانا آخر من القهوة. وبلغ سمعى رنين التليفون وهو يدق فى غرفة الجلوس فأجابت جين ثم نادتنى وقالت : ان كلوتس يطلبك فأخذت السماعة من يدها وقلت : نعمت صباحا يا برسى ..

— صباح الخير يا ستيف ، لقد وصلت الآن الى مكتبى وستنعقد لجنة التخطيط بعد لحظات وسوف أقدم لهم تقريرا عن السيد آدم . كيف حاله اليوم ؟

— على أحسن حال . اننى لم أره من قبل على حال مثلها .

— ان هذا هو خير خبر ، ولقد اغتبط بمفرى المسكين حين أخبرته بعودة آدم . وأخاله سوف يشفى شفاء تاما خلال أيام قلائل .

— لا أظن ذلك .

— ماذا تظن ؟

— لا أرى أن السيد بمفرى سوف يكون سعيدا حين يعلم أن هومر قد قرر الاستقالة .

— ماذا تقول ؟ ...

قال ذلك بألفاظ لم أتبينها ثم عاد ليقول : ومن خوله أن يتخذ مثل هذا القرار ؟ انه لمن حق لجنة العلاقات الداخلية والكونجرس ولجنة التخطيط ، وليس له هو فى ذلك من الأمر شيء .

— أخشى أن يكون الأمر على العكس من ذلك .

— يا له من هراء وسخف !

قلت مقترحا : اذا كان هذا رأيك فلتأخذوه الى المعامل اليوم ولتفرضوا عليه غير ما يريد .

وكان هومر خلال هذا واقفا على مقربة منى ، ينصت الىّ وهو يبتسم ثم قال : ما من شك فى أنك فهمت ما يدور بخلدى يا ستيف .

وكان كلوتس الى الناحيةالأخرى يثرثر بكلام لا معنى له وأخيرا قال : سأنهى الأمر الى لجنة التخطيط وسوف أتصل بك لأبلغك قرارهم .

— وماذا يستطيعون أن يقرروا ؟

— ماذا تقول ؟ ما الذى تستطيع لجنة التخطيط أن تقرره .. ؟ حسنا ان فى وسعهم أن يحيلوا الأمر الى لجنة العلاقات الداخلية واذا كانت ثمة ضرورة بعد ذلك فلتأخذ الأمور مجراها الطبيعى الى أن تعرض على رئيس الجمهورية .

— وماذا يستطيع الرئيس أن يفعل ؟

— ان فى استطاعته كل شيء . اسمع أيها السيد سميث لابد أن تقوم بعمل ما . فأنت المسئول عنه واعمل ما يدرأ عنك المسئولية .

— اننى آسف ليس لدىّ ما أستطيع أن أفعله الآن .

ومضت مدة طويلة وكلوتس لا يتكلم حتى ظننت أن الاتصال قد انقطع بينى وبينه . ولكنه استطاع جاهدا فى النهاية أن يصل حديثه :

— أرى لزاما علىّ أن أقوم بعطلتى السنوية . لقد مضت علىّ سنوات دون أن أستمتع باجازة وقد اجتمع لى الآن واحد وثمانون يوما وأخشى أن يكون هذا الأمر فوق ما أحتمل وانى لفى مسيس الحاجة الى الراحة وعلى أية حال فسوف أخبر لجنة التخطيط وبعدها أقوم بأجازة . الى اللقاء أيها السيد سميث .

وارتمى هومر متمددا على مقعد وهو يضحك ضحكة عريضة ويقول: حسنا . كيف كان وقع الأمر على ذلك المجرم ؟

وكادت دهشتنا تخرج بنا عن طورنا اذ قلما كان هومر يستخدم من التعبيرات التى تدل على نفوره أو حنقه أكثر من كلمة « الجحيم » أو « اللعنة » ولذلك أيقنت عندها أنه تغير التغير كله أو أنه غدا رجلا ناضجا ان صح هذا التعبير . وأخبرته أنه سوف يقوم باجازته وهذا يعنى أنه سوف يهرب من تحمل المسئولية . ثم قلت مستطردا :

ليكن حديثى اليك أنت ومارج وجين . سأقول لك رأيى : اننى لا ألومك ولا أعتب عليك وسأظل لك عضدا ونصيرا .

قالت جين : وانى لكذلك ، فأنا لا أعلم ان كنت على صواب أو أن التوفيق قد جانبك ، ولكننى اذا نظرت الى الأمر نظرتك اليه فاننى لا أعتب عليك .

فصحت متعجبا : أنا ؟ ثقى أنى لن أحاول ذلك ، ولكن سأصحبه الى البيت الأبيض ليخبر دانى وليامز أو الرئيس نفسه بما استقر عليه رأيه ، فلست أريد أن أحمل وحدى وزر هذا القرار .

قال هومر : أنا سعيد بهذا ، دعنا نلبس ملابسنا وعجل بنا .

وهكذا ارتدينا ملابسنا واتصلت بدانى وليامز ليدبر لنا موعدا بعد أن قلت له ان الأمر على أكبر جانب من الخطورة فقال :

— ان فى وسع الرئيس أن يلقى هومر فيما بين لقائه لوزير العراق المفوض الجديد ولقائه لرؤساء هيئة أركان الحرب المشتركة فى الحادية عشر والربع . وكان يبدو على هؤلاء الرؤساء الاضطراب فى ذلك الوقت ، بعد أن بات من المأمول اعلان انتهاء الحرب رسميا فى العالم كله وذلك يعنى عودة كثير من الضباط الى رتبهم الأصلية . وأخبرت دانى وليامز بما استقر عليه رأى هومر . فطمأننى بأن الرئيس سوف يتولى الأمر بنفسه . فتمنيت أن يكون الأمر كذلك . والآن حين أعود الى نفسى لا أدرى ان كنت قد تمنيت ذلك حقا أم لا .

ان النظام فى البيت الأبيض دقيق يثير العجب ، والهدف المقصود منه هو حشد أكبر عدد مستطاع من الزوار لمقابلة الرئيس فى أقصر وقت مستطاع ، وقد دخل هومر فى نهاية صف الزائرين الطويل ، وطفقت أجاذب دانى وليامز أطراف الحديث خمس عشرة دقيقة فى الغرفة التى اعتاد « ستيف الأول » أن يقيم بها الى أن خرج هومر وكان ما زال يبتسم فأدركت أنه قد نال بغيته .

وفى الحق أنى كنت مزهوا به وان كنت أعلم فيما بينى وبين نفسى أن حياة هذا العالم قد أوشكت على النهاية وقد رافقنا دانى وليامز الى السيارة ثم قال مودعا :

سأتصل بك فيما بعد يا ستيف .

وما انقضى وقت طويل حتى اتصل بى دانى ، اذ كان هومر قد وضع قنبلة ذات فتيل قصير على مكتب الرئيس . فما كدنا نصل الى الفندق حتى صاحت جين : لقد طلب البيت الأبيض أن تتصل به فورا .

فاتصلت بدانى وليامز ، ويبدو أنه كان قد فقد هدوءه المألوف اذ صاح متخبطا تخبط آلة ذات ثمانية محركات تحاول أن تسير بغاز الكيروسين بدلا من البترول .

— انها كارثة يا ستيف . أتدرى ما قاله هومر للرئيس ؟

قلت : أعرف أنه صرح له بأنه لن يشترك فى مشروع التلقيح الصناعى ، وأنه قد قدم استقالته .

قال : ليت هذا كل ما قال . لقد قال للرئيس ... أظن أنه ليس بوسعى أن أعيد ما قاله بالتليفون .

فقلت استحثه : هل قال شيئا يتصل بالنساء ؟

قال : نعم قال شيئا يتصل بالنساء ويجدر بى أن أقول ان الرئيس قد « صعق » ورأى أن هومر مخلوق ينقصه الأدب ، غير أن الرئيس معنى عناية كبيرة بتنفيذ مشروع التلقيح الصناعى ولو اقتضى الأمر استمالة هومر ، ولهذا قرر الرئيس تأجيل مشروع التلقيح الصناعى الى أجل غير مسمى على أن يقدم آدم الى مجلس الأبحاث القومى لأنهم يطالبون به ...

قلت : رباه !

— ماذا بك ؟

— ان كنت تخال هومر شاذا فى نفوره من النساء ، فاصبر الى أن يدرك أن الرأى قد استقر على تسليمه الى طائفة من العلماء .

أخذ دانى يخبط من جديد ثم قال : لقد ضقنا ذرعا هنا فى البيت الأبيض بذلك المدعو آدم . اننا نعمل دائما على صيانة حقوق الفرد ،

ومراعاة أصول الدستور وما يتصل بهذا وذاك ولكن حق الشعب يأتى فوق حق الفرد حينا ولقد حان الوقت لذلك .

قلت : يقينى أن آدم سوف يتقبل هذا من الناحية النظرية ولكنه ان يقبل أن تلزموه بهذه الأوامر فعلا . وها هو ذا يتملص منها يوما بعد يوم ، انه يمثل حالة شاذة غاية الشذوذ ...

— على أنها لن تكون فى حقيقتها أكثر مما هى عليه . ومن الآن فصاعدا سيصبح آدم أشبه بحيوان ثمين للتجارب . وقد يكون فى هذه العبارة شىء من الخشونة والقسوة ، ولكن لا محيص عنها وسيشرف الجيش على تدبير تغذيته ورعايته ، واذا دعت الحاجة فبوسعهم أن يحتفظوا به احتفاظهم بسجين سياسى ، وبهذا تستطيع لجنة الأبحاث القومية أن تجرى عليه ما تشاء من التجارب . لقد قرروا هذا وأبدوا فيه رأيا قاطعا وسيصدر الأمر بتنفيذه اليوم .

قلت : فليكن . أما أنا فيسعدنى أن أغادر هذا البلد الذى لا يختلف عن دار مجانين مشيدة من الرخام فى جمال وروعة ، وأرى أن اقامتى لو طالت يوما آخر فسينتهى بى المطاف دون شك الى مصحة سانت اليزابيث العقلية لأعالج من جنونى . وعلى أية حال فانى أرى أن ليس بوسعكم ارغام مخلوق على تغيير ما يكن باصدار مثل تلك الأوامر الغاشمة وأخشى أن تعترضكم المتاعب ، بل الكثير من المتاعب .

فقال دانى : هذه فرصة لابد من انتهازها على أية حال . وأود لهذا أن أعرب لك عن تقديرنا الكامل لمجهودك العظيم ومساعدتك الطيبة ، وقد قرر الرئيس أن يبعث اليك برسالة شكر خاصة .

قلت : سأضعها فى اطار ثمين ليراها أحفادى ، وان كنت على ثقة بأنه لن يكون لى أحفاد يوما ما .

كان هومر ومارج وجين بالمطبخ يمزجون الويسكى بالصودا ويترنحون من الشراب وأخذت مارج وجين تقنعان هومر بأن يصف لهما لقاءه بالرئيس غير أن هومر لزم الصمت وأخذ يراوغهما وقد بدا كاسف البال فقلت لهم :

— لقد فصلت اليوم ، أما أنت يا هومر ، فأمامك منصب جديد .

— لكم وددت لو يفصلنى الرئيس أنا الآخر . ولقد جهدت فى أن أحمله على ذلك .

— لا تقل هذا يا هومر ، هل نسيت أنك الرجل الذى لا غنى عنه ؟

— وما هو هذا المنصب الجديد ؟

وترددت فى الجواب وأردت أن أوضح لهومر عمله الجديد فى أحسن صورة اذ لم أشأ أن تكون نهايته على يدى .

قلت له : أولا . لا تهتم بعد الآن بالتلقيح الصناعى فقد انتهى الى الأبد وها هى العضو فاى سمنرنوت تصبح الأم المرتقبة الأولى فى التلقيح الصناعى .

فقال هومر : أرى أننا سوف ننتقل الى عمل آخر .

واستطردت : سيكون عملك منذ الآن مع مجلس الأبحاث القومى .

— أتعنى بل وعصابته ؟

— أجل . وفى ظنى أن الدكتور بل هو مدير هذا المجلس .

فقال هومر فى ثبات :

— فى وسعك أن تطلب البيت الأبيض لتحيطهم علما بعملى الجديد ، ولتخبرهم بأنى مستقيل منه .

قلت له : ليت الأمر يسير كما تخال يا هومر ، فلم يعد فى استطاعتك أن تستقيل . فانك كما أخبرتك من قبل الرجل الذى ليس بالمستطاع الاستغناء عنه .

— ماذا تعنى بقولك انه لم يعد فى استطاعتى أن أستقيل ؟

— أقول انك أصبحت الآن والمقبوض عليهم سواء بسواء أعنى أنك فقدت حقوقك كمواطن وأصبحت شبيها بمائة وستين رطلا من مادة البلوتونيوم مثلا .

وحسبت هومر سينفجر فى ثورة صاخبة ، غير أنه بدا هادئا وقد ارتسمت على شق فمه ابتسامة ملائكية وأخذ يقول :

— سيلومون أنفسهم على ذلك .

— لا تحاول الآن أن تقوم بعمل عدائى فسيكون مصير هذه المحاولة الفشل لأن الجيش قد وضع لحمايتك وسيتولى أمرك كله .

— اذا شاءوا أثاروها حربا مثل كارثة پيرل هاربر ، وما من شك فى أنهم يريدون ذلك .

وشرب قدحا من الخمر ثم ملأ آخر . وفى الحق أن التبدل الذى حل بهومر كان غريبا منبعثا من أعماق نفسه ، فقد فارقه خجله وغدا وهو واقف وكأس الخمر فى يده وشعره منتفش فوق رأسه كجمرة من نار ، غدا كأنه واحد من هؤلاء الايرلنديين الطائشين الذين يغشون الحانات ولا يحجمون عن أن يدفعوا بالسكارى جميعا الى ركن من أركان الحانة وقد طار صوابهم من نشوة الخمر وشدة المرح .

وحين وصل « كيب » قائد الحامية الدفاعية بالمنطقة الوسطى يصحبه العقيد فيلبس سمايث ، كان هومر قد بلغ الذروة فى الاستهانة بجميع من حوله . ولم يتسم مسلكهما فى الدخول بسمة من سمات النظام وكأنهما لم يدربا عليه وسار فى أثر كيپ وسمايث بعض الضباط من رتب أقل مدججين بالسلاح ، يرافقهم أحد المصورين . وتقدم القائد « كيب » ووجهه ينضح بالعرق وينطق بالبؤس والشقاء . وقبض على يد هومر

وأخذ يهزها محييا ومرحبا ، وهنا التقط لهما المصور صورة وأخذ « كيب » يتكلم فى عسر وجمود وكأنه يلقى حديثا اذاعيا يجد صعوبة فى تلاوته ، وقال : عزيزى آدم أرجو أن تكون بخير يا هومر .

وقال فيلبس سمايث : انتزعوا الكأس من يده ..

وتقدم ضابط ، وانتزع الكأس وبدأت التحية من جديد فقال القائد للمرة الثانية : عزيزى السيد آدم أرجو أن تكون بخير .

وقال هومر : أعطنى كأسى .

فأمر القائد الملازم قائلا : رد اليه الكأس .

والتقط المصور صورة أخرى ورد الملازم الى هومر الكأس وسأل القائد مستفسرا : كيف تجرى الأمور ؟

فرد هومر : تجرى على هواها ، تجرى اليوم على غير ما ألف عنها .

فانبرى فيلبس سمايث يقول : أى شىء تقول يا آدم ؟

— من اليسير عليك أن تمنح مجلس الأبحاث الوطنى ثلاث سيكلوترونات[1] ضخمة ثم تستطيع ...

ولست أظن أن هناك فائدة ترجى من تكرار ما قاله هومر لفيلبس سمايث لأن مثل هذه الأقوال يتردد فى حياتنا اليومية المألوفة . ولكن الجديد فى الأمر هو صدور مثل تلك العبارات عن هومر آدم ولهذا رحت أصغى .

انتفض فيلبس سمايث انتفاضة الديك وهو يحاول أن يثبت شجاعته أمام مرؤسيه ثم قال :

— آدم لقد ولى عهد الفوضى ، وانتهت فترة العبث ، ومنذ الآن ستتلقى منى الأوامر . ولسوف تطيع .

---

(١) السيكلوترون Cyclotron جهاز لتوصيل طاقات من عدة ملايين من الالكترون فولت الى جزئيات مشحونة اما بروتونات أو دويترونات .

وقال القائد « كيب » مؤيدا : حقا سوف تنفذها ..

قال آدم : لا لن أطيعها .

دفع فيلبس سمايث يده الى جيبه وأخرجها وبها ورقة طويلة ، ورقة رسمية ثم دق كعبيه احداهما الى الأخرى وشرع يقرأ بلهجة مسرحية وكأنه يطالع وثيقة حربية فقال :

— اليكم التعليمات بنصها التى أعدتها وزارة الحرب ، وأمضاها فخامة رئيس الجمهورية .

الموضوع : هومر آدم .

أولا : يعد المدنى المدعو هومر آدم مادة استراتيجية من الطبقة الأولى ، مادة حيوية بالنسبة للدفاع عن الولايات المتحدة .

ثانيا : وزارة الحرب هى المسؤولة عن صيانة هذه المادة والمحافظة عليها.

ثالثا : يصير المدنى المدعو هومر آدم خاضعا فى جميع الأوقات للتعليمات والأوامر كلها التى يصدرها بشأنه رئيس هيئة أركان الحرب أو رئيس ادارة الجيش لتنفيذ الغرض الذى تهدف اليه الفقرتان الأولى والثانية .

رابعا : يحق لمجلس الأبحاث القومى استخدام هومر المذكور فى أبحاثه بعد موافقة هيئة أركان الحرب المشتركة ، على ألا يتعارض هـذا الحق مع ما جاء بالفقرة الثانية من هذه التعليمات .

وطوى فيلبس سمايث الورقة ثم دسها فى جيبه وقال :

— أخالك بدأت تدرك ألمت كل شيء . ؟

قال هومر : أى شيء ؟ لا . لم أدرك شيئا .

قال فيلبس سمايث : تدرك موقفك الجديد . فهذه التعليمات فى غاية الأحكام والصرامة ، أليس ذلك يا سيدى القائد . ؟

قال القائد كيب : أظن ذلك ، فلم يعد هناك شك فيمن تكون لم

السيطرة . وليس فى استطاعة مجلس الأبحاث القومى أن يفعل شيئا قبل أن يجيز ذلك رؤساء هيئة أركان الحرب المشتركة .

استغرق آدم مليا فى التفكير ثم سأل قائلا :

— هل تعنى أن ذلك المجلس الذى يدعونه بالمجلس القومى لن يطلب منى شيئا ؟

وعقب فيلبس سمايث قائلا:

— كلا . فان ما نقصد حقا هو أن يوافق رؤساء هيئة أركان الحرب المشتركة على استخدامك قبل أن يشرع مجلس الأبحاث فى ذلك : أعنى هيئة أركان حرب الجيش والبحرية والطيران . والمعروف أنه قبل أن يقرر رؤساء هيئة أركان الحرب المشتركة شيئا ، يدرس ضباط أركان الحرب فى كل فرع من فروع القوات المسلحة المشروع ثم يقدم الاخصائيون فى كل فرع اقتراحاتهم ، هذا الى أنه لابد أن يكون هناك تقدير للرأى العام . وهذا ما دعانا الى انشاء قسم للعلاقات العامة ثم يجب ألا نتجاهل الحالة الدولية . وبعد هذا لابد من تنسيق هذه الاقتراحات كلها مع قسم اعداد الخطط الحربية . أليس الأمر كذلك يا سيدى القائد ؟

فقال الجنرال كيب : هذا صحيح .

فسأله هومر : هلا أستطيع أن أنال اجازة قصيرة ؟

فصاح فيلبس سمايث قائلا : اجازة ؟ دعنى أذكرك أيها الشاب أن زمن الفوضى قد انقضى الى غير رجعة . فلقد أصبحت حياتك من الآن فصاعدا هى والآلة سواء . وأرى أن أبعث بك أولا الى معسكر من المعسكرات الحربية لتتلقى قسطا من التدريب الأولى ، فسيفيدك ذلك حتما وهذا هو حقا ما أنت فى مسيس الحاجة اليه . فلا بد لك أن تطرح ذلك اللين جانبا .

قال هومر : لن أفعل .

فانفجر فيلبس سمايث يقول : ماذا تقول ؟ أعلم أنك منذ الآن لا حق لك فى أن تقول عن شىء انى فاعله أو غير فاعله .

قال هومر : بل هذا حقى ، واذا بقيت على سماجتك فسأضرب عن تناول الطعام .

كان فيلبس سمايث سيقول شيئا ولكن القائد « كيب » حـال بينه وبين ذلك .

ثم قال لهومر : نحن لا نبغى اثارتك يا هومر . ولسنا غير جنود تؤدى واجبنا كما تعلم . والآن هيا بنا .

وهكذا رحل هومر وقبل أن يخطو فيلبس سمايث ليخرج التفت الى قائلا :

— تذكر يا سميث ان كل ما دار هنا يعد سرا من أسرار الدولة .

وثنت مارج وجهها اليه ساخرة منه وما أظنه لاحظ ما فعلت .

وفى اليوم نفسه أخذنا القطار الى نيويورك ولم نتباطأ كثيرا فى مغادرة الفندق اذ كانت مارج قد دبرت كل شىء وحزمت أمتعتنا منذ الليلة السابقة فأكدت لها أن هذه المهارة فى تصريف الأمور ترجع الى ما حبانا الله من حدس صادق . ولكن مارج أنكرت ذلك وقالت ان حسن ترتيب الأمور وتدبيرها يرجع الى العقل السليم والادراك السديد ، وزعمت لى أننى بسبب ما ألاقى من ارهاق شديد فى عملى قد فسدت قدرتى على رؤية الأمور على حقيقتها بظواهرها وبواطنها . وقالت :

— ان الرجل المحب حين تصده امرأة فى عنف يدخل فيض من نور الى عقله ثم يسرى ويمعن سريانا فى الأنسجة الداخلية على صورة امرأة أخرى، ثم يزداد هذا الضياء سطوعا ولمعانا فيطغى على ذاكرته .

وحين وصلنا المحطة اشتريت الطبعة الأخيرة من احدى صحف المساء ، وطالعتنى العناوين الآتية :

« آدم ممتنع »

« مشروع التلقيح الصناعى فى سلة المهملات » .

« الجيش يتولى أمر آدم »

« الرئيس فى صف مجلس الأبحاث القومى »

غير انه كان ثمة مقال رئيسى بالصفحة الأولى بعنوان :

« ليس هناك ما يدعو الى الذعر »

الفصل الرابع عشر

وهكذا وجدنا أنفسنا ثانية فى الشارع العاشر الغربى بالطابق الأرضى فى منزلنا فى نيويورك ومن ثم استأنفنا حياتنا اليومية على أسلوبها ونمطها المألوفين ووجدتنى أعود لأعمل من جديد ما يزيد على ثمانى ساعات كل يوم . غير أنى وجدتنى راغبا فى ذلك العمل ، فكان ذلك بمثابة علاج ألتزمه فى وظيفتى ، وتنوعت مقالاتى فشملت موضوعات شتى مثل افتتاح موسم صيد السمك واستعراض عيد الفصح فى الشارع الخامس ومسابقة الأناقة بين الرجال ، واختيار العشرة الأكثر أناقة من بينهم .

تناولت البرقيات الواردة من دلهى ، وشنج كنج عن حوادث المجاعة ولم أشأ أن أخرجها فى صورة أنباء وأخبار يومية وانما جعلتها على شكل قصة مسلسلة أسرد وقائعها يوما بعد يوم ، وكتبت أيضا حول زيادة انتاج الخنازير ، وقلة اللحوم وعن محصول القمح والطريقة المتبعة فى توزيع الخبز بالبطاقات ، وعن حاجة أصحاب مزارع القطن فى الجنوب الى المعونة والمساعدة المالية ، والسوق السوداء للمنسوجات ومستوى المعيشة ، وبالجملة فقد كتبت عن موضوعات الحياة كلها ، فقد مضت عجلة الحياة تسير ..

وقد وضعت أخبار آدم نصب عينى ورحت أفتش عنها فى البرقيات الواردة الينا من واشنطن ، واعتادت وكالة الأنباء أن تكتب عن آدم وتذكر اسمه بالحروف الكبيرة وحتى فى الأيام التى كانت تخلو من أنباء عن هومر آدم كنت أعلم حق العلم أن أحد المحررين فى مكتبنا بواشنطن يجلس

كل ليلة الى مكتبة فيكتب عنه مقالا على أنه واجب من الواجبات المفروضة عليه ، ويتحدث فيه عن حياته ، وعند الظهر يشرع محرر آخر ليدون على آلته الكاتبة كل ما يتصل بآدم بعنوان بارز : عهد آدم الجديد .

وكنت لا أفتأ ابحث بين الصحف عن أخبار هومر آدم وأنا شديد الحرص والاهتمام كما يفعل المجرم الطليق حين يظل يقظا لا تغفل عينه ، ولا تنسد أذنه عن كل ما ينشر من أخبار حول جريمة قتل اقترفتها يداه . وفى الحق لقد كان كل ما يكتب عنه مملا تافها لا جديد فيه ، وقد أخذ مجلس الأبحاث القومى يشعر بمكانته بعد أن كفل آدم وأحس أنه قد كسب المعركة التى خاضها مع المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب ، أقول ان المجلس بعد أن عهد اليه بآدم أصبح واثقا من أن العلم سيحل ذلك اللغز الذى أعقب انفجار المسيسيبى ، وقد جند المجلس أكثر رجاله نبوغا لكى يخوضوا تلك المعمعة العلمية للقضاء على العقم العالمى ، ومن أجل ذلك طلب المجلس زيادة المال المرصود له ليستطيع تحمل التبعات الجديدة .

ولما كنت قد عاصرت التجربة من قبل فقد استطعت أن أتخيل الحوادث المقبلة ولذلك لم تستبد بى الدهشة حين قرأت يوما ما فقرة واحـــدة فى الصفحة الثانية والعشرين من جريدة « وارلد تيلجرام » موجزها أن پرسى كلوتس الذى كان يعمل من قبل فى المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب قد انضم الى مجلس الأبحاث القومى ليشغل وظيفة مدير مساعد فى الجهاز الادارى . كذلك لم أعجب حين قرأت أن « نات جيبلمـــان » وهو من الخبراء الثقاة فى العـــلاقات العامة قد ألحق بمجلس الأبحاث القومى موفدا من وزارة الداخلية التى كان قد بدأ العمل فيها منذ مدة وجيزة بعد أن ترك العمل بالمؤسسة القومية لاعادة الاخصاب ، وهو الذى شغل من قبل عدة مراكز فى الحكومة أذكر منها ما يقرب من ستة .

وعلى أية حال فانى أرى أن من بين الأشياء التى ذكرتها ما ليس فى الواقع غير أمور محلية ادارية عادية ، أما ما كان يثير العجب حقا فهى تلك القصص التى كانت تخرج علينا من وزارة الحرب ، فمن قائل يقول ان الوزارة أرسلت هومر آدم الى معسكر بلاندى بفلوريدا بغية أن يستفيد من أشعة الشمس ، ويستعيد حيويته اذ أن ما كلف به فى واشنطن كان على حد قول الراوى مجهدا غاية الجهد ، كما كثر الحديث عن مقابلات رؤساء هيئة أركان الحرب المشتركة التى تمت خلالها مناقشة أمور كثيرة منها مناورات المناطق القطبية ، والسيد آدم الى غير ذلك من الأمور الاستراتيجية. وقد صرحت وزارة الحرب غير مرة بأن المناورات القطبية غير مقصود بها دولة بذاتها ، وما هى الا صراع مع الطبيعة وعوامل الطقس ثم انها لم تدل أبدا بتصريح عن السيد آدم . وأخيرا كانت هناك قصص عن الصعوبات التى وقفت عقبة كأداء فى سبيل استغلال آدم وتلميحات تؤكد أن آدم لم يكن شيئا حيويا ضروريا أبدا ، وهو ان كان نافعا فان مجلس الأبحاث القومى لم يعد يرى وجوده جوهريا .

•

وذات يوم كنت أنا ومارج نتتبع سباق الخيل على شاشة التليفزيون ورحت أحدثها عن هذا السباق ، وعن الخيول المشتركة فيه ، فاذا بنا نشاهد المذيع مالكولم باركنسون وهو يدس أنفه فى حجرة نومنا ويقول :

— آسف يا سادة لأنى قطعت عليكم متعتكم بالبرنامج ، فقد جاءتنا الآن أخبار هامة ، غير أنى أطلب اليكم قبل تلاوتها ألا تنزعجوا فليس ثمة ما يدعو الى الذعر فى خضم حياتنا الجديدة الحافلة بالأحداث . وموجز الخبر هو أن وزارة الحرب قد أنهت الى رئيس الجمهورية القضاء على السيد آدم . هذا هو كل ما لدينا الآن وسنوافيكم بالتفاصيل حين تجيئنا تباعا ولهذا يحسن أن تتابعوا مشاهدة هذا البرنامج المثير ..

لم أستطيع أن أسمع أكثر من هذا .. فأطفأت الجهاز وأنا ثائر : كنت أعلم هذا .. كنت أعلم أنه سيحدث .

فسألت مارج : تعرف ماذا ؟

— كنت أعلم أنهم سوف يقضون على هومر بالعقم .

— وكيف تعرف ان آدم قد أصيب بالعقم ؟ ان كل ما قيل عنه أنه قضى عليه .

— وكيف يمكن أن يقضى عليه بغير ذلك ؟

قالت مارج : آه .. أليس هذا بالأمر الفظيع ؟

ثم أدرت مفتاح المذياع بجوار الفراش . فوجدت المذياع قد عدا عن طوره ، اذ سمعت أصواتا ترغى وتزبد وكأن أهل المريخ قد هبطوا اليه وحلوا فيه ، فأصابه الهوس والجنون ، ووددت لو اختفيت تحت أغطية الفـــراش .

ثم اذا به يعلن : ان وزارة الحرب قد أنهت الى رئيس الجمهورية بأن مجلس الأبحاث القومى قد أصاب آدم بالعقم ، وأن هذا قد حدث منـــذ بضعة أسابيع مضت وأضاف قائلا : انهم قد تكتموا الخبر الى أن أيقنوا حقا أن السيد آدم قد أصيب بالعقم ..

وقال أيضا : ان مجلس الأبحاث القومى قد أذاع أن ما حدث لآدم كان قضاء وقدرا ، وان وزارة الحرب تشاطر مجلس الأبحاث القومى هذا الرأى ، وأن رئيس الجمهورية يشارك وزارة الحرب وأن التبعة لا تقع على عاتق انسان بعينه .

وحملقت مارج فى المذياع وكأنه شيء بغيض ، كريه ، دنس تعافه النفس ولا يستحق اللمس وهمست قائلة :

— لقد انتهى الأمر .

— أى أمر انتهى ؟

— انتهى كل شىء .. انتهى كل شىء .. يا له من رجل مسكين ، جدير بالعطف والرثاء ..

قلت لأدفعها الى الحديث :

— لا . بل ليس مسكينا ، ولا شىء من هذا .

— بل هو مسكين ، اذ أنى حين أفكر فيما وقع له اخالنا غير شرفاء وكأننا شهدنا جريمة قتل ، ولم نفعل شيئا لمنعها .

— لقد بذلنا جميعا كل ما فى وسعنا .

فقالت مارج تسأل نفسها ولا تسألنى : هل عملنا ؟ هل عملنا حقا ما فى وسعنا ؟

وأحسست موجة من الغضب والسخط تجتاحنى وكأنها الرعشة الأولى التى تسرى فى الجسد وتسبق الحمى . لم أكن أدرى حقا سبب هذا الغضب ولا مبعثه ، وعلى من تقع تبعته ، غير انى كنت أشعر أن هناك شخصا ما شخصا مجهولا قد أضر بحياتى وحطم زوجتى . وسيطرت على رغبة ملحة فى الثأر والانتقام ، غير أننى لم أكن أعلم ممن أنتقم وليس ثمة على التحديد متهم بعينه يمكن أن نلقى عليه تهمة اصابة آدم بالعقم . ولكن بالله كيف أنتقم ولماذا ؟

وعلى نحو ما اقتضب المذياع الخبر ، فلم يذكر تفاصيله ، ولم يشر الى تلك النقاط التى تقفنا على بينة من الحادث واكتفى بأن أذاع خبر القضاء على آدم — وتحطيم قواه ، ثم اندفع المعلقون من أهل الفطنة والعلم يؤكدون أن اصابة آدم هذه ليس معناها فناء البشر . ويرجعون رأيهم الى أن آدم كان قد أسهم ولا يزال بنصيب وافر فى التجارب العلمية ثم انه ليس لروسيا أن تنكر أنها تملك رجلين مغوليين قادرين على الانجاب ..

لو نظرنا الى المسألة دون أن تطير نفوسنا شعاعا أو يستولى عليها الهلع وتدبرنا الأمر مليا لأمكننا القول بأن حرمان العلم من الخدمات الجليلة التى كان آدم يزمع أن يهبها للجنس البشرى ليست على قدر من الأهمية عظيم أو جليل بل لعل الموقف السياسى والحربى فى الهند الصينية يربو فى أهميته على حديث آدم ، وحديث انجاب الأطفال منه ، ثم أخذ المعلقون يفسرون الموقف فى الهند الصينية تفسيرا دقيقا على جميع وجوهه .

ودق جرس التليفون ، وكان المتكلم هو بوجى ، الذى سألنى عما اذا كنت قد سمعت بالنبأ ، وحين أخبرته أننى سمعته قال :

— اذن فعليك أن تعالج الناحية المحلية من قصة آدم .

— ماذا تقصد بالناحية المحلية ؟

فأجابنى بأن ثمة نواحى محلية عديدة تتطلب العناية والدراسة ، ثم ذكرنى بأن هناك كثيرين من مديرى مجلس الأبحاث القومى يقيمون بنيويورك ومن الواجب استجوابهم ومن ناحية أخرى فان آدم نفسه قد عاد الى تارى تاون وفق ما أذاعه مكتب واشنطن . وعلى أية حال فلم تكن القصة واضحة وظلت التفاصيل عن عقم آدم فى الحق سرا خفيا فى طى الكتمان ، وقلت لنفسى لابد أن أقف على حقيقة ذلك السر ، وحين أخذت فى حلق ذقنى ثم فى ارتداء ملابسى ، بدأت الخطة تتبلور فى ذهنى ووجدت أن أول انسان ينبغى أن ألقاه هو فيلكس پل ، ولعله يكون آخرهم أيضا.

جهدت فى أن أذكر المكان الذى أخفيت فيه مسدس البروننج ، وكان التذكار الوحيد الباقى من أيام القتال خلال الحرب العالمية الثانية ، وكان مسدسا جميلا فى شكله ، دقيقا فى صنعه ، أتوماتيكى الطلقات ، بلجيكى الصنع ، وظللت أنقب عنه ، وأخيرا عثرت عليه فى صوان فى الردهة ، ورأتنى مارج وأنا أضعه فى جيب سترتى فسألتنى :

— ستيفن ، لم تأخذ هذا المسدس معك ؟ فلم أحر جوابا .

فقالت : لا تكن أحمق ولا تدع الطيش يعبث بعقلك فلو عثر عليه رجال الشرطة معك لأودعوك السجن ، وعلى أية حال فلست ماهرا فى الرماية ولن تستطيع أن تصيب به هدفا يبعد عنك ما يزيد عن أقدام عشر .

قلت : ان الهدف الذى أود أن أصيبه لن يكون على مسافة تزيد على عشر أقدام .

وحدجتنى مارج بنظرة ملؤها الدهشة ، دهشة الزوجة وهى تستمع الى سر من أسرار زوجها يثبت خيانته لها ، وانتقاله الى زوجة أخرى دون علمها.

وقالت : أجاد أنت يا ستيفن ؟

— أجل .

— لن أسمح لك بمغادرة البيت ، ومعك هذا السلاح الفتاك .

فأمسكتها من كتفيها ، ودفعتها بعيدا عنى بيد أنى أحسست بغلظتى وخشونتى ، فقلت لها : حبيبتى ، استمعى الى ، فلقد كنت الى هذه اللحظة رجلا رقيقا ، عذبا ، مهذبا ، متمدينا ، ولكننى اليوم أجد الشر يدفعنى الى ارتكاب جريمة أسفك فيها دما ..

وغادرت البيت قبل أن تجد هى فرصة للكلام ...

يممت شطر كولومبيا ، ومن ثم قصدت الى منزل فيلكس پل ، وفتحت الوصيفه لى الباب فتحة يسيرة ضيقة فاستطعت أن أرى أنه متصل من الداخل بمزلاج ذى سلسلة . وفى مثل هذه المواقف الحرجة لا سبيل للانسان الا أن يلجأ الى الحيلة ، ويصطنع الخديعة ، كنت أعرف وسيلة أعلم أنها لا تدل فى أغلب الأوقات على شىء غير الغباء والسذاجة ولكن لم يكن هناك بد منها ولا معدى عن التشبث بها فى الحال ، والمرء فى مجال الرهان والمقامرة يدفع كل ما يملك حين تسنح له الفرصة فى المجازفة خاصة حين تشتد حماسة المراهنين وتعلو قيمة الرهان . فاصطنعت الجد ، وقلت

للوصيفة : أسرعى أزيحى المزلاج وأدخلينى الى الدار قبل أن يصل محررو الصحف فهم فى طريقهم الى البيت وسوف يصلون قبل ثوان . فطرقت بعينها الى وقالت : ان پل لا يرغب فى لقاء أحد لا سيما الصحفيين .

وأزاحت مزلاج الباب وأدخلتنى ..

قلت : من الطبيعى ألا يرغب فى ذلك .

— لا أظنه يريد لقاء أحد فمن أنت ؟

— أخبريه أن السيد سميث يرغب فى لقائه لأمر ذى بال .

فاندفعت تصعد الدرج عدوا ، وأنا فى أثرها الى أن دخلنا غرفة نوم السيد « پل » وكانت تبـدو قاتمة مظلمة تشيع فى النفس الكآبة بما تحوى من أثاث عتيق الطراز ، مصنوع من خشب الجوز ووجدت « پل » جالسا فى فراشه وقد أسند رأسه الأشهب بالوسائد فحدق ببصره فى وجهى ورأيت أن احدى عينيه كانت تطرف فى شرود واضطراب ، ومنذ أن وقعت عليه عيناى ظلت عضلات وجهه تضطرب اختلاجا .

ونظرت الخادمة الى السيد « پل » ثم الىّ ، وفهمت أنى أعرفه ويعرفنى وأننا أصدقاء فتركتنا وانصرفت .

وقال لى « پل » : كيف جئت الى هنا ؟

ان القاعدة فى الدفاع عن مجرم فى جريمة سفك فيها دما ، وارتكب فيها قتلا ، هى أن يقر المدافعون بأن كل شىء فى نظر القاتل قبل اقترافه لجريمته، قد اصطبغ بلون أسود أو لون أحمر وعلى أية حال فان أول ما يستقر فى ذهن القاتل هو استمساكه الوحيد بمبدأ ثابت عنده وهو أن خصمه ميت — بيده — لا محالة وأنه واقف أمامه ، وأنه لا يبرح صامدا فى موقفه ، ومسدسه فى يده تفوح منه رائحة الدخان ، والحكم الذى يهدف اليـه موكله هو اثبات أن نوبة الجنون المؤقت قد اعترت القاتل .. بيـد أننـا

لو حللنا الموقف على صورة أدق لوجدنا أن ما يحدث حقا يختلف عن ذلك الاختلاف كله ذلك لأن المرئيات فى عينى القاتل تصبح غامضة مبهمة وتتحرك الكائنات أمامه فى بطء شديد وتثاقل مضن بغيض وهذا ما حدث لى . ثم انتزعت مسدسى من جيب سترتى الا أن الزناد تعلق ببطانة السترة وبدا لى أنه قد مضى وقت طويل قبل أن أستطيع تخليصه واخـــراجه من مكانه وضغطت بابهامى على زناد الأمان فانفرج بطرقة وفى صوت لطيف قاطع حاسم ، أنه صوت تلك الطرقة ، وقلت له :

— ان ما حدث أمامك لن يرضى أحدا فوق ما يرضينى أنا ، فهو فى نظرى ليس الا ضحكا ومزاحا .

قال « پل » يحلل سلوكى : أراك قد جننت وفقدت صوابك .

فقررت أن أطلق عليه النار فى منتصف الصدر ، تحت الذقن عند ملتقى ياقة ردائه العتيق بجلده الشاحب وبعد ذلك أكرر اطلاق النار فى المكان نفسه ، حتى استيقن تماما من موته .

وقلت له : وهكذا قضيتم على هومر آدم . لقد كنتم جد مهرة عندما صورتم الحادث بأنه مؤسف للغاية وأنه قد وقع قضاء وقدرا . انه حقا حادث مؤسف .

فقال بل : كلا .. يقينا لم يكن قضاء وقدرا .

— أعلم أنه لم يكن قضاء وقدرا فلقد قضيتم على آدم وعلى انسان من سكان الأرض عن قصد وسبق اصرار كما أطلق عليك الآن رصاصة من عيار تسعة مليمترات .

قال بعد أن ألقى بنفسه على الوسائد : حسنا .. هيا أطلق النار ..

وعقد يديه الشاحبتين أحداهما فى الأخرى وقال للمرة الثانية : هيا أطلق النار لقد بلغ بى الجهد مبلغا كبيرا وليس لدى من عمل يشغلنى . وأظن أنه

لم يعد يعنينى أن ألفظ أنفاسى الأخيرة فى الحال ، وأظل فى قيد الحياة وكل ما أرجوه أن تصيبنى فى مقتل يودى بى لأنى لا أريد أن أقاسى آلام الموت البطىء .

لم أكن أتوقع منه أن يقول ما قال (فلقد نطق بكل ما يجانب الحقيقة ، ويجافى العقل) فقلت له : أخبرنى قبل كل شىء ألا تشعر بتبعتك وتبعة زملائك واخوانك وبأثر جرائمكم ضد الانسانية ؟

وتأوه « بل » وقال : ضد الانسانية ؟ لم أيها الرجل ؟ اننا لم نعمل للقضاء على الانسانية بل على العكس قد وقفنا حياتنا لخدمة البشرية ، وأنت لا تصدقنى الآن لما علق بذهنك منذ ذلك اليوم من أخطاء . ولقصور عندك فى الادراك والفهم ، ولذلك فأنا لا ألومك أرجوك أن تتقدم وتطلق علىّ النار .

وبدأت أحس بثقل المسدس فى يدى ثم امتلأت نفسى سـخرية من موقفى وأنا أهدد ذلك الرجل الطاعن فى السن فتركت يدى تهبط الى جانبى وقلت :

— أنت تثير فى نفسى الحيرة أيها الرجل ، فعلى حين تقر أن هومر آدم لم يصب بالعقم قضاء وقدرا تعود فتقول ..

وقال دكتور « بل » وصوته يتميز غيظا : أجل . أقر أن الحادث لم يكن قضاء وقدرا اذ هو الذى فعل ذلك بنفسه .

— فعل ذلك بنفسه ؟ ماذا تقول ؟

— أجل انه هو الذى اقترف ما يستطيع أن ينتهى به الى الانتحـار الجنسى .

كان ذلك احتمالا لم يخطر لى على بال ، بيد أنه كان ممكنا حقا بل محيرا ومربكا أو لعله كان قائما على الكيد والدس الى حد يعوقنى عن

قتل « بل » قبل أن أعرف صدق ما قاله أو كذبه فأعدت غدارتى الى جيبى مدركا فى الحال انى لن أقتل « بل » الآن أبدا وقلت له : حدثنى عنه .

— ان هذا الأمر يمزق النفوس غيظا وغضبا ، ويجعلها تتوه فى مجاهل الحيرة ، ومن ثم ترانى أشعر بالاشمئزاز من مناقشته معك ، كم أرجوك أن تقضى على الساعة ولعل هذا أفضل من ارغامى على كتابة ورقة تصف هذا الأمر الذى سيكون سببا فى أن أفقد صوابى .

— ما هو ذاك الأمر الذى يثير فى النفوس الغضب الشديد ، ويدعو العقل الى الارتباك والحيرة ؟

ووجد « پل » اننى مصمم التصميم كله على قتله وأن تنفيذ هذا رهن مشيئتى ولذلك قال مستسلما : أرى أنه من الخير أن أقص عليك كل شىء اذ ألاحظ فيك تصميما على البقاء هنا بغية أن أحدثك عنه ، ففى المقام الأول كانت ثمة عقبات تقف فى الطريق وكما لا يغيب عن بالك أننا لم نكن نود من آدم الا اجراء بعض التجارب لبضعة أيام قليلة ولكنى استشعرت فى نفسى العجز والقصور فى السيطرة على عملى وأداء واجبى ووجدت أيضا أن عملى كان لا يزيد عن حضور بعض الاجتماعات ، والادلاء برأى فى بعض المناقشات ، ورأيت أن ثمة مؤامرة كانت تدبر وتحاك فى الخفاء .

— لم تكن بالمؤامرة وانما كانت مسلكا مألوفا .

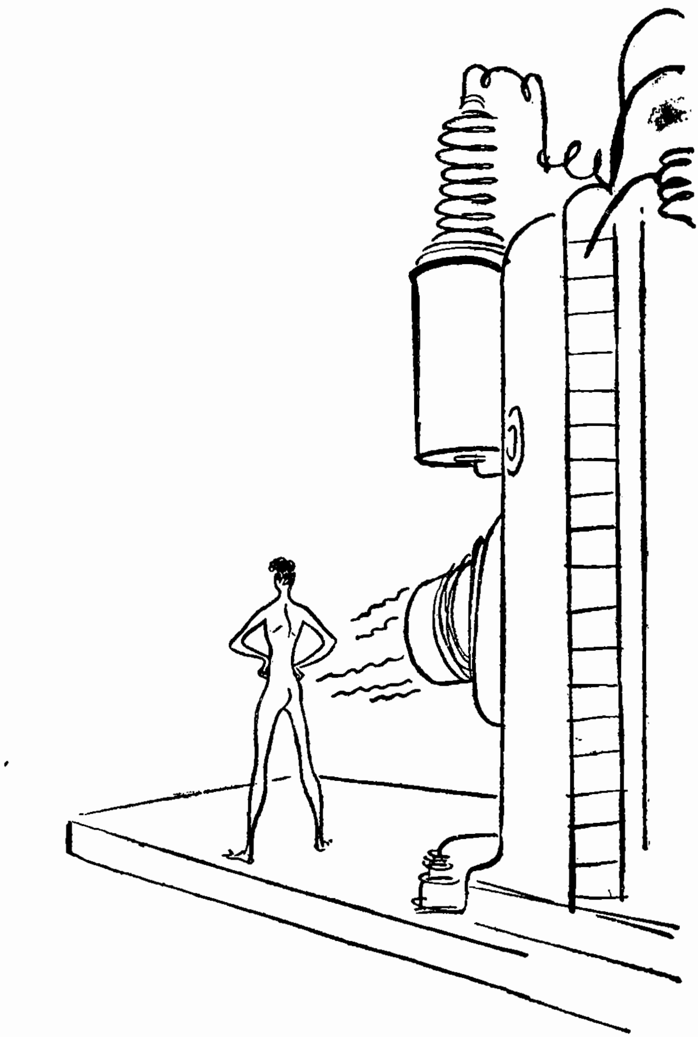
واستطرد « پل » يقول : ونشأت العقبات فى كل مكان ، وافترش الناس قارعة الطرقات ، بعد أن أجفل النوم من عيونهم حيارى لا يدرون الأسباب التى أدت الى توقف بدء العمليات .

— أعرف ما تقصده .

— ثم تذرعنا بالصبر ، وأخيرا وافقت اللجان والمجالس على الخطط التى وضعت ومن ثم سلم آدم الى المشرفين على المعامل . وكان هومر هادىء النفس يتمتع بصحة طيبة وقد راعينا الدقة فى بحوثنا والحرص فى

تجاربنا لسبب وجيه هام وهو ان معظم الآلات والأجهزة والمعدات كانت تنتج اشعاعات كتلك الاشعاعات التى أطلقت من عقالها فى حادث انفجار المسيسيبى ، فكان أول ما اتخذناه من حيطة وحذر هو أننا حذرنا آدم من أن يسير فى مناطق معينة ومحدودة وأن يبتعد عن بعض الآلات .

— ثم ماذا ؟



— كان آدم ذكياً للغاية فراقبنا وانتظر وتمهل حتى وجدنا فى شغل عنه بأشياء أخرى وأظن أن ذلك قد وقع أثناء حضور نفر من المصورين الرسميين ثم هام على وجهه وخرج على الحدود المرسومة . وفى ذلك الحين وجدناه قد أصاب نفسه بالعقم الكامل وأرى أنه كان سعيد الحظ اذ لم يمت فى الحال .

— أواثق أنت مما تقول ؟

— كلنا واثقون كل الثقة . بيد أننا أجرينا كل اختبار معقول . لقد كانت هذه التجربة أقسى ما شهدته فى حياتى من تجارب . كانت أشدها حيرة وأكثرها تعقيدا وأقربها الى اثارة الحنق والنفور فى النفـوس لماذا يا ترى فعل بنفسه هذا .. ؟

فأجبت : انى أجهل الأسباب التى دفعت هومر الى سلوك تلك السبيل.

وبدأت أقدم اعتذارى للطبيب « پل » الرجل الذى هرعت اليه فى طيش وحنق لأقضى عليه ، وكنت كلما حاولت أن أصوغ من الكلمات جملا مهذبة تفصح عن شعورى ، خيل لى أنها غثة تافهة المعنى وكل ما استطعت أن أقوله أن أبدى أسفى الشديد لسير الأمور فى هذا الدرب الذى لم نحدده أو نتوقعه ، بل نريده أو نهواه ثم ختمت حديثى متمنيا له الشفاء العاجل والصحة الكاملة وانصرفت .

وأخذت القطار الى تارى تاون فى المساء ومنها ركبت سيارة أجرة الى بوابة روزمير . وعند وصولى علمت أن رجال الصحافة قد سبقونى الى هناك ؛ عرفت ذلك من آثارهم فقد كانت هناك كومة من مشاغل التصوير التى استخدموها ملقاة على الدرج ، وفيما أنا أدق الجرس ، أخـذت أتساءل : ترى هل أخبرهم هومر بحقيقة ما حدث ؟ غير أنى أيقنت أن هومر قد أبى أن يعترف بالحقيقة ولعلهم قد أوجزوا له المعلومات الضئيلة التى

يمكنه أن يدلى بها قبل أن يبرح واشنطون وأن الأمر قد حدث قضاءً وقدرا ، وأنه ليس غير عارض يدعو الى الأسف الشديد .

قصدت الى كوخ هومر آدم ، وفتح لى الباب واستقبلنى صائحا وهو يطوقنى بذراعيه الطويلتين النحيلتين وقال : مرحْبا بك يا ستيف . لقد كنت أتساءل متى أراك . انى أشعر بالسعادة لرؤيتك .

ثم صاح مناديا مارى ايلين وأخبرها بحضورى الا أنها اعتذرت لحظات لانشغالها بتغيير لفائف طفلتها قائلة انها ستهبط الينا فى الحال .

وقال هومر يشرح : بعد أن تخلينا عن العمل فى الحكومة ، آثرنا أن ندع مسز بريندج تعودنا مرتين من كل أسبوع .

قلت له : حسنا .. انها لفرصة مواتية أن نكون بمفردنا لتحدثنى عن الأسباب التى دعتك الى فعل ما فعلت بنفسك يا هومر .

فأسرع هومر الى الجلوس لأن ساقيه الطويلتين الرخوتين اللتين تشبهان ساقى الكركى لم تخلقا لحمله فى ساعات الشدة ، وقال : وكيف عرفت ؟ لقد كنت أرجو ألا يعرف أحد عن الأمر شيئا . ولقد أكد لى الجميع أن الأمر سوف يظل سرا ذلك لأن شيوعه سيؤدى الى كثير من المتاعب وسوف يلقى التبعات على كثيرين وأنا بطبعى لا أحب أن أسبب المشاكل لأحد .

— لا تخف فلن تسبب مشاكل ، لقد جئت الآن من عند الدكتور « پل » وكنت على وشك أن أطلق النار عليه لأنى كنت أرى أنه هو الذى قصد اصابتك بالعقم ولكنه قال لى انك أنت الذى أصبت نفسك .

— حقا أنا الذى فعلت ذلك بنفسى .

— ولكن لماذا ؟ هل كنت تنوى العودة الى كاتى ؟

فحملق هومر فى الدرج وقال محذرا : لا تتكلم هكذا بصوت مرتفع

فان مارى ايلين لا تعرف أن ثمة علاقة خطيرة قد نشأت بين كاتى وبينى وأخشى لو سمعتك تذكر اسم كاتى أن تتوهم شيئا جللا وتقع فريسة للهواجس والظنون .

— حسنا . سأحرص الحرص كله .

قلت مستجيبا وأنا أعجب من جهل هذا الرجل البسيط العادى .

فقال بصوت خفيض ، ولكنه خشن أجش : لم تكن كاتى هى السبب .

— لقد ظننت من حديثك أنك ما زلت حاقدا على النساء ولعلك قد فعلت ما فعلت بدافع الانتقام منهن فى شخص كاتى .

— كلا .. فقد استطعت التغلب على ذلك ، ألم تقل أنت لى ان الانسان يخدع مرة واحدة فى حياته ؟

وتذكرت ما قاله الأستاذ « پل » عن المتاعب التى صادفها فى تجاربه ، فقلت هل تراك ضقت بالتأجيل بعد التأجيل ؟

— كلا . فلقد اعتدت التأجيل منذ أن كانت مؤسسة اعادة الاخصاب تتولى أمرى .

قلت له وقد تولانى الضيق : اذن ما السبب ... ؟

راح هومر يداعب باصبعه خصلات شعره ، فعلمت أنه كان يعانى صعوبة فى التعبير عن نفسه ثم قال أخيرا :

سأخبرك بالحقيقة : لقد فعلت ذلك بدافع من نفسى .

— من نفسك ؟

— لقد أردت أن أصبح مثل غيرى من الناس ، لقد كنت طوال حياتى أنزع الى هذا وهآنذا أشعر بأنى واحد مثل سائر الناس والرجال ، فلأول مرة أجدنى انسانا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان . وأنت ياستيف أعلم من غيرك بى ، واننى كنت أختلف أشد الاختلاف عن

سائر الناس فى صباى ومراهقتى وابان مرحلة الرجولة والنضج ، ولكنى الآن لا أختلف عنهم فى شيء .

وحاولت أن أرتب الفكرة فى رأسى فقلت أسأله : ومتى استقر رأيك على أن تفعل هذا ؟

— لست واثقا من ذلك الثقة كلها . فمثل هذا القرار لا يصل اليه الانسان الا بعد جهد وكد ، ولابد من أن يقف ويقعد ويعلو ويهبط ، ويقلب الأرض ويجعل عاليها سافلها ؛ ثم يزيل ما أمامه من عقبات وعندما يتحقق أمله فى الوصول الى ذلك يصبح هذا القرار ملكاً له وحده ، مقصورا عليه ولا يشاركه فيه أحد . ولقد وصلت الى قرارى الأخير عندما اصطحبنى الدكتور « بل » الى معامل مجلس الأبحاث القومى ، فقد أيقنت حينئذ أننى اما أن أعقم نفسى واما أن أنتحر ، ولا أدرى ما الذى حفزنى الى أن أقرر هذا فى تلك اللحظة ، لعلها الآلات هى التى دفعتنى الى ذلك ؟

— الالآت ؟ أتعنى أن الالآت هى التى هيأت لك الفرصة لتفعل ما تريد ؟

— كلا ، لست أقصد ذلك حقا . لقد شعرت بالكراهية لتلك الالآت العملاقة الدقيقة الصنع ، ذات القدور التى تشبه البطون ، والخراطيم والأذرعة الطويلة المركبة فيها ، كلها بدت أمامى حية متحركة ، مختالة فخورة . وكانت تشبه الى حد كبير تلك الالآت التى رأيتها فى بيت فلوم فاشتدت كراهيتى لها ، وأردت أن أعطلها عن العمل ، لأنى أحسست أنها كانت تنتظرنى فاقدة الصبر ، وفجأة أيقنت أن هذه الآلات ستغدو معطلة بلا فائدة ، فقررت أن أسير فى مجال الاشعاعات وأظن فى أشعة جاما أولا .

— انى مصدق كل ما تقوله يا هومر ، وهو عندى معقول ، ولكنى أحمد الله على أنه ليس بيننا طبيب واحد مختص فى طب النفس ينصت اليك وأنت تروى هذه القصة .

ــ وانى جد سعيد لأنك مصدق لما أرويه ، لقد تخلصت من متاعبى ياستيف وأصبحت حياتى طبيعية كحياة غيرى من الناس ....

ومن الغريب أن هومر كان يستعذب ترديد عبارته الأخيرة وبدا كأنه زميل جديد قد وقع عليه اختيار الادارة والزملاء ليكون عضوا فى كلية لاهوت ، فأحس بسعادة مفاجئة غير متوقعة بعد قضاء عطلة طويلة موحشة ، موغلة فى الوحدة .

وهبطت مارى ايلين على الدرج تحمل على صدرها ذرية آدم ، طفلته الوحيدة ، وجعلت أدير فى رأسى فكرة غريبة مفترضا أن اليانور هذه قد جاء بدلا منها ولد ذكر ، فماذا كان يحدث لهومر وماذا يكون شعوره . وعندما أفصحت لهومر عن هذا الرأى أخذ يحمد الله أن جاءته بنت ولم يرزق بولد والا لكان مقدرا على هذا الولد أن يخوض متاعب جمة فى حياته كما فعل أبوه من قبل .

وتحدثت مارى ايلين فقالت : انه كان من الواجب عليها أن تحزن لما أصاب هومر من متاعب وآلام ، الا أنها لم تحس بالحزن أو الأسف من أجله وعلة هذا كما قالت : أنانيته ، الا أنها عادت فاعتذرت عن موقفها هذا وتمنت أن تأتى الأيام بكل ما يبشر بالخير ويدعو الى الاطمئنان على حال زوجها وسألتنى عن أخبار المغولبين ، فقلت ان انسانا ما لا يعلم عنهما شيئا ، ثم وعدتنا بالزيارة فى فرصة قريبة فى صحبة زوجها هومر بعد أن تنتهى مسز بريندج من أداء واجبها فى المنزل ، فعبرت لها عن سرورنا حين نلقى أعز أصدقائنا فى بيتنا .

واختتمت حديثها تفصح عن آمالها فى أن تكف الحكومة والصحافة عن اثارة الضجة حول أسرتها الصغيرة ليستطيعوا أن يستآنفوا حياتهم فى سعادة ، وهناءة فهدأتها بقولى انه خلال أسبوع أو أسابيع قليلة ستنقشع الغيوم وتسود حياتهم السكينة والهدوء .

وبدأت الطفلة اليانور فى الصراخ والبكاء ، فقالت أمها انها جائعة وحملتها وصعدت بها الى الطابق العلوى لتطعمها فى غرفتها ، ورجانى هومر وتوسل الىّ ألا أنشر فى الصحف شيئا عما حدث فى معامل مجلس الأبحاث القومى حتى لا ينتهز الفرصة انسان فيثير المتاعب وتعاوده أحزانه وأشجانه من جديد . بيد أنى أفهمته أن مصير هذه القصة الذيوع والانتشار ان عاجلا أو آجلا وان ظلت طى الكتمان فى الوقت الحاضر ، وعلى هذا أعطيته وعدا بالصمت .

اتصلت بعد ذلك تليفونيا برئيس التحرير ، ثم عدت الى منزلى ويبدو اننى قد أخطأت التقدير عما ظننت أن المخاوف سوف تستولى على زوجى مارج خلال زيارتى للدكتور « پل » فلقد وجدتها فى المطبخ تعد صنفا من الطعام ، وترسل صفيراً لتدخل على نفسها البهجة والسرور ، وما ان رأتنى حتى قالت : قبل أن تخطو الى جوارى ، أعد غـدارتك الى مكانها من الصوان وانزع عنها الزناد بعد أن تتأكد من خلوها من الطلقات .

وسألتها : ألا تريدين أن تعرفى هل قتلته أم لا ؟

— أعلم أنك لم تقتله .. ولقد تذكرت أنى لم أخبرها عن وجهتى قبل مغادرتى البيت فسألتها : من هو الذى لم أقتله ؟

— عجبا . انه الدكتور « پل » بالطبع ومن كنت عازما على قتله سواه؟ لقد اتصلت بالدكتور « پل » بعد أن غادرت أنت منزله مباشرة وأخبرنى أنك كنت عنيفا معه ولم تكن لماحا ذكيا ، وأن رأيه فيك على العموم أن بك

ميلا الى المسالمة والمهادنة ، وعزوفا عن ايقاع الأذى بأحد .

ولما قصصت عليها ما كان من أمر هومر ، قالت : هذا ما ظننته من حديث « پل » معى .

وبعد العشاء بدأت الاذاعة تصيح وتولول حول الكارثة الجديدة .

ولكنها مع ذلك لم تكف عن اذاعة موسيقى شجية الأنغام تبعث فى النفوس التفاؤل ثم راحت تقول ان هومر ليس الوحيد من نوعه فى العالم ثم عادت من جديد تتحدث عن المغوليين ، وفى بضع ساعات قليلة أصبح الرجلان المغوليان الشغل الشاغل للشعب الأمريكى .

وحين سئل وزير الخارجية عن الموقف الخاص بالمغوليين أجاب بأنه شديد الثقة فى حسن سلوك الروس ، أولئك الحلفاء المخلصين وانه موقن بأن اتحاد الجمهوريات السوفيتية لن يمضى طويلا فى اخفاء هذا السر وأنه سوف يعهد بالرجلين الى هيئة الأمم المتحدة ، وأذكر أنه قال هذه العبارات بحذافيرها « كيف يتأتى للأمم المتحدة ، أن تكون قوة تعمل لصالح الجنس البشرى ، ما لم يكن لها حق الحصول على موارد الثروة لكل دول العالم ؟ » .. حقا لقد رأيته سديدا بارعا فى تعبيره ولكن كيف لم يخطر ذلك بباله من قبل ؟

ثم راح يعدد المساعدات التى قدمتها الولايات المتحدة خلال الحرب الى روسيا ثم أخذ يروى قصة شراء ألاسكا من الروس ليذكر الناس بأن العلاقات الودية كانت وما زالت رائد الدولتين الى أن قال : ان جوهر الشيوعية يهدف الى الصالح العام للانسانية جمعاء وأن الرجلين المغوليين ليسا الا مواطنين عالميين قبل أن يكونا روسيين .

وجاءت أنباء من شينج كيانج تشير الى أن المغوليين قد يكونان من

الصين لا من روسيا وتطلب احالة الموضوع الى مجلس الأمن وفى الحال أذاعت لندن أنها ستؤيد الصين وتصوت الى جانبها .

غير أنه قبل أن ينتصف الليل وردت رسالة من موسكو تنفى فيها الحكومة الروسية علمها بوجود هذين المغوليين القادرين على الاخصاب وأن هذه القصة محض اختلاق من الدول الرأسمالية ، وأنها حلقة جديدة من سلسلة المغامرات المعادية للشيوعية .

وأدرت مفتاح المذياع ، فأخذ المذيع يتحـدث عن مزايا عقـار من العقاقير المساعدة على الهضم والتى يجب أن يسير عليها الناس بعد سن الخامسة والثلاثين ، وكان رأيى فى هذا الاعلان السخيف أنه يفقد الشركة المنتجة له فرصة اجتذاب عدد من العملاء ممن هم دون هذه السن ، وأبدت مارج رأيها فقالت انه حقا سخيف كما أرى لأنى قد تخطيت الخامسـة والثلاثين واتهمتنى بأنى أكره كل من يذكرنى بعمرى الصحيح .

فقلت لها ان ثمة سببا آخر يدفعنى الى السخط على ذلك الاعلان ، بيد أنها قالت ان الاعلان فى ذاته لا بأس به وهو مقبول فى الوقت الحاضر خاصة بعد أن انتهى آدم وبعد أن ظهر أن قصة المغوليين كانت خداعا ووهما وأن كل انسان سيتقدم به العمر فيتجاوز الخامسة والثلاثين الى ما بعدها.

ولكن هذا الحديث لم يرق لها ، لأنها ظلت مستيقظة تضم رأسها بين يديها على حين رحت أنا فى سبات عميق وقد حسبت أن الناس فى كل مكان قد أطفأوا النور فى بيوتهم على غير المألوف وناموا فى فراشهم مبكرين فى تلك الليلة .

يقينا لقد انقطع الصراخ فخيم الهدوء على الطرقات ونشر الليل سكونه على الكائنات .

الفصل الخامس عشر

وبعد أن استقر آدم فى بيته ، وبعد أن ظهر ما فى قصة المغوليين من زيف ، وبعد أن أخفق مجلس الأبحاث القومى ، وبعد أن أفلس مشروع اعادة الاخصاب أصبح الموقف مظلما أسود داكن الظلمة مثله فى ذلك مثل النشرة الحربية البريطانية فى اليوم السابق لدنكرك .

ومضت الحياة مرة أخرى تسير ، ومضى الانسان يعمل وفقا لما ألفه ولما تمليه عليه حياته كما كان من قبل ، كأن شيئا جديدا لم يقع تحت الشمس ، حقا ان العالم قد ينحدر الى نهايته ، ولكن الناس بدأوا يأنفون ذلك .

وكنا نسمع على ألسنة الناس شعارا شائعا يقول « لا تكترث بالدنيا » ، وأقبل الناس على كتاب عنوانه « الحياة تبدأ فى سن الأربعين » فكان أكثر الكتب رواجا ، وكانت النساء أشد الناس قاطبة حساسية وتأثرا كلما مر يوم لا تشرق فيه طلعة طفل . كن يقتربن وشيكا من سن لن يسمح لهن بأن تشنف آذانهن أصوات الأطفال . لقد أنشأن الجماعات ، وألفن النقابات وطالبن الكونجرس والحكومة بأن يعملا شيئا ، أى شىء يستطيع انسان أن يعمله .

وبدأ كل انسان يكون لنفسه فلسفة جديدة هى جزء من فلسفة بوجى الذى كان لا يفتأ يرددها : لقد كان تهديدا من السماء وانذارا من القدر ، ذلك الانفجار الذى وقع فى المسيسيبى ، بل لقد أنذرنا القدر قبل الانفجار بأمد طويل ، ولكن من منا ألقى بالا لهذا الانذار .

ودارت عجلة الحياة ، ولم يمت أحد كمدا ، وسار كل شىء سيرا

مألوفا ، وأعلنت الغرفة التجارية فى ميامى أنها تعد الترتيبات لأضخم موسم، وأن المقاطعة لن تتعرض فى الشتاء التالى لعبث العصـابات والمغامرين ، وكانت شركات الطيران ما زالت تفتتح خطوطا جديدة تطير الى باريس والقاهرة ، وكثر انتاج جوارب النايلون ، وان لم يعد أحد يهتم بالمبتكرات الحديثة ، وزالت أزمة المساكن بمعجزة ، وخلاصة القول أن كل شىء قد أصبح مألوفا الا فى مسكنى فقد فارقه هدوءه المعتاد .



وفى بادىء الأمر ظننت أن مرجع ذلك السلوك الشاذ من مارج هو الصدمة التى تلقتها بعد مأساة هومر ، اذ أنها كانت قد وقعت فى غرامه الى حد بعيد ، وكان شأنه معها وتأثيره عليها شأن الرجال الضعاف الشخصية مع النساء الناضجات المكتملات ، فجذب اليه كل ما فيها من غرائز الأثرة والتسلط على نحو ظاهر جلى ، ذلك الى أنها كانت شديدة الثقة فى تجارب التلقيح الصناعى ، عن اقتناع بذلك أثر حديثها مع مارية أوستنهايمر ، ولقد تقبلت اصابة هومر بالعقم دون تأثر أو انفعال .

حقا لقد تغيرت مارج تغيرا لا حد له وساءت طباعها وضاق صدرها ، فأصبح أتفه شىء يثيرها ، وكنت أعتقد أن سبب تغيرها هو ما حدث لهومر ، واحساسها بأنها قد ربطت الى الأبد بزيجة مجدبة ..

وانقلب نظام حياتنا العائلية رأسا على عقب ، وأصبحت تلك المناسبات اليسيرة المألوفة التى يستمتع بها الزوجان ، وتربط بين قلبيهما وكأنهما انسان واحد ، أصبحت فى نظرنا بغيضة لا تشيع فينا البهجة ، أو لعلنا افتقدناها كلها فلم تعد تشرق فى افق حياتنا . وعلى الرغم من أنها أشياء يسيرة فى مظهرها فانها ذات قيمة كبيرة فى أثرها ومعناها ، منها تلك النكات المرحة التى تدور بين الزوجين ، أو الاتفاق فيما بينهما على من يسبق الآخر فى اعداد قهوة الصباح أو يحضر الصحف ، نعم غابت تلك المرات الهينة من حياتنا اليومية ، ومما زاد الأمر سوءا وملأنى بالهم والأسى انفجارى المتكرر غاضبا لاستخدامها شفرة الحلاقة الخاصة بى دون علمى أو استئذانى .

لقد جرت المشاجرة على شفرة الحلاقة على هذا النحو : فما أكاد أبدا فى حلاقة ذقنى حتى أتبين أنها قد أخذتها سرا واستخدمتها قبلى ، فكنت أنفجر غيظا لذلك وأسب نفسى وأستمطر عليها اللعنات لأنها لا يجدر

بها أن تدس أنفها فى شىء يخصنى ، وتطلع عليه ، وتأخذه خفية وتستخدمه وتفسده كما فعلت دوما بشفرات الحلاقة التى كانت تزيل بها شعر ساقيها. وكنت كلما طلبت منها أن تكف عن هذا ، وأنه يجب عليها أن تخصص شفرات لنفسها ، قالت أن ما تشتريه من شفرات ليس حادا قاطعا مثل هذه التى أستخدمها فأقول لها : ان هذه الأشياء من أخص خصائص الرجل . وينتهى الأمر بأن أهدد وأتوعد بشراء ماكينة كهربائية للحلاقة لتترك هى هذه العادة المرذولة ، وهكذا تبدأ هذه المشاجرة كلما دعت الظروف الى أن أفتش عن شفراتى للحلاقة .

وذات يوم حين كنت أقوم بعمل تحقيق صحفى للدعاية لمعرض أدوات كهربائية تقدم الىّ والى زملائى الصحفيين أحد أصحاب المعارض وأهدى كل واحد منا ماكينة حلاقة بالكهرباء . وعندما رأتها مارج فى يدى وهى تئز قبل أن أضعها على وجهى انفجرت مارج باكية وقالت : أيها الرجل القاسى الفظ . انك لم تعد تحبنى .

— أنا لا أحبك ؟

— أجل .. فلقد دأبت سنوات طويلة على تعذيبى بتهديدك ووعيدك بشراء ماكينة حلاقة كهربائية ، وها أنت ذا تنفذ رأيك وغرضك لا لشىء الا لتبرهن على مقدار احتقارك لى .

وانتهى ذلك المشهد المؤلم بأن ألقيت بالآلة الجديدة فى سلة المهملات.

وبدت عليها ظاهرة أخرى وهى الأرق طوال الليل ، رغم أنه كان من عاداتها السابقة النوم العميق ، كما لو كانت قد تلقت صدمة شديدة فوق رأسها ، ومن ثم اعتادت كذلك أن تصحو أربع مرات أو خمسا خلال الليل، ثم توقظنى وهى تلكزنى ، أو تصفعنى فى الظلام وتطلب منى أن أحضر لها بعضا من الفول السودانى ، بل لقد كانت أحيانا تنهض لتقول انها غير واثقة

اذا كان باب الشقة محكم الاغلاق أم لا . هل لى أن أضيف أنها كانت تطلب منى أحيانا أن أجيئها ببيضة نيئة ؟

ولعل أسوأ ما طرأ على طباعها هو تلك الغيرة الشديدة التى تملكتها ثم شكها فى أعمالها كلها . لم يسبق لمارج أن كانت غيورا ، ومن العبث والسخف أن تكون زوجة الصحفى غيورا ، وكذلك زوجة الطبيب ، فالساعات غير المنتظمة التى يقطعها الصحفى فى عمله اليومى ، ومهمته التى تفرض عليه الانتقال من مكان الى آخر ، كل هذا يزوده بحصانة من الأدلة والبراهين التى تقطع بطهارة ذيله ، وبراءته من أن تتهمه زوجته بوجوده فى مكان بعينه ، أو مع شخص معين ، واذا طاشت زوجة بشكها فى زوجها الصحفى دفع بها ذلك الشك وتلك الغيرة الى ما يشبه الجنون ثم هى لا محالة فاشلة فى اثبات تهمة عليه . ولكن مارج لم تكن حقا غيورا بقدر ما كانت تعانى صراعا فى باطن نفسها من الشك فى زوجها أو فى نفسها ..

لم يسبق لمارج كما قلت أن كانت غيورا ، أما الآن فما أكاد أعود الى البيت حتى تنهال على بأسئلتها المحرجة علها تظفر باعتراف يثبت خيانتى . فكانت تفتش فى أعوام زواجنا المنصرمة عن حوادث تافهة لم أعد أذكرها وعن فتيات لم يعد لهن أو حتى لأسمائهن بقاء ولا ذكر فى مخيلتى الواهية كخيط العنكبوت ، فتتخذ منها ومنهن أدلة ادانة على خيانتى . وهكذا كانت تثور فترمينى باتهامات طائشة ، وأشهد منها مناظر مؤذية قاسية . وكانت مرة تطالع فى مجلة ، وفجأة نحتها جانبا وقالت لى : لعلك لازلت على اتصال بمساعدتك جين زايتر التى كانت تعمل معك فى نيويورك . أليس كذلك .. ؟

قلت لها : أجل . لقد كانت أكبر عون لى فى عملى فهى فتاة رائعة ، ممتازة .

— اسمع يا ستيف لقد سبق أن وصلت حبلك بحبلها أليس كذلك ؟

فواجهت ذلك الاتهام فى الحال أقول : أعيرينى سمعك يا مارج . لم تقم أبدا علاقة بينى وبين جين زايتر أكثر من أنها كانت مساعدتى فى عملى ، وكانت صلة طيبة لا تشوبها شائبة . فاذا شئت أن تحركى خواطرك السوداء هذه ، فهيا أخرجى من أعماق ذاكرتك فتاة أخرى غير جين زايتر المسكينة .

فقالت فى زهو : حسنا . أراك قلقا عليها . لقد ربطت بينكما صلة مشينة . أليس كذلك ؟

وكدت أنفجر غيظا وكمدا ، وأخذت أذرع الغرفة جيئة وذهابا لأخفف حدة التوتر عن أعصابى . ثم قلت أسكن من دمعها : انك تعلمين يا مارج كما أعلم أن جين لم تكن تقيم معى وأنها كانت تبيت ليلتها فى غرفتها الخاصة وحدها . هيا أغربى عن وجهى .

— هذه هى حالك معى . تنهرنى وتصرخ فى وجهى كلما واجهتك باتهام لا تقوى على تفسيره واثبات حسن نيتك ، انك غير قادر بهذا الضجيج المصطنع على أن تخفف عن ضميرك وطأة الجرم .

ومن المؤكد أننى ضقت ذرعا بهذه الحياة وبزوجى مارج وبتحرياتها البوليسية وارتيابها فى سلوكى . فلزمت الصمت وارتديت قبعتى وانصرفت وآثرت الانفراد والوحدة . وقد أدركت أخيرا أننى كنت أغادر المنزل الى عملى مبكرا وأعود متأخرا كما كنت قد تعودت . وسرت الى أن وصلت الشارع الخامس ، ثم عرجت على ميدان واشنطن ، ووجدت مقعدا خاليا فجلست عليه وحاولت حصر انتباهى لأفكر فى أمرى .

ورحت أحدث نفسى بأننى اذا أطلقت العنان لتلك النوبات التى تجتاح أعصابى فسوف أتحطم غما ، وقد أصل عما قريب الى الوقوع فى مآزق عصيبة مع مارج ، وقد يتلو ذلك الطلاق على الرغم من أنه يستحيل علينا

الانفصال بعد مرور عيد الفصح . ثم أخذت أفسر سلوكها معى ، ووضعت نفسى فى موقف المشاهد المحايد لأصدر حكما عادلا عليها ، وبدأت خاصة بعيب بارز فيها وهى الغيرة والشكوك ، فخلصت الى رأى بين ، وهو أنها مريضة بقواها العقلية ، وكل ما تفعله يدل على ذلك .

وكان هذا أشق رأى أنتهى اليه فى حياتى ، وأقسى نتيجة يهدينى اليها تفكيرى المكدود ، ولم أكن أدرى أن اصابة واحد من الأحياء بالجنون أشد وبالا من المرض الذى يدهم الجسد ، فاذا ما طار صواب انسان حبيب اليك واختل ميزان عقله فقد مات فى نفسك ، وانمحى حبك له — كما يحدث مع الوفاة — وفى كلتا الحالين لا يصبح هذا الانسان شيئا مذكورا ، بل يستحيل جثة هامدة . ووجدت أن على أن أقف على مرضها وأشخصه كى أعرضها بعد ذلك على الأطباء الاخصائيين فى الأعصاب . وقبل أن أخطو خطوة واحدة فى هذا السبيل رأيت أن أستشير مارية أوستنهايمر والطبيب تومى طومسون ففى وسعهما أن يدلانى على أحسن وسيلة لا تثير الاضطراب فى نفس مارج .

وقبل أوبتى الى بيتى توقفت عند مخزن أدوية ، واتصلت تليفونيا بمارية وسردت عليها القصة كاملة دون انفعال يكدرنى ، وتبين لى من خلال الأسئلة التى وجهتها لى عن مارج أنها تشفق عليها ، لقد رثت لحالها وأبدت استعدادها للحضور فى الحال مع تومى متعللة فى ذلك بقضاء وقت طيب معنا فى بيتنا والاستمتاع بلعب البريدج .

وعندما أبت الى فراشى تلك الليلة حاولت أن أتذكر كل ما أعرفه عن أسرة مارج فوجدت أن والديها كانا سليمى العقل ، بيد أننى لم أصل الى أية معلومات تتصل بأجدادها ، وألفيت أن هذا لا يجدى ولا ينفع .

وفى الليلة التالية جاءت الينا مارية وتومى ، وكان ذلك مساء الثلاثاء

كعادتهما فى المجىء للعب البريدج وقضاء السهرة ، وان جاءا فى الحقيقة لمراقبة مارج مراقبة دقيقة متصلة قد تبلغ ساعات ، وبدأت السهرة فى أنس ودعة ، ثم تطورت الى ليلة حافلة مشهودة .

بدأنا اللعب ، وأخذنا نتحدث فى موضوعات شتى كمشكلة ترانسلفانيا ومنشوريا ، ولو لم يكن من العار لتحدثت معهما فى التلقيح الصناعى . ولاحظت أن مارية وتومى يراقبان مارج ويرصدان حركات يديها ونظرات عينيها كما لو كانت نزيلة مستشفى ، وكانا يوجهان لها عن غير قصد بعض الأسئلة فى سياق الحديث ، أسئلة غير مترابطة أو متجانسة .

وقد ظهرت مارج على طبيعتها طوال الساعة الأولى أو قريبا منها وفجأة رمت بأوراقها على المائدة ، وقالت :

— أريد خيارة مملحة .

فصاح بها تومى قائلا : ماذا تقولين ؟

وكررت مارج طلبها قائلة : أريد خيارة مملحة والا فسوف أجن . اذهب يا ستيفن وأتنى بخيار مملح من محل البقالة .

قلت فى استنكار : كفى سخفا يا مارج ؟ هل نقطع اللعب من أجل نزوة طارئة ؟

— أنت تكرهنى يا ستيفن ، ولكنى أريد الحياة .

وقطعت على الحديث مارية فى هدوء وهى تقول : يجدر بك يا ستيفن أن تذهب وتأتى لها بما طلبت ..

فأسرعت الى الدكان وأحضرت الخيار .

وعند عودتى قالت مارج : لا تقطعها يا ستيف . أريدها كاملة .

وناولتها الخيارة ، وظننت أنها ستلتهم كل ما معى منه فى الحال ،

ولكنها قضمت قضمة واحدة ، ومضغت كسرة صغيرة ثم تركتها ولم تنل منها شيئا بعد ذلك .

قلت لها ساخطاً على ما فعلت : هل هذا كل ما تريدين ؟

— هذا يكفينى . دور من هذا فى اللعب ؟

ونظرت الى تومى ومارية فوجدت علامات الحيرة والفزع مرتسمة على وجهيهما ، ولا سيما مارية التى سألت مارج بصوت جهدت فى أن يكون هـادئا :

— هل تشعرين يا عزيزتى بين آونة وأخرى برغبة ملحة لنوع خاص من الطعام ؟

قلت : نعم ، وهى لا تكاد تجد هذه الرغبة الا مع أحلك ساعات الليل.

فهتفت بى مارج : صه .. ألا يبقى سر خفى فى بيتى ؟

ولم يقل تومى شيئا ، بل أخذ يوزع الورق من جديد ، بينما ظلت مارية تراقب مارج بعين فاحصة فيها تعبير عن الحيرة ، ولكنها لا تخلو من الحنان الذى ظل يضىء وجهها الصغير الأسمر .

وانقضى ما يقرب من نصف ساعة ثم قامت زوجتى من مكانها ، وارتدت معطفها كمن يتهيأ للخروج الى السوق وهى تقول :

— أتسمحون لى ببضع دقائق ؟

قلت : الى أين تذهبين يا مارج ؟ وفى بيتنا أصدقاء يلعبون البريدج .

— كلا يا ستيفن .. لا تتعب نفسك . سأذهب وحدى ، فمن العسير عليك أن تخرج لقضاء حاجة .

— خبرينى يا مارج ماذا تريدين عمله فى الخارج ؟

لقد كنت أخشى ان هى خرجت ألا تعود . وعادت الى ذاكرتى قصص عديدة كنت قد كتبتها عن زوجات كن ينهضن ويتركن اللعب أو الشراب

ثم يتوغلن فى السير الى بايون أو نيوجرسى أو بيرمنجهام ، وقد أصبن بفقد الذاكرة فقدانا كاملا لا يدرك كنهه .

وقالت مارج : سأخرج لشراء بعض الليمون ، فانى أشعر برغبة ملحة فى الليمون .

— أليس لدينا ليمون بالثلاجة ؟

— كلا . لقد التهمته كله .. عشرات منه ..

وقالت مارية وكأنها تردد تميمة أو تعويذة لساحرة .

— خيار وليمون ، ليمون وخيار !

عندئذ أمسكت مارية بذراع مارج قائلة : أريد الانفراد بك لحظة فى غرفة النوم يا عزيزتى .

قالت مارج : ولكنى أريد ليمونا .

ودخلتا الى غرفة النوم . وبعد فترة سألت طومسون وأنا مطمئن الى كل ما حدث ، لأنه سوف يعطى مارية وتومى فكرة صحيحة عن حالة مارج .

-- والآن ما رأيك يا تومى ؟

هز تومى كتفيه الكبيرتين ومال بذقنه على صدره وقال : لى رأى لم ينضج بعد .

— ألا تعتقد أنها مصابة باضطراب عقلى ، ودليلنا على هذا المرض هذه النزوات الجامحة فى طلب الطعام وشعورها بالغيرة . وبالطبع لن تتاح لك فرصة فى أن تراها وهى تنهال علىّ بوابل من الاتهامات ، فهى لن تشرع فى ذلك الا بعد انصرافكم . على أية حال ان منظرها يثير الشجن .

هز تومى رأسه قائلا : أرى ان مارج ليست مجنونة ، بل هى محطمة الأعصاب . ان ثمة شيئا يصارع عقلها الباطن أدى الى ظهور هذه الأعراض، وفى الحقيقة لا أكاد أفهم السبب اللهم الا ..

قلت : الا ماذا ؟

وقال تومى فى غلظة :

— انس ما قلت ..

وهنا أطلت مارية برأسها من باب غرفة النــوم وطلبت من تومى أن يذهب اليها لحظة ، وأحسست باضطراب صوتها وهى تتكلم ، فدخــل تومى ثم أغلق الباب وراءه . ومن ثم بدأت الوساوس تنتابنى وتلح علىّ فى عنف .

وأخذت أحدث نفسى وأنا جالس أنتظر وحــدى ، لعل الأمر بالغ الخطورة ، أو لعلها تتوقع حدوث شيء ما ، ولذلك استدعت تومى ليتشاورا ويتبادلا الرأى ، أو لعل صرخة مخيفة طرقت أذنى لست أدرى . وظلا فى غرفة النوم وقتا طويلا على الرغم من أنهما لم يمضيا أكثر من ربع الساعة . وحين خرجا من الغرفة كنت أسير جيئة وذهابا وكأس الشراب فى يدى ، ويدى ترتعش .

وكنت أسمع على التحديد أصواتا صادرة من غرفة النوم بدت لى كأنها ضحكات مارية أوستنهايمر ولكن .. ولكن لم لا تكون تأوهات صادرة عن مارج المسكينة ، فها هى ذى تعود مرة أخرى الى الضحك يتبعها تومى ثم مارج ، ثم خرج الجميع يظلهم الصمت ، الصمت العميق ، ويسيرون فى صف أحدهم وراء الآخر كما يخرج المحلفون من غرفة المشاورة . مارية فى المقدمة ثم تومى ، ومارج أخيرا ..

آه .. ليتنى أتذكر على وجه الدقة ما كانوا يفعلون وهم خارجون : أيبكون أم يضحكون ويبكون فى نفس الوقت .. وتقدم صفهم الصغير الى وطوقنى تومى بذراعيه وهو يقول : أبشر يا ستيف ،

فستضع مارج لك غلاما اللهم الا اذا كنت أنا ومارية قد أنسينا ما تعلمناه وفقدنا ما تتمتع به من سمعة طيبة .

وأذكر أنى رحت أحملق فى الزجاج المتناثر من القدح الذى سقط من يدى وفقاقيع الصودا التى تجمعت حول شظاياه ، واذا بتومى يمسك بى على حين صاحت مارج قائلة : ستيفن . ستيفن . ماذا بك ؟

قال تومى : انه أشبه بالثور عافية كما ترين ، أحضرى له قدحا آخر . فجرعته وأخذت أنظر الى وجوههم لأتأكد أنهم غير مازحين وأخذت أردد طويلا كلمة « مستحيل » ، ثم انطرحت جالسا لأفكر فى هدوء . رحت أقلب صفحات الماضى فى سرعة عجيبة ، وحين سألت مارية عن المدة التى مضت منذ حملت مارج ، قدرتها بشهرين أو فوق ذلك بقليل. وشرعت أحصى الشهور على أصابعى ، حتى انتهيت الى أن مارج كانت فى ذلك التاريخ مع هومر آدم فى واشنطون ، وما كدت أصل الى هذه النتيجة حتى صاحت بى مارج : لا .. لا .. انى أدرك ما يجول بذهنك ياستيف سميث ، ولكنك مخطىء يالك من مرتاب دنىء ..

قلت : اذا لم يكن هومر ، فمن يكون اذن ؟

قالت وهى تلف ذراعيها حول عنق تومى وتقبله فى فمه : هو .

قلت : لا .. ليس تومى ، فكلانا يفتقر الى شىء واحد ، انك لن تستطيعى خداعى يامارج فأنا أعرف أنه هومر ، ولست ألومك ، فلقد كنت دوما تتوقين الى طفل ، ولم يكن أمامك الا أن تسلكى هذا السبيل .

قالت : يالك من غبى أحمق . لا أظنك قد فهمت حتى الآن .

قلت : طبعا لم أفهم شيئا . ارشدينى بربك الى ذلك الزوج الذى يفهم شيئا من مثل هذه الأمور الجارية .

قال تومى : هل أفسر له ما غمض عليه ؟



قالت مارج : لا . بل دعنى أنا أفسر له بنفسى كل شىء ، وان كنت أعتقد أن ليس له أن يعلم شيئا ، وكان الأجدر بى أن أدعه على اعتقاده بأن هومر هو السبب .

قلت : بل أخرجى كل ما فى جعبتك ، فما عدت أنكر شيئا .

قالت : فى الحق أن الفضل كله يعود الى دواء الطبيب طومسون المقوى ، أعنى تلك الأعشاب البحرية التى لها فعل السحر العجيب .

فغرقت فى موجة طويلة من الضحك ثم قلت ساخرا : ولكن لم يسبق لى أن شربتها .

قالت مارج : بل تجرعتها يا عزيزى ، اذ سقيتك منها زجاجة كاملة . هل تذكر ذلك اليوم الذى شعرت فيه بالاعياء عندما كنا بواشنطن ؟ لقد صببت لك قدرا من الدواء فى كل كأس شربته ، ثم صببت لك ما تبقى من الزجاجة فى قهوتك صباح اليوم التالى .

فصرخ تومى يقول : رباه .. لقد كان عليك ألا تسقيه غير نقطة واحدة فى اليوم فحسب ، ألا تعلمين أنه تركيب قوى المفعول يا مارج ؟

قالت : أعلم ذلك ، ولكنى كنت على وشك أن أغادر نيويورك بعد أيام قلائل ، فلم أجد بدا من أن أسقيه ما فى الزجاجة كله .

وفى الحق لقد شعرت وقتها بذلك الضيق والغيظ الذى يشعر بهما الانسان حين يكتشف أن هناك من يتلاعب بطعامه أو شرابه خفية ، فصحت غاضبا : « غير أنك بعملك هذا كنت على وشك أن تقضى على . ومن اليوم سأستأجر موظفا يتذوق طعامى من قبل أن أتناوله فى مسكنى » .

فقالت : ولكنك ما زلت حيا ترزق . وحسبك أنك ستصبح أبا ...

ورويدا رويدا بدأت أستوعب تلك الأحداث ، ولا غرو فالعقل البشرى محدود الطاقة لا يستطيع أن يتقبل مثل هذه العجائب المتتالية دفعة واحدة . وبعد فترة وجيزة رحت أهز يد تومى شاكرا ومهنئا بالتوفيق الذى أحرزه والنجاح الباهر الذى أصابه دواؤه العجيب .

ويبدو أنه كان مستغرقا فى تأملاته وأنا أحدثه اذ راح يقول بصوت حالم ، وكأنه يحدث نفسه .

— ترى هل سقته الزجاجة كلها مرة واحدة ، أم كانت تمزجها بالقهوة

أو « البليلة » ترى هل هى فلتة من فلتات الطبيعة ومعجزة لن تتكرر ؟
ترى هل حدث الحمل قضاء وقدرا من تلقاء نفسه ؟

ترى هل حدث هذا نفسه مع زملائى فى المستشفى ؟

فصاحت به مارية : فى وسعك أن تؤجل تأملاتك الى الغد ، أما الآن فهأنذا أمام نصر رائع :

وهنا سألتنى مارج : ألا تنوى أن تقبلنى ياستيف ؟

اندفعت نحوها وتلاقت شفتانا فى قبلة طويلة لفتت نظر مارية وتومى ، وظلا يرمقاننا فى عجب ، ثم قالت مارج فى عذوبة : أومن حقا أننى كنت طوال الشهرين الماضيين آتى ما آتى عن غير روية ، ولكن يا عزيزى ألا ترى أننى كنت مسيرة لا مخيرة ، والآن وقد أدركنا السر الخفى فيقينى ألا موجب للقلق .

قلت : أرى أن أتصل بالصحيفة لأزف لها الخبر .

فصاحت مارية محذرة : لا .. لست أرى هذا الرأى ، ومع أننى متأكدة كل التأكد من كل ما قلته الا أن هناك احتمالا للخطأ يسيرا قد يقع فيه أى انسان ، وسنجرب فى الغد تجربة أخيرة على أرنب من الأرانب وبعدها يمكنك أن تروى قصتك باطمئنان .

وقنعت بهذا الرأى ، وان كنت لا أكاد أذكر حقا ما جرى بعد ذلك ، بيد أننى لا أنسى أن مارية التفتت الى تومى قبل خروجها وسألته ، وكأن الأمر يتصل بشىء مألوف :

— هل كنت تتجرع مزيجك من الأعشاب فى نظام يا تومى ؟

فرد عليها قائلا : طبعا .

فقالت وهى تتأبط ذراعه ، وقد صعد الدم الى وجهها :

— اذن يحسن بنا أن نعجل بالزواج ياتومى فانى .. خائفة ..

* * *

الفصل السادس عشر

أعتقد أن البقيـــة الباقية من القصة جزءا من التاريخ أكثر منها جزءا من رواية شخصية . فقد جاء النبأ فى مساء الأربعاء بنجاح تجربة الأرنب ومن ثم اتصلت ببوجى رئيس التحرير ، وقلت له : ان لدى خبرا هاما ، فقال لى :

— لقد آن الأوان كى أستمع خبرا جديدا ، فاننى بدأت أشعر بالملل والسأم للمرة الأولى فى حياتى ، وذلك منذ أن ابتلى العالم بالعقم .

قلت : منذ الآن لن تحس بالسأم فالخبر هو أنى سأضع طفلا .

قال بوجى مذعورا : أنت ؟ ان كان هذا الخبر صحيحا ، فانى على استعداد لأن أهجر مهنتى .

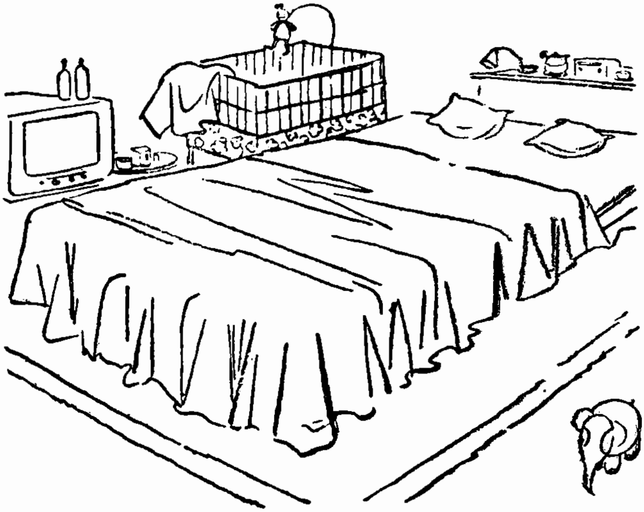
قلت مصححا : أقصد مارج هى التى ستضع الطفل ..

قال فى حدة وقد راودته الشكوك نفسها التى راودتنى حين علمت بالحقيقة لأول مرة : ومن أبوه ؟

— أنا ..

ثم رويت له ما حدث .

كان بوجى صحفيا من الطراز الأول . من أجل ذلك فسرعان ما تنبأ بكل الاحتمالات التى دارت بذهن تومى طومسون ، وقال انه من الجائز أن لا يكون الحادث غير فلتة من فلتات الطبيعة ، أو معجزة لن تتكرر مع



الأيام . واستطرد قائلا : أعتقد أنه يجدر بنا ألا نفيض فى الخبر ، وان نكتفى بنشره دون تعليق .

ولكن الخبر أثار دويا عظيما دون شك ، فى العالم كله رغم أنف بوجى رئيس التحرير .

ويبدو أن الرأى العالمى قد استراح الى هذه النتيجة ، ولا غرو فقد كشف الطبيب تومى طومسون عن عقاره المقــوى العجيب المركب من الأعشاب البحرية ، ذلك الترياق الذى يعيد الحياة توا الى بويضة الرجل المنوية المشلولة ، اذا ما تناوله المرء فى جرعات معتدلة غير مميتة ، ودون اضافته الى السوائل التى يدخل الكحول أو الكافيين فى تركيبها . وبعد فترة وجيزة من الوقت أتيحت الفرصة للمرضى فى المستشفى العام وأصدقاء تومى أن يجربوا العقار الجديد فأصبحوا أكفاء أصحاء جنسيا .

وقد تولت الحكومة الأمريكية انتاج العقار الجديد ، وعهدت الى فلبس

سمايث — الذى أصبح قائدا يشار اليه بالبنان ، عهدت اليه بالاحتفاظ بأسرار الدواء الجديد حتى لا تتسرب . وفى الحق لقد كان منصبا خطيرا ، فقد حاول الروس مرارا سرقة أسرار العقار ، بل لقد أقروا رسميا بأنهم قد وقفوا على سر تركيبه ، وشاع أن الحكومة الأمريكية قد بدأت تعد العدة لجعل دواء الدكتور طومسون العجيب فى متناول كل رجل فى العالم، بما فى ذلك سكان الحدود المغولية ، وان كان هذا الخبر لم يتأيد بعد .

وكانت كل هذه المشروعات التى وضعت لانتاج عقار الطبيب طومسون على نطاق عالمى لم تصل بعد الى مرحلة التنفيذ لما صادفها من عقبات ، ولذلك فقد عهد الى مجلس الأبحاث القومى ومشروع اعادة الاخصاب بالتعاون مع خيرة العلماء من كلتا المؤسستين برئاسة آبل بمفرى لدراسة هذه الأهداف وتحقيقها .

وحينما تسير الأمور فى طريقها المرسوم ، فى هدوء واتزان يصبح من اليسير على عقول الناس هضمها وتمثيلها ، ومن ثم كانت مسائلنا الداخلية ظاهرة واضحة للجميع . أما عن المشكلة الخارجية فهناك فئة من الناس نادت بوجوب اشراف الأمم المتحدة على العقار ، غير أن الحكومة اعترضت على ذلك قائلة : ان نفع الدواء قد بلغ مبلغا جعل اسناد هذه المهمة الى الأمم المتحدة ، تلك المنظمة الصغيرة التى لم تشب بعد عن الطوق ، عبثا ! أى عبث !

قالت الحكومة : حسب الهيئة الاشراف على منازعات الحدود بين الدول وما الى ذلك ، أما أن تحاط علما بسر تركيب دواء الطبيب طومسون فهذه هى كبرى الكبائر .

الثمن ٠ قرشا

الطبعة الثانية
كاملة منقحة

الدار القومية (مصر)
يونيو ١٩٦٥